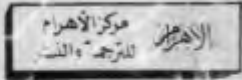


<http://medaad.wordpress.com>

إحسان عبد القدوس



لانت مصعبة.. ومغفورة

كانت صعبة ومغرورة ..

كان المعروف عن ناهد أنها فتاة صعبة . . وكان أبرز ما تعرف به أنها مغرورة . . لم تكن في منتهى الجمال ولكنها كانت جميلة . . ولم تكن في منتهى الذكاء إلى حد العبقريّة ولكنها كانت ذكيّة . . ولم تكن في منتهى الثراء ولكنها لم تكن محتاجة . . ومهما كان رأى الناس فيها فقد كانت معتدة بنفسها إلى حد أن تضع نفسها فوق آراء كل الناس . .

وكانت معتدة بنفسها مستقلة بذاتها حتى بالنسبة لأبيها وأمها . . فقد كان من المستحيل أن يفرضها عليها أمرا ولكنها عودتها على أن يحاولا اقناعها بما يريدان . . وعودتها على أن يقبلا اعتذارها إذا لم تقتنع . . ففي التعليم مثلا لم تكن تخضع للمدرسة التي يختارها لها والداها حتى منذ أن كانت صغيرة . . إنها هي التي تتعلم وليس والداها . . ومن حقها أن تكون هي التي تختار ما تريد أن تتعلمه وتختار المدرسة التي تتعلم فيها . . وكانت تنتقل من مدرسة إلى مدرسة ثم اختارت بعد أن شبت أن تلتحق بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية رغم أن والداها لم يكن يستطيع أن يرى لها مستقبلا من وراء هذه الكلية . . ولكنه استسلم فقد كانت دائما ناجحة في تحقيق ما تختاره . . وقد نجحت في التعليم العربي . . والتعليم الفرضي . . والتعليم الانجليزي . . ثم التحقت بمدرسة للتعليم الألماني . . إنها تختلف عن كل البنات . . فليس لها طبيعتهن . . ولا دوافعهن وهوايتهن . . وكل ما يميز شخصيتها هو تفرغها للقراءة والدراسة . . إنها تصمم على أن تبقى وحدها مع كتاب على أن تذهب في زيارة . . أو تلبى دعوة إلى حفل . . كأنها تضع نفسها فوق المجتمع كله مع احساسها بأنها أرقى وأسمى من هذا المجتمع . .

وناهد الآن في الخامسة العشرين من عمرها . . ولم تتزوج . . وقد توفي أبوها وأمها وهي تقيم في بيت العائلة مع اختها الصغرى وزوجها وأولادها . . وتقيم معهم مستقلة بنفسها استقلالا كاملا . . ولا يحاول أحد أن يتدخل في حياتها ولا حتى مجرد الكلام في البحث عن زوج لها . . كأنها تعيش في بنسيون . . ولكنها تحب كل من يقيم في هذا البنسيون وكلهم يحبونها . . وقد رفضت أن تكون موظفة في الحكومة بعد تخرجها من الجامعة وعاشت تنتقل في مجالات كثيرة للعمل . . وتتنقل لا لأنها تواجه مشاكل في أى عمل ولكن لمجرد أنها تريد أن تجرب . . وكلما انتهت من تجربة انتقلت إلى تجربة أخرى . . إنها تهوى التجربة . . والتجارب هي أساس المعرفة أكثر . .

إلى أن كان يوم مرت خلاله ساعات فراغ كانت تقضيها في حجرتها بالبيت تقلب في محتويات دولابها . . ووقعت يدها على سوار عريض من الذهب المحلى بفصوص الماس والياقوت . . انه سوار كانت تملكه أمها ووقع في نصيبها من الأثر . . وأخذت قلبه امام عينها وهي تتسأل عن مدى حاجتها إليه . . إنها لن تضعه في رسغها أبدا وتترزين به . . فهو كبير عريض لا تطيق أن تظهر به . . كأنه فضيحة أرستقراطية لامرأة تتباهى بثرائها . . ان كل ما تضعه في رسغها سوار ذهبي رفيع عادى تحتفظ به بحكم العادة منذ كانت صغيرة . . أو ربما لتحفظ بمظهر بسيط يثبت أنها أنثى . . ولكنها يجب أن تحتفظ بهذا السوار العريض الفاقع اللون ولو في دولابها احتفاظا بذكري أمها . . ولكن . . لعل من الأجدى أن تحتفظ بذكري أمها فيما تمارسه وتعيش فيه فتبيع هذا السوار وتشتري بثمنه سجموعة من الكتب تذكرها صفحاتها بأمها . . أو تأخذ الثمن وتنفقه في رحلة تقوم بها إلى أمريكا . . إنها لم تدرس بعد المجتمع الأمريكى وسيكون لأمها فضل تمكينها من هذه الدراسة وتوفيرها لها . .

وحملت السوار في حقيبتها وذهبت إلى دكان عيد الله نور الدين الجواهرجى . . لقد سبق وذهبت إلى هذا الدكان أكثر من مرة مع

وحدث مثلا وهي في السابعة عشرة من عمرها أن قررت أن تقوم وحدها برحلة إلى إنجلترا وفرنسا . . وجن الأب . . كيف يترك ابنته الشابة تسافر إلى أوروبا وحدها . . ولكنها مصممة . . انها تريد أن ترى على الطبيعة ما قرأت في الكتب حتى تزداد علما . . ثم لماذا يخاف الآباء على بناتهم من السفر إلى الخارج وحدهن ولا يخافون على الأولاد . . إن شخصية البنت لا تقل عن شخصية الولد لمجرد ان هده بنت وهذا ولد . . ثم ان شخصية البنت لا تختلف لمجرد الابتعاد عن أهلها في بلد غريب . . وإذا كانت هي معرضة للانحلال أو للخروج عن مبادئها وهي حرة في لندن أو في باريس . . فهي أيضا معرضة للانحلال وضياح المبادئ وهي في مصر بين أهلها . . بل وهي في داخل بيتها . . أى بيت العائلة . . واستطاعت ناهد باصرارها أن تسافر وحدها . . وعادت بعد شهرين دون أن تحمل أى هدية لأى فرد من أفراد العائلة . . إنها لم تسافر لتطوف بالدكاكين . . كانت متفرغة لمشاهدة ودراسة المجتمع الآخر . . وكل ما في دكاكين أوروبا تستطيع أن تجده في بعض دكاكين مصر . . وكان أكثر ما يحير العائلة في ناهد أنها لا تحس أبدا بحاجتها إلى رجل . . وكانت على صلة بكثير من الطلبة والأساتذة الذى تلقى بهم في دراستها . . ولكن لم يعرف عنها أبدا ارتباطها بواحد منهم . . ولا بواحد من شبان المجتمع الذى يحيط بها . . ليس لها قصة حب . . ولا حتى مجرد قصة تبادل اعجاب . . حتى لو تمنأها رجل فهي لم تتمن أبدا أى رجل . . حتى فكرة الزواج التى تصحب كل فتاة منذ تعى أنوثتها لم تطرأ أبدا على ذهن ناهد . . وتهرب منها في أى حديث حتى ولو كان حديثا ضاحكا . . إنها لا تريد الزواج ولن تتزوج . . لعلها فاقدة لأنوثتها . . لاستطيع أن تضع نفسها في صورة زوجة أو صورة أم . . حتى لمجرد اشباع طبيعتها كأنثى . . أو لعل غرورها جعلها تعتبر نفسها في مستوى لا يمكن أن يشاركها فيه أى رجل . . ليس هناك رجل يمكن أن تكون له أو يمكن أن يكون لها . . وعجزت كل المحاولات عن اقناعها بالزواج . . حتى اضطرت العائلة أن تقبل زواج اختها الصغرى قبلها رغم التقاليد التى تفرض زواج الكبرى قبل الصغرى . .

- كيف حصلت عليه ؟

وقالت في دهشة لسؤاله وفي لهجة كأنها تتحداه :

- لقد ورثته عن المرحومة أمي ..

وقال كأنه يتطوع لانقاذها في رفق :

- لا بد أن المرحومة والدتك ورثته هي الأخرى عن أمها .. ان هذا السوار تحفة قديمة غالية .. وأنصحك أن تحتفظي به .. ولا تبيعيه إلا مضطرة .. فثمن هذه التحف يرتفع من يوم إلى يوم .. كما يرتفع سعر الماس والذهب .. ان مجرد الاحتفاظ به يعطيك أكثر مما يعطيك البنك من أرباح لو وضعت فيه ثمنه .. أي ان الثمن الذي تبيعين به اليوم يمكن أن يرتفع إلى الضعف في العام القادم ..

وقالت في دهشة يشوبها الشك :

- غريبة .. لماذا لا تشتريه أنت اليوم وتحتفظ به حتى يرتفع ثمنه إلى الحد الذي يغريك ببيعه ..

وقال وفي عينية نظرة حانية كأنه يشفق عليها :

- لأني فهمت أنك زبونة قديمة لنا .. وصاحب المحل مسئول عن مصالح زبائنه لا على مجرد الكسب من ورائهم حتى يحتفظ بثقتهم ..

وقالت كأن دهشتها تدفعها إلى التحقيق معه :

- هل أنت أصبحت تعتبر من أصحاب المحل ..

وقال من خلال ابتسامته :

- تقريبا ..

والدتها .. انه جواهرجي العائلة .. وهناك .. التقت لأول مرة بشريف الهنداوى يستقبلها كأحد العاملين بالديكان .. انه شاب وسيم .. يحمل وجهه الأبيض من خلال عينية الملونتين ملامح جادة محترمة تحيط بابتسامته ضيقة هادئة .. ولا تدري لماذا أطالت النظر إليه .. ربما لأنه يستطيع أن يفرض احترامه بمجرد وجوده .. وربما لأنه لم يهمل في استقبالها كعادة التجار في استقبال الزبائن .. ووجدت ابتسامته من ابتساماتها النادرة تتعلق بشفتيها وهي تقول :

- لقد ترددت كثيرا على الديكان ولم أرك من قبل .. هل جئت إليه حديثا .. وقال وقد اتسعت ابتسامته قليلا :

- منذ حوالي عام .. وأتمنى أن يستمر عملي مع عبد الله بك نور الدين طوال العمر .. وابتلعت ابتسامتها ولم تحاول أن تسأله أكثر كأنها تنهت إلى الاحتفاظ بشخصيتها الجادة .. وفتحت حقيبتها وأخرجت السوار العريض وناولته له قائلة :

- كم يساوي هذا السوار .. أريد أن أبيعه ..

والتقط منها السوار وأخذ يقلبه بأصابعه .. ثم وضع نظارة صغيرة كأنها ميكروسكوب على إحدى عينيته وأخذ يبطلق في كل فص من الفصوص الماسية المعلقة بالسوار ثم رفع الميكروسكوب وفرد السوار أمامه في حرص شديد كأنه يخاف على شيء عزيز وقال لها :

- هل أنت في حاجة إلى بيعه ..

وقالت وقد عادت ابتسامتها إلى شفتيها :

- انى لست في حاجة ماسة إلى ثمنه .. ولكنى لست في حاجة إليه ..

وقال في لهجته الجادة المهذبة :

- احتفظ به لديك إلى أن أستقر على مصيره . . أما أن أصمم على بيعه أو تكون أنت قد غيرت رأيك وقررت شراءه . .

وقال كأنه يتعلق بها :

- انتظري لأكتب لك ايصالا . .

وقالت بسرعة وهي تتبعد :

- سامر عليك . .

وقد نشأت على الثقة في التعامل مع عبد الله نور الدين الجواهري صاحب المحل من طول المدة التي جمعت عائلتها به . . ولكن . . لعلها اكتسبت مزيدا من هذه الثقة بعد أن التقت بشريف الهنداوي الذي أصبح يعمل معه ولذلك تركت له السوار دون أن تنتظر أن يكتب لها ايصالا . . ولم تسأل نفسها من أين اكتسبت ثقتها بشريف . . انه مجرد احساس . .

وقد قضت يومها وهي تراجع دراستها عن التصرف برأس المال . . وتبحث عن كتب لم تقرأها من قبل . . انها تحس بأنها تدخل في عالم جديد . . ولتفسر هذا الاحساس بأكثر من هوايتها للدراسات . . لم تحس بأنها تقدم على تجربة جديدة أوحث لها بها مجرد رؤية شريف . .

وفي اليوم التالي اتصلت به بالتليفون وقالت له إنها في حاجة إلى حديث طويل لتستكمل اقتناعها الذي يخص التصرف في السوار . . وهي لا ترى أن لقاءها به في الدكان يكفي لتبادل هذا الحديث لذلك فهي تدعوه لتناول الشاي معها في بيتها . .

وهي قد تعودت أن تدعو بعض الأساتذة والزملاء الذين يعملون معها إلى البيت . . لم تكن الدعوة شيئا جديدا عليها أو على أختها التي تعيش معها . . وان كان معظم الذين سبق أن دعتهم قد أوقفت دعوتهم وابتعدت

وأدارت عينها عنه حتى لا تبدو كأنها تعلقت بوسامته وقالت كأنها تهرب من سؤاله عن شخصه :

- إنى لا أقهم حتى الآن نصيحتك لي بأن احتفظ بهذا السوار ولا أبيعته حتى لو كنت أبيعته لك . .

وقال في هدوء الأستاذ :

- ان رأس المال السائب يحتاج إلى المعاملات المستمرة . . أى إلى توالى البيع والشراء . . فالرجل الذى يملك مزرعة دواجن محتاج إلى أن يبيع انتاجه قبل أن يموت الدجاج . . ولكن رأس المال العيني لا يفرض التعامل به ولكنه يعتمد على دراسات تحيط بكل صفقة وتحدد قيمتها . . كان يتجمع رأس المال في كمية من السبائك الذهبية . . أو من الجواهر . . أو أن يكون مجمدا في قطعة أرض . . لذلك فصاحب رأس المال يعتمد على دراسة السوق قبل أن يقرر بيع رأسماله أو الاحتفاظ به . . وقد وصل اصحاب الملايين العرب إلى شراء اراض قاحلة في جزر بعيدة جرداء تقع في المحيط الاطلنطي أو المحيط الهادى . . ودافع الشراء هو ادخار رأس المال وهم واثقون بأن هذه الجزر ستعمر مع الوقت وتزدحم بالسكان ويرتفع ثمن الارض فيها إلى عشرات أضعاف الثمن الذى اشتراه بها أى كأنه يدخر رأسماله في بنك خاص ترتفع أرباحه عن أى بنك من البنوك المعروفة . .

وكانت تستمع إليه بطبيعتها الدراسية التي تدفعها إلى هواية جمع المعلومات . . وقامت من المقعد الذى كانت تجلس عليه قائلة :

- إنى مازلت في حاجة إلى المزيد من الشرح حتى اقتنع . . وسأمر عليك يوما آخر . . وهمت أن تنصرف وهو يمد إليها يده بالسوار قائلا :

لا تنسى السوار . .

وترددت لحظة ثم قالت :

وقالت في بساطة دون أن تحس بجراتها :

- لنؤجل زيارة البيت ونلتقى في أى مكان لتناول الشاي ..

والشئ الذى يعتبر جديدا عليها أنها بعد أن خرج شريف اندفعت إلى اختها وأخذت تحدثها عنه وتروى لها عما كان بينهما من مناقشات .. لم يكن يهمها أن تشرك اختها في أى تصرف خاص بها .. وبعد أن لبت دعوة شريف لتناول الشاي في محل عام .. عادت تروى لأختها أيضا تفاصيل مدار بينهما من حديث .. رغم أنه لم يكن في حديثهما شئ أكثر من تبادل المعلومات الدراسية عن كثير مما في الحياة ..

وبعد ما بأيام كانت اختها مع زوجها مدعوتين إلى سهرة في الخارج .. وعادت في ساعة متأخرة من الليل وفتحت الباب ودخلت وهى تصيح بأعلى صوتها منادية .. ناهد .. ناهد ..

وكانت ناهد نائمة فاقتحمت أختها غرفتها وأخذت تهزها في عنف حتى فتحت عينيها وقبل أن تعتدل جالسة صاحت فيها اختها :

- ماذا تعرفين عن شريف الذى تدعينه ولا تكفين عن الحديث عنه ..

وقالت ناهد وهى تتعاب :

- ماذا تريدان أن أعرف عنه ..

وصاحت أختها :

- هل تعرفين أنه يهودى .. من أب يهودى وأم يهودية .. ومن عائلة يهودية معروفة ..

وابتلعت ناهد تناؤبها وقالت في صوت حشرجته الصدمة :

عنهم .. لأنهم بدأوا يستغلون هذه الدعوة للتعامل معها كأنثى .. ويحاولون الوصول معها إلى ما يريدته الرجل من الانثى ..

وقد جاء إليها شريف وجلس معها هادئا مهذبا من خلال وسامته .. كأنه يعتبرها دعوة عادية يوجهها الزبون إلى التاجر الذى يتعامل معه .. وقد بدأ بأن قدم لها ايضالا يضم وصفا لكل تفاصيل السوار الذى تركته له .. وهو يقول :

- من الأفضل أن تحتفظى بالسوار .. رغم اعتزازى بثقتك في عبد الله بك وئى ..

واستمر الحديث بينهما طويلا حول أسرار سوق المجوهرات وسوق التعامل برؤوس الأموال .. ولكنه لم يعد حديثا بين تاجر وزبونة .. ولكنه أصبح أقرب إلى حديث بين صديقين لا يحمل أى كلمة تخرج بهما عن مجرد بداية صداقة .. ولكنها قالت له وهى تودعه :

- سأراك مرة ثانية حتى نستكمل الحديث ..

وقال مع ابتسامته الهادئة ودون أن تبرق عيناه بأى أمل يتعدى الصداقة :

- أرجو أن تسمعى لى في المرة التالية بأن أكون أنا صاحب الدعوة ..

وقالت في بساطة دون أن تحس بأنها تعرضت للتجرؤ عليها :

- أين

قال في بساطة :

- أما في بيتنا لتلتقى بأبى العجوز وبأختى الكبرى وأولادها الذين يزحمون البيت .. وأما في أى مكان تختارينه ..

- متى ؟
قالت في حدة :
- الآن ..
قال كأنها ترى ابتسامته تتسع في سماعه التليفون :
- لتبادل أجمل صباح الخير . أين . هل أمر عليك الآن .
قالت في عنف :
- لا . في نفس المكان الذي سبق أن التقينا فيه .
والقت سماعه التليفون وهو يقول حاضر . دون أن تزوده بكلمة حلوة .
وأحست بمجرد أن التقيا كأنها تهم بالابتسام تحية لوسامته .
وقالت فوراً قبل أن تستريح في جلستها :
- هل أنت يهودى ؟
واتسعت ابتسامته الهادئة كأنه كان في انتظار هذا السؤال وقال في صوت ثابت .
- فعلاً . أنا يهودى .
وقالت كأنها تهم أن تصرخ في وجهه :
- ولماذا لم تقل لي .
وقال دون أن تهتز نيراته :

- من أين جئت بهذا الكلام ؟

وعادت الأخت تصيح في ثورة قرف :

- سمعت . . وعرفت . . وتأكدت . . وقضينا طول السهرة ونحن نتحدث عنه . . وطبعاً لم أقل أنها مصيبة وقعت على رأسك . .
وقالت وهي تقبض على أصابعها التي ترتعش :
- ولماذا تعتبرينها مصيبة . .
وقالت الأخت وهو تلوى شفيتها :

- لأنه أول رجل في حياتك أحس كأنك تريدينه لك . . وسأتركك تبحثين عن الحل . .

وابتعدت الأخت خارجة من الحجرة . . وناهد جالسة مبخلقة العينين في الفضاء . . أنه يهودى . . لقد كانت قد نسيت أن في مصر أو أنه كان فيها يهود . . أين هم يهود مصر . . ولكنها يجب أن تعرف الآن أن في مصر يهوداً . . وهم يهود مصريون . . وظلت طوال الليل جالسة مبخلقة العينين وهي تستعرض كل لقاء كان بينهما . . وكل كلمة تبادلها . . لماذا لم يقل لها أنه يهودى . . ولعل هذا الترفع والسمو في التعبير عن العلاقة التي جمعتهم ليس من طبيعة شخصيته ولكن لمجرد أنه يهودى ومؤكد أنها يمكن أن ترفضه . . أن اليهودى تغلب شاطر دحلاب يتسلل داخل فريسته حتى يستولى عليها ويأكلها . .

وما كاد الصباح يهم على الدنيا حتى اتصلت به في التليفون وقالت له فوراً :

- أريد أن أراك . .

قال في هدوء وكأنه لم يفاجأ :

وقاطعته قائلة في سخرية :

- وفي اسرائيل مجرد اسرائيليين .

وقال مستطردا كانه لم يفاجأ بهذه المقاطعة :

- فعلا . . كأي طائفة يغلبها التطرف للاستقلال بنفسها واقامة دولة خاصة بها . . كما يحاول شعب شمال ايرلندا الاستقلال عن ايرلندا الجنوبية وعن بريطانيا . . وكما تحاول طائفة السيخ اقامة دولة مستقلة عن الهند . . و . . و . . عشرات من الطوائف تحاول أن تقوم كدولة . . ورغم أن التطرف اليهودي حقق اقامة دولة اسرائيل إلا انه لا يزال بين اليهود من يرفض هذا التطرف . . ويغليهم انتماءهم للوطن الذي يعيشون فيه . . وقد كان أبى كوهين الهنداوى يهوديا جدا . . ولكنه رفض أن يترك مصر . . أو يهاجر إلى اسرائيل مع المهاجرين . . انه لا ينتمى إلا إلى محل الجواهرجى الذى يمتلكه . . وهو يملكه في مصر وهو مصرى . . يهودى جدا ومصرى جدا . . حتى بعد أن أدت السياسة إلى فرض الحصار على كل نشاط يهودى في مصر . . جمع أبى كل ما يملك من سبائك الذهب والمجوهرات واحتفظ بها في البيت وأغلق الدكان الذى يبيع فيه . . ولم يهاجر مع اليهود المهاجرين . . بقى في مصر . . وقد تعذب طويلا وهو قابع في البيت كانه فقد الحياة . . وان كان قد ضمن ما يكفل حياته وحياة العائلة بفضل ما أدره ومن خلال اتصالات متباعدة خفية يبيع فيها بعض ما يملكه . . إلى أن تطور الوضع والجو السياسى في مصر . . وظهر ما سمي بالانفتاح . . وكان أبى يريد أن يعيد فتح دكان الجواهرجى . . ولكنى عارضته . . يجب أن يختار طريقا آمنا في انتظار مزيد من التطور . . واستطعت ان اتصل بعبد الله بك نور الدين . . إنه جواهرجى مسلم على اتصال قوى بكل رجال الدولة . . واستطعت أن أقنعه بأن أعرض في دكانه السبائك والمجوهرات التى يملكها أبى مع اقتسام الأرباح . . ووافق . . انها صفقة مربحة بالنسبة له . . وهكذا أصبحت من رجال تجارة الذهب والمجوهرات . . لا لأنى يهودى . . بل لأنى نشأت في هذه المهنة وتلقيت أسرارها من أبى .

- لم تمر بأحاديثنا مناسبة تدفعنى لأن أقول لك أنى يهودى . . أو تقول لى أنك مسلمة . .

وقالت في حدة :

- لم يكن فيك ما يدفعنى إلى هذا التساؤل . . حتى اسمك شريف الهنداوى . . اسم عام لا يدقغ إلى الشك . .

وضحك رغم أنه ليس من عادته الضحك بصوت عال وقال :

- اننا نتشبهه بنجوم السينما الذين يختار كل منهم لنفسه اسما يجذب الجماهير . . وأبى أسمانى باسم شريف لأنه اسم في صالح العمل . . مادامنا نعمل في مصر . . واسمى الكامل المكتوب في شهادة ميلادى لا يعرفه أحد . . هو . . شريف كوهين الهنداوى . . أى أنى لم أخف إلا فقرة واحدة من اسمى . .

قالت وكأنها تراجع نفسها :

- كان يجب أن اتساءل عن الأسباب التى دفعتك إلى الاشتغال بتجارة الذهب والمجوهرات . . وربما كنت عرفت من خلال هذا التساؤل بأنك يهودى . . فهى المهنة التى تجمع اليهود . .

وقال في جدية كأنه يلومها :

- ليس كل الجواهرجية والمشتغلين بتجارة الذهب يهودا . . وليس كل اليهود يعملون بهذه التجارة . . وليست هناك مهنة مقصورة عليهم . . إنهم يعملون في كل المهن كباقي أفراد الشعب . . وبينهم الغنى جدا والفقير جدا . . وبينهم المتعلم جدا والجاهل جدا . . ان اليهود هم مجموعة تمثل كيانا في أى شعب . . ويجمعهم كلهم أنهم مواطنون . . فاليهودى في فرنسا فرنسى . . وفي انجلترا انجليزى . . وفي الهند هندى . . وفي مصر مصرى . .

وقالت بسرعة وكأنها تشهق :

- انك يهودى . .

وقال في هدوء :

- انى اعلم انى يجب ان اعلن إسلامى لاتزوجك . . واعلم انك لا يمكن أن تقبلى أن تتزوج زواجا مدنيا بعيدا عن الشرع . . والإسلام يحابى الرجل المسلم أكثر من المرأة المسلمة . فيمنحه حق الزواج من امرأة تنتمى لأى دين . . ولكنه يفرض على المرأة ألا تتزوج إلا مسلما . . ان أختى الصغرى تزوجت من عربى مسلم دون أن تضطر أن تخرج عن دينها وتتكر انها يهودية . . اما أنا فلا استطيع أن اتزوجك إلا إذا أعلنت إسلامى . . وأنا مستعد . .

وانطلقت كأنها تدافع عن إيمانها بما اكتسبته من دراساتها :

- الإسلام لا يحابى ولكنه ينظم . . وقد فرض على المسلمة أن تتزوج من مسلم حتى يضمن أن يكون أبناؤها من المسلمين . . فالأبناء ينسبون للأب . . ولا يريد لهم الله أن يكونوا ضحية اختيار الأم لأب غير مسلم لم يشتركوا معها في اختياره . . ولذلك قرر الله أن يحمى للأبناء إسلامهم . .

وقال في هدوء جاد كأنه يبادلها المناقشات الدراسية كما تعودا :

- ان التنظيم اليهودى لا ينسب الأبناء للأب ولكنه ينسبهم للأم . . ان أبناء أختى الصغرى يمكن ان يعتبروا انفسهم يهودا رغم أنهم من أب مسلم ومهما اختلفت الأديان في تنظيم الحياة فأنا نفسى أقبل أن يكون أولادنا من المسلمين لأنى أنا نفسى ساكون مسلما . . فهل توافقين على أن تتزوج . .

وتنهدت تنهيدة من أعماقها وهامت نظرات عينها في الفضاء كأنها لشمار مصيرها ثم قالت وهى تنتفض قائمة من مقعدها :

وكانت تستمع إليه كأنها تناقش كل كلمة بينها وبين نفسها .
وأحيانا تكاد تقنن وأحيانا ترفض الاقتناع إلى أن قالت له :

- على كل حال فقد كنت أحس دائما بأن هناك ما يبعد بيننا رغم الصداقة الكاملة التى جمعتنا . . وكنت أعتقد أن السبب هو حرص كل منا على مراعاة الآخر ولا يريد أن يبدا قبل أن يبدا الآخر بما يطور هذه الصداقة . . وكنت انسب لك انك رجل محافظ تريد أن تؤكد الاطمع لك فى أى فتاة تقبل صداقتك . . وكنت أتهم نفسى بأنى لا عرف ما أريد . . ولم أتعود أن أنقاد لنفسى كأنشى . . وهو ما كان يدفعنى دائما إلى التساؤل عن مصير صداقتنا . . ولكنى أعرف الآن أن ليس لها أى مصير بعد أن عرفت انك يهودى . . فأنا مسلمة . .

وقال وعيناه تنطقان لأول مرة بالحب ويمد يده يحاول أن يمسك بيدها :

- لا شيء يمكن أن يقضى على صداقتنا . . او يحرمنا ان نتطور بها أكثر . . لا شيء يمكن أن يبعد احدنا عن الآخر . .

وقالت فى يأس وهى تبعد يدها عن يده . .

- ماذا تريد حتى تبقى معا . .

قال وهو يلفها بعينيته . .

- المهم هو ما تريدينه أنت . .

وقالت متنهدة بياسها :

- ماذا يمكن أن أريد . .

قال وهو يبعد رأسه ويدير عنها عينيه :

- تريدين أن تتزوج . .

وكانت تخطر على فكرها تساؤلات لا تستطيع أن تجيب عليها . .
النجري خارجة إلى المكتبات تبحث عن كتب أو تراجع الصحف القديمة . .
الها تعيش في معركة بين مؤثرات عواطفها الخاصة وبين مؤثرات عواطفها
الوطنية . . فهي تحس كأن شريف يشد عواطفها ولكنها تحس أن وطنيتها
الطدها أكثر . . إنها لا تستطيع أن تختار بين شريف ومصر . . ولكنها
اكتشفت من خلال دراستها الشاملة المستفيضة أن كل الدول العربية عدلت
من طرد مواطنيها اليهود والتخلص منهم . . ونشرت بيانات صريحة تطالب
فيها مواطنيها اليهود الذين فروا منها أن يعودوا إليها . . وان كان لم يعد
منهم إلى أوطانهم إلا يهود المغرب . . عاد منهم الآلاف . . بينما لم يعد إلى
مصر والسودان وبقية الدول العربية سوى مجموعات من الأفراد لا يتعدى
عدددهم مجموعة أصابع اليد . . لا تدري لماذا . . ربما لأن حكومة المغرب
سمح لمواطنيها اليهود الذين عادوا إليها حق الاتصال بإسرائيل للاطمئنان
هل أقاربهم الذين تركوهم هناك أو للاستمرار في مزاولة أعمالهم التي تتركز
هناك . . وهو عالم توفره لهم باقى الدول العربية . . وسوريا . . وهى من
أهف الدول العربية تطرفا . . لم يعد إليها أحد من اليهود الذين كانوا قد
فروا منها ولكن لا يزال يعيش فيها أكثر من سبعة آلاف مواطن يهودى
الرض أن تترك أيا منهم يهاجر أو يفر إلى إسرائيل . . حتى أن إسرائيل
أصبحت تطالب سوريا بما تطالب به الاتحاد السوفيتى وهو اطلاق حرية
الهجرة لليهود . . وقد تكون دوافع الدول العربية لدعوة مواطنيها اليهود إلى
العودة إليها هو اكتشافها أنها كانت قد وصلت إلى منتهى الغباء بدفع هؤلاء
المواطنين إلى الهجرة . . لأنها بذلك وفرت لا إسرائيل مزيدا من القوة برفع
تعداد قواتها العسكرية التي تحارب بها . . فإذا سمحت لهم بالعودة فكأنها
تسحبهم من قوات إسرائيل لأضعافها . . أى أن الدافع العربى كان دافعا
سياسيا عسكريا ولكنه يشمل أيضا التجرد من التفرقة الدينية واحترام
اليهود كاحترام النصارى واحترام المسلمين كمواطنين . . أى أن صديقتها
شريف اليهودى يعتبر شخصية مصرية كاملة . . لاتلام على صداقتها له
كصداقتها لى شخصية من أى دين . . علاوة على أن مصر خطت خطوة
أبعد . . وأصبحت لا تقصر اعترافها على اليهود فحسب كمواطنين أو

لا ادرى . . دعنى أفكر إلى أن أختار . . وتركته مبتعدة دون أن
تمد يدها لتصافحة ودون أن تنطق بكلمة وداع . .

وهو يتبعها بعينين جامدتين ووجه مكفهر . . كأنه تاجر يودع زبونا
دون أن يتفق معه على اتمام الصفقة . . ولكن يخالجه أمل بعيد في أن يعود
الزبون إليه . .

وانعزلت ناهذ داخل غرفتها في البيت إياما تفكر وتحاسب نفسها
وتحس كأنها تختار مستقبلها ومصيرها . . انها مفاجأة أقرب إلى الصدمة
القاتلة . . لم يخطر على بالها أبدا منذ التقت بشريف أنه يمكن أن يكون
يهوديا . . بل انها عاشت دون أن يطرأ على تفكيرها واحساسها بأن في مصر
مواطنين من اليهود . . ربما لأن كل جيلها بدأ وعيه وهو يعتبر أن اليهود هم
اسرائيل . . ونحن في حرب مع اسرائيل . . أى في حرب مع اليهود . .
وتعمدت السلطات المصرية أن تدفعهم إلى الفرار . . ورغم ذلك بقى منهم
أفراد يقيمون في مصر كمواطنين . . آلاف أو على الأقل مئات . . رغم أننا في
حرب مع اسرائيل . . أى مع اليهود . . وكل الدول العربية التي تحارب
لا يزال يقيم فيها مواطنون من اليهود . . ولكن . . هل المواطنون اليهود
يشتركون مع بقية أفراد الشعب في محاربة اسرائيل . . ان بين أفراد
عائلتها اربعة من أبناء عمومته قاتلوا في الحرب واستشهد منهم اثنتان . .
فهل جند شريف أيضا في الجيش المصرى لمحاربة اسرائيل باعتباره مواطنا
مصريا رغم أنه يهودى . . ربما لم يلحقه قانون التجنيد لأنه وحيد أبويه من
الذكور . . أو لعل الادارة العسكرية تراعى عدم تجنيد اليهود لعدم ثقتهم في
دوافعهم لمحاربة اسرائيل . . المهم . . كيف تكون عائلتها في حرب بينما
زوجها - لو تزوجت شريف - لا يقبل أن يحارب معها وغاية ما يستطيعه
مهما اشتدت دوافعه الوطنية هو أن يقف على الحياد بين بنى وطنه وبنى
دينه . . أى بين مصر واسرائيل . . رغم أن السلمين والمسيحيين يحاربون
بعضهم بعضا باختلاف أوطانهم . . كل وطن يحارب الآخر مهما تعددت
اديان المواطنين . .

ويعد أن هدأت قليلا . . نادت أختها عليها وأبلغتها أن شريف سيعلم إسلامه وأنها ستتزوج . . وصرخت الأخت كأنها فوجئت بأنها ماتت . . أن شريف لن يكون أبدا مسلما . . ولن يعتبره أحد مسلما . . أنه يهودى . . وستتزوجين يهوديا . . وسيعتبرك الناس ككافرة أو مجنونة . . ويوجهون إليك آلاف التهم ويضيع احترام العائلة كلها . .

وكان زوج أختها أعنف من زوجته في اعتراضه ورفضه . . وكلاهما رفض رؤية شريف عندما جاء يومها للقاء ناهد . . رغم أن المفروض أنه جاء لإعلان الخطوبة وعندما وصل الخبر إلى بقية أفراد العائلة ثاروا جميعا رافضين . . ولكن ناهد كانت قد عودتهم أن تستقل بنفسها عنهم ولا تسمح لأحد منهم بالتدخل في شئوننا الخاصة . . انها هي التي تتزوج فمالمهم ومالها . .

ومرت الايام بسرعة . . وقد لاقى شريف بعض المتاعب في إعلان إسلامه . . ربما لأن كل من كان يقابلهم من المسؤولين عن اتخاذ الإجراءات كانوا يواجهونه بالشك في نيته . . لماذا يريد يهودى أن يعلن إسلامه . . وكان دائما لبقا في كسب ثقتهم . . كان يقول انه مصرى . . ولد في مصر وعاش في مصر ولم تظهر عائلته من أيام جده وجد جده إلا في مصر . . ومصر هي التي تدفعه إلى الاسلام . . وقد وجد نفسه يحفظ تلاوة الفاتحة وكثيرا من آيات القرآن قبل أن يقرر إعلان إسلامه . . ويتردد على زيارة حى الحسين لا مجرد تناول طعام الكباب في مطعم الدهان بل ليكون قريبا من مسجد الحسين . . فهو يحس به كأنه شعار من شعارات وطنية . . وكان في بعض اللقاءات يزيد المصارحة بأنه سيتزوج مصرية مسلمة . . كأنه لا يريد أن يضبط وهو يستغل إسلامه في عمل خفى . . وفي النهاية . . ماذا يصير الإسلام بانضمام أى فرد تحت لوائه . . والنيات في علم الله . . ولذلك تم إعلان إسلام شريف الهنداوى . .

وقد كان شريف خلال تلك الايام قد زار حاخام اليهود . . وأبلغه انه قرر أن يعلن إسلامه . . لا لأن إجراءات الانتقال من دين إلى دين تفرض

كأفراد بل أصبحت تعترف أيضا بإسرائيل . . ولم تعد هناك حرب بين مصر ودولة اليهود . .

ثم أن شريف قرر أن يعلن إسلامه لو قبلت أن تتزوجه . . ربما لو تزوجته لرضى الله وأفاض عليها من بركاته لأنها ضمت إلى الإسلام مؤمنا جديدا . . وكما يرضى الله عن الأمهات لأنهن يلدن مسلمين . . فقد قدمت إلى الله مسلما لم تلده ولكنها تزوجته . .

ولكن . . هل يعلن شريف إسلامه إيمانا بالاسلام ام كمجرد تحايل لاتخاذ الاجراءات التى يفرضها زواجه بها ؟ . . إنها لا تستطيع أن تتدخل في أعماقه لتكتشف مدى إيمانه أو تضطره لأن يتخذ مظاهر إسلامية وهو كاذب فيها . . يكفى إعلانه بأنه مسلم . . والمسلمون بينهم من لا يراعى فروض إيمانه بالاسلام ويتحدون ما فرضه الله عليهم ورغم ذلك فهم مسلمون لهم شخصياتهم كمسلمين . .

ومرت عشرة أيام وناهد ضائعة باستغراقها في افكارها وتساؤلاتها . . ثم ففزت فجأة وأمسكت بسماعة التليفون والتقطت شريف وقالت له فورا :

- هل لا تزال عند راك . .

وقال في هدوء :

- انى عند راك . .

واطلقت كلمات عنيفة كأنها تنطلق من بركان ثائر في صدرها :

- لقد فكرت . . ووافقت . . تعال لأراك هنا في البيت . .

والقت سماعة التليفون قبل أن تسمع رده . . وألقت نفسها على المقعد

منهكة . . يغلبها الاحساس بأنها مقبلة على مغامرة خطيرة . . على تجربة جديدة . . وقد كانت حياتها كلها سلسلة من التجارب . .

بيتها .. ولعل العائلة ثارت عليه أياما ثم عادت واستسلمت له مقدره
دوافعه .. وهذا يحدث دائما .. إنها تعرف كثيرا من المسيحيين أعلنوا
إسلامهم للتزوج من المسلمات .. وكانت العائلات تثور ثم تعود وتضم ابنها
إلى حياتها رغم أنه خرج عن دينها .. بل تعرف مسيحيات تزوجن من
مسلمين وهن محتفظات بديانتهم دون أن يضطرون إلى اعتناق الإسلام
ورغم ذلك تثور العائلة وتحاول وقف هذا الزواج .. إلى أن ينتصر الحب
الذي جمع بين الابنة والرجل الذي اختارته فستسلم العائلة .. تستسلم
للحب .. حتى تظل محتفظة بابنتها .. وقد كانت تعتقد أن اليهود يعتبرون
أكثر تطرفا في التمسك بديانتهم والتحزب لها .. ولكنها تعرف أن كثيرا من
اليهوديات قد تزوجن من مسلمين حتى في مصر .. بل أنها قرأت عن انتشار
حالة زواج بنات إسرائيل من عرب فلسطين حتى أن الحكومة الاسرائيلية
قامت بحملة ضخمة لوقف هذه الزيجات .. حتى تطمئن إلى أن أولاد بنات
اسرائيل سينشأون يهودا .. لا مسلمين ولا مسيحيين كابائهم .. ولعل
هذا كان الدافع لحاخام اسرائيل لاصدار قراره بأن تنسب ديانة الابن لأمه
لا لآبيه .. هذا بعكس البنات العرب في فلسطين .. فهن يرفضن الزواج
بأى اسرائيل يهودى مهما أحاط بهذا الزواج من دوافع .. ربما لأن
المسلمات أكثر تمسكا وأشد ارتباطا بدينهن من اليهوديات .. ودين
المسلمات يحرم عليهن الزواج بغير مسلم .. ولأن الاسلام في فلسطين لم
يعد محصورا في الايمان بالله بل أصبح يشمل الارتباط بالوطن .. وربما
ايضا لأن الرجل في اسرائيل لم يعد يستطيع أن يقدم على إعلان إسلامه ..
لأن خروجه عن دينه أصبح يعنى خروجه عن وطنه .. وايضا لم ينتشر
الزواج المدني الذي لا يحسب حساب الأديان في فلسطين كما انتشر في لبنان
مثلا بين المسلمين والمسيحيين .. لأن الإسلام والمسيحية يمكن أن يتعايشا
في لبنان ولكن الإسلام واليهودية لا يمكن أن يتعايشا في فلسطين أى في
اسرائيل ..

ولهذا كله .. ولكثرة ما قرأت ناهد عن حالة اليهود في العالم كله منذ
عرفت شريف .. لم تطلب منه أن يقدمها إلى عائلته أو يقدم عائلته إليها ..

أبلاغ وعلم قيادة الدين الآخر .. ولكن لأن شريف لا يريد أن يبدو كأنه
يهرب من دينه الذى يجمع كل امله .. ولكن كل شيء يمكن أن يتم
بالمصارحة والاتفاق .. والحاحام يقدر أن الدنيا مصالح .. وقد تكون
مصلحة اليهودى أن يدعى الاسلام .. أو من مصلحة مسلم أن يدعى
المسيحى أو اليهودية .. ومهما اشتدت المصالح فهى لا تؤثر في الدين الذى
يؤمن به الفرد .. مادام الايمان ليس هو الدافع إلى تغيير دين .. بدين ..
لذلك فقد استمع الحاخام إلى شريف في هدوء .. ولم يجادله أو يخاصمه إلا
في حدود ما يفرضه عليه مركزه من رسميات .. وقام يودعه بنفس الحرارة
التي كان يودعه بها دائما كلما زاره .. كأنه مطمئن إلى أنه سيبقى يهوديا

ومرت الأيام بسرعة وتحدد يوم عقد القران ..

وكانت ناهد مستعدة أن تترك بيتها وتعقد قرانها بشريف في أى
مكان .. ولكن كان يغلبها تفضيلها أن يعقد القران في بيتها .. بيت
العروس .. حتى لا تفقد شيئا من تقاليد العائلات .. وحتى يكون زواجها
صريحا كاملا .. وأختها بدأت تستسلم لرادتها .. وقبلت هى وزوجها أن
يعقد القران في البيت .. ولكنهما اشترطا الا يوجها الدعوة إلى غريب حتى
من أبناء العمومة وأبناء الخيلان .. كأنهما يريدان أن يخفيا فضيحة تمس
العائلة كلها .. ولذلك لم يجلس حولها مع زوجها شريف إلا المازون وأختها
وزوجها واولدهما .. وأفراد عائلة شريف .. فقد صمم على أن يدعو
عائلته .. أمه وأبوه وأخته الكبرى وزوجها .. أنهم موافقون على هذا
الزواج فلماذا لا ندعوم .. ولكنه لم يدع أخته الصغرى المتزوجة من
مسلم .. لأنها تعيش خارج مصر وليس هناك حفل عام كبير يفرض دعوتها
وتكليفها بمتاعب السفر ونفقاته .. أن اليهود يقدرين دائما حساب النفقات
في كل مناسبة ..

ولم تكن ناهد قد التقت بعائلة شريف أو عرفت أحدا منهم حتى بعد
أن أعلنت خطوبتها إلى ابنهم شريف .. وكانت تفترض أن العائلة كلها قد
ثارت على الابن الذي خرج عن ديانته وأعلن إسلامه وقاطعته وطردته من

انه يعلم أن ليس في الشرع ما يشترط أن يكون شاهدا الزوج من المسلمين . . . وهو يعتمد أن يحقق التوازن بين المسلمين واليهود في الشهادة على عقد زواجه . . . لقد وقع زوج اخت ناهد وزوج اخته . . .

وانفض الحفل . . . لقد كان حفلا قصيرا باردا . . . ولم تحاول ناهد حتى أن تهتم بما تقدمه لمديعها . . . مجرد اكواب عادية من المرطبات العادية وصينية تجمع قطعاً من الحلوى والشيكولاتة والجاتوه . . . كأنها تشترك مع زوجها في تعود عدم الانفاق على المظاهر إلا في حدود الحاجة إليها . . . وما قدمته كان يكفي . . . انه حفل كأنه اجتماع لكتابة عقد شركة يجمع بين بلدين مختلفين . . .

ويعد انصراف المدعويين . . . اخذ شريف زوجته وانصرف بها . . . ولم تكن هناك أى مشكلة تواجههما . . . فقد كان يعيش في شقة ينفرد بها عن افراد عائلته . . . ولم تطلب ناهد تغيير أى شيء من أثاث هذه الشقة إلا حجرة النوم . . . إنها تريد أن تنام مع زوجها على فراش لم يطأه جسد امرأة أخرى قبلها . . . حتى لو كان ما تصوره عن إيامه السابقة مجرد اوهام . . . وقد اختارت قطع أثاث الحجرة في منتهى البساطة . . . لم تعتمد اختيار القطع الفخمة رغم أن زوجها يستطيع أن يدفع ثمن كل ما هو فخم . . . انها بطبيعتها تحب البساطة . . .

ولكنهما مع الأيام بدأ يعانيان وضعهما في المجتمع الذي يحيط بهما . . . ان عائلتها وأقاربها لم يقبلوا على زيارتها مهنيين كما هي العادة . . . والذين زاروها منهم جاؤوا كأن كل دوافعهم هي الفرجة عليها وعلى زوجها . . . المسلمة التي تزوجت يهوديا . . . حتى عندما دعوا عبد الله نور الدين صاحب دكان الجواهرجي الذي يشاركه فيه شريف . . . جاء وحده بلا زوجته واعتذر عنها بمرضها . . . ورغم المجهود المتفعل الذي كان يبذله ليربطهما بفرحته بهما وتهنئته لهما إلا أن عينيه كانتا تفضحانه وهو ينقلهما يدها وبينه كأنه يتفرج عليهما ويحاول أن يكتشف ما جذب أحدهما إلى

إلى أن كان يوم عقد القران . . . والتقت ناهد بهم والتقوا بها وكل منهم ينظر إلى الآخر مبطلا كأنه يبخلق في مخلوق عجيب يحاول أن يكتشف سره . . . وناهد تحكم عليهم . . . انها عائلة محترمة . . . تبدو كأنها لا ينقصها شيء رغم سنوات العزلة التي يعيشها اليهود في مصر . . . وشخصياتهم واحاديثهم وحتى اختيار النساء لثيابهن التي يبدون بها كلها منطلقة من صميم الشخصية المصرية والواقع المصرى والذوق المصرى . . . وتجمع بين التقافة وتبرق بالذكاء ككل ما في مصر . . . حتى انك لاتستطيع أن تعرف انهم يهود إلا إذا سألتهم أو تقصيت عنهم . . .

ولكن ناهد تحس وهى بينهم أنها غريبة عنهم . . . لا تستطيع أن تحس بأى احساس يجذبها اليهم . . . أو يدمجها فيهم بعد أن أصبحت زوجة لابنهم شريف . . . والأحاديث كلمات مقطوعة وسريعة كمجرد اضطرار كل منهم إلى إطلاق صوته . . . ولعلها احست باقتراب إلى أم شريف . . . انها أكثر طبيعية وأكثر صدقا في تعبيرها عن حنانها لناهد . . . ربما لأنها عجوز . . . وقد قالت لها وهى بجانبها . . .

- لقد أحببتك قبل أن أراك لأنى احسست بعدى حب ابنى لك . . .

انها صريحة . . . تحبها لأن ابنها يحبها لالذاتها . . .

وقد انتهى الحفل سريعا مع انتهاء المأذون من كتابة العقد . . . وقد وقع زوج اختها على العقد كشاهد دون أن يبتسم وكأنه يبصق امضاءه . . . وهم في حاجة إلى توقيع شاهد آخر . . . وليس بينهم من الرجال سوى والد شريف وزوج اخته . . . وكلاهما لا يجد الجراة ليعرض امضاءه على عقد زواج إسلامى وكل منهما يهودى . . . إلى أن شد شريف ورقة الزواج من امام المأذون ووضعه امام زوج اخته وهو يقول له مبتسما :

- شرفنا بامضائك ياناخوم . . .

بمصاحبة ناهد .. وعاشا سعيدين هانئين بمصاحبة هذا المجتمع الاجنبى ..

أما فيما بينهم فلم يكن لقصتهما أى أثر على حياتهما .. ولم يحسا بأى فارق بينهما لأنها مسلمة ولأنه كان يهوديا حتى وقت قريب .. وشريف لا يمارس فروض الاسلام .. وعلى الأخص لا يصل الفروض الخمسة .. ولا يستسلم للاتكال على الله وترديد آيات القران والدعوات كعادة كل المسلمين .. وكان يمكن أن تلاحظ تجاهله التعبير عن إسلامه وتدفعه إلى أداء فروض الاسلام .. حتى تقاوم الاحساس بأنه لم يلجأ إلى الاسلام ايمانا به انما كمجرد إجراء لإنهاء عقد زواجه بها .. اشتراها باسلامه .. ولكن كل هذا لم يخطر على بالها .. وترى في شريف مسلما كباقي المسلمين .. قهى نفسها لا تصل ولا فرضا واحدا من الفروض الخمسة .. ولا تتبع إلا صيام شهر رمضان .. وربما كانت تتبع الصيام للايمان بجذواه الصحية وبحكم تعودها لا لمجرد الخضوع لما قرضه الله .. وشريف ايضا يشاركها صيام رمضان .. ولم يخطر على بالها أبدا أن تتهمه بأنه ليس صائما إلا وهو يجانبها داخل البيت فاذا ابتعد عنها وخرج وحده إلى عمله فربما كان يسلى صيامه ولو بالتدخين .. يكفى انها تراه صائما .. ولم يحدث أبدا أن جمعهما حديث حول الأديان .. سواء عن الاسلام أو عن اليهودية أو عن أى دين آخر .. لا تعدا .. ولكن لأنه لا يخطر على بال احدهما ولا يحيره أى دين .. أن الأديان أوحى بها الله لإسعاد خلقه .. وهما من السعداء .. إلى أن كان يوم ..

ودخل عليها شريف والفرحة تزغرد فوق كل ملامحه وقال :

- لقد جاء خمسة من أقاربي وثلاثة من أصدقائي من اسرائيل .. وقد ذهبوا بمجرد وصولهم لزيارة بابا وأخواتي .. وذهبت إليهم هناك .. لقد مرت أعوام طويلة لم أرىهم .. ورغم أنهم شاخوا إلا أنى أحسست كأن كلا منهم لا يزال شابا وصيبيا .. وعشنا في الذكريات الحلوة .. وقد دعوتهم لتناول العشاء معنا غدا ..

الأخر .. أما أفراد عائلة شريف وأقاربه فقد كانوا أكثر جراءة في الاقبال عليهما وأكثر حرصا على توثيق الصلات بهما .. ولكن ناهد لا تستطيع أن تندمج فيهم .. ولا تزال تحس وهى تستقبلهم بثقل المسئوليات العائلية .. انهم كلهم يهود .. ورغم ان احساسها بهم ليس مركزا على أنهم يهود إلا انها تحس بفاصل يفصلها عنهم .. كان لهم دنيا أخرى لا تراها ويعيشون في أسرار لا تعرفها .. وربما كان مما ضايق ناهد أكثر أن بعض النساء التى كانت تعرفهن وتتعهد تجاهلهن والابتعاد عنهن لاحساسها بأنهن تافهات منحلات ، كن يقبلن عليها ويحاولن فرض انفسهن عليها واكتساب صداقتها بتواى زيارتها والسؤال عنها .. كأنهن اعتبرن انها في دنياهن .. دنيا المغامرات العاطفية والتحرر من التقاليد والمظاهر المحترمة .. لمجرد انها تزوجت من يهودى حتى لو كان قد اسلم .. لمجرد انه أصبح معروفا أن لها قصة حب .. ولكنها لم تضعف أمامهن .. ولا تزال تتعمد تجاهلهن وابعادهن ..

إلى ان استطاعت ناهد أن تتغلب على هذا النقص الاجتماعى الذى تعانیه هى وشريف .. فقد كانت قد انتقلت إلى العمل في مكتبة أجنبية تابعة للسفارة الامريكية .. كعادتها في التنقل من مجال إلى مجال بحكم هوايتها للتجربة .. وقد استطاعت كالعادة أن تنجح وتثبت شخصيتها الدراسية في هذا العمل الجديد .. واكتسبت من الأجانب .. ولا يميز أى واحد منهم عن الآخر أنه مسلم أو مسيحي أو يهودى أو من البوذيين .. كل ما يعرف عن كل منهم أنه أمريكى أو فرسى أو بريطانى أو هندى أو من بلاد الواق الواق .. واستراحت لهذا المجتمع .. وبدأت تدعو أفرادها إلى بيتها وتلبى دعواتهم .. وتنطلق معهم هى وزوجها شريف في نزاهات ورحلات وسهرات .. وهؤلاء الأجانب لا يعرفون أنها مسلمة وأن زوجها كان يهوديا .. وحتى لو عرفوا لا يهتمون ويعتمدون على ما يظهر منهما وعليهما في تحديد العلاقة معهما .. انهم يكتفون بمعرفة أنهما زوج وزوجة .. وفى الوقت نفسه كان شريف ايضا له اتصالات ببعض الأجانب من رجال الأعمال .. وقد يكون بينهم يهود .. وبدأ هو الآخر يدعومهم ويلبى دعواتهم

ولأول مرة وعلى غير عادته بدأ شريف يقوم بنفسه بأعداد وليمة . .
ويتعمد الاشراف والتساؤل عن كل شيء . . وكان أغرب ما قام به أن حرص
على تقديم زجاجات مشروب البيرة مصنوعة في مصر وجمع معها علب بيرة
مصنوعة في اسرائيل . .

وكانت ناهد حائرة وهى تستقبل المدعويين . . انها فتعل الفرحة
وتتعل الترحيب وتقاوم احساسا غريبا بانها تخاف على بيتها من أن يستولى
عليه هؤلاء المدعون . .

وقد سمعت شريف وهو يقدم اكواب البيرة يقول لهم :

- كل منكم يشرب البيرة المصرية . . وأنا وحدى ومن يقيم معى فى
مصر يشرب البيرة الاسرائيلية . . حتى يشعر كل منا بأنه يعيش فى بلد
الأخر . . لقد عدنا واجتمعنا كلنا فى وطن واحد . .

وقد كانت الأحاديث تدور بينهم أحيانا بالعربية وأحيانا بالانجليزية
وأحيانا بالعبرية . . وناهد تعلم أن شريف لا يتكلم العبرية ولكنه يفهمها . .
وكانت كلها أحاديث بينهم وبين بعض يشترك فيها شريف وعائلته . . أما
هى فلا يتعمد أحد منهم بذل أى مجهود فى التحدث إليها . . حتى الزوجات
المدعوات كن يتحدثن بعضهن مع بعض ولا يوجهن لها الحديث إلا إذا
الذكرن أنه يجب أن يشركنها ولو بكلمة . . وقد سألت ناهد إحدى اللاتي
الاعطن عليها بالكلام معها :

- واين أولادك . . لماذا لم يأتون معك إلى مصر . . وقالت الام

بساكحة :

- انهم لا يشعرون بالوحشة إلى مصر كما عشنا نحن نشعر بها . .
لقد ولدوا فى اسرائيل . . وقد حدثتهم كثيراً عن مصر ولكنهم لم يعيشوا
فورها . . وقد وعدوا بالحضور إلى مصر فى العام القادم ليتفرجوا على بلد
اهلهم . .

وقالت ناهد كأنها فوجئت :

- لماذا جاعوا . .

وقال شريف كأنه يلومها :

- الا تعلمين أن الحدود فتحت بين مصر واسرائيل ولم يعد هناك
ما يفرق بين الأقارب والأصدقاء . . كلنا الآن نعيش وكاننا فى بلد واحد . .

وقالت وهى ساهمة :

- وهل يعلمون حكايتنا . .

وقال شريف فى نفور كأن ناهد تجرح فرحته :

- أى حكاية ؟

قالت كأنها تذكرت حكاية كانت قد نسيتها :

- حكاية أنك لم تعد يهوديا وأصبحت مسلما . .

وصاح فى عنف :

- ما دخلهم فى هذه الحكاية وماذا يهمهم منا . . سواء كنت يهوديا أو
مسلمنا فنحن اقارب وأصدقاء . . وقالت كأنها مستسلمة :

- لك حق . .

وقال وقد عادت إليه كل فرحته :

- انى أريد أن اقدم لهم كل ما افتقدوه فى مصر . . خصوصا
الملوخية . .

- ان الافا من اليهود يزورون مصر . . ولكن لا يزورها من المصريين
إلا من يعتقد أنه يستطيع أن يحقق مصلحة هناك . . ومرسى عبد السفنح
هو مقابل بناء ولعله يعتقد أن اسرائيل ستقيم مباني كثيرة في مصر ويحاول
أن يكتسب ودها في علاقته بها . . هكذا اثبتت التقارير والدراسات . .

وقال في حدة :

- إذا كانت زيارة اسرائيل لتكون إلا لتحقيق مصلحة . . فيجب أن
تعلمى أن تجار الذهب والمجوهرات . . والصياغ . . واساتذة كحت الماس
الطام وتحويله إلى فصوص . . و . . و . . كلهم سواء كانوا في مصر أو من
أخرى بلد في العالم قد أصبحوا يقيمون في اسرائيل . . وأنا صائغ وجواهرجى
وسأحقق مكاسب ضخمة بالاتصال بهم . .

وقالت في برود :

- اذهب اليهم وحدك . . فهو عمك وليس عملى . . ولا شك أنك تعلم
أني لم أكن سعيدة بزيارتهم لنا ولن أكون سعيدة بأن أذهب اليهم . .
وسافر شريف إلى اسرائيل وحده . .

وناهد رغم أن دراستها شملت العلوم السياسية . . ورغم أن من
بإيديها الرغبة في الاطلاع واستيعاب كل الشئون التي تخطر على فكرها بما
فيها الشئون السياسية . . إلا أنها لم تشترك أبدا في أى تحرك سياسى ولم
يعرف عنها أبدا أنها صاحبة موقف ولا حتى رأى سياسى . . انها لا تتعمد
الإشتراك أبدا في أى أحداث سياسية كأنها تكتفى بالوصول إلى المنطق
السياسى . . تحدد به اقتناعا سياسيا تحتفظ به داخل منطقتها الخاص . .
هذا المنطق كان يوحى إلى عقلها منذ زمان طويل بوقف الحرب بين مصر
اسرائيل . . ولكن نفس المنطق لم يكن يصل بها إلى الثقة في اسرائيل . .
أو الاقتناع بكيانها كما هو قائم وكما وصلت به إليه . . كأنه منطق ست

وسكنت ناهد كأنها تتبلع هذا الكلام . . وقد مضت الدعوة وهى تحس
بوحدة عجيبة كان هؤلاء الناس استولوا فعلا على بيتها ولا يحتاجون إليها
إلا لتلبية الطلبات وتقديم الطعام . . كأنها مجرد خادمة . . إنها ليست ست
البيت . . لقد أصبحت في هذه الساعات خادمة البيت . .

وبعد أن انصرفوا انطلق شريف بفرحته يروى لها ما سمعه من هذا
أو ذاك . . وهى تستمع إليه دون تعليق ولا اهتمام . . وربما أحس بعدم
ترحيبها بهذه الدعوة فلم يكررها . . ولكن لاشك أنه كان على اتصال دائم
بمعارفه الذين جاءوا إلى مصر . . وكان أحيانا يعود ويروى لها أخبار لقائه
بهم ولكنه غالبا لا يروى شيئا رغم احساسها بأنه كان معهم . . وبعد ثلاث
أسابيع فاجأها مرة ثانية قائلا في فرحة :

- سنسافر إلى اسرائيل بعد غد . .

وارتعشت رموشها فوق عينيها كأنها تطرد سحابة تعميها ثم قالت
وهى تحاول أن تكون هادئة :

- لن أسافر معك . .

وصاح غاضبا في عنف :

- لماذا . . لماذا لا تريدان زيارة اسرائيل . . لقد انتهى ما كان وتحق
الافتتاح . . والآف من المصريين مسلمين وأقباط يزورون اسرائيل . .
ومرسى بيه عبد السميع بجلالة قدره سيزور اسرائيل . . وقد سبق أن
اتصل بى وطلب منى أن اعرفه بأصدقائى الذين جاءوا من اسرائيل وأقا
لهم دعوة فخمة . .

وقالت مقاطعة وهى تبتذل جهدا للاحتفاظ بهدونها مع ابتسامة

ساخرة :

عربية تتجنب سبعا أو تسعا أو عشرة من الأولاد . . وسيأتى اليوم الذى يسيطر فيه العرب على اليهود ويحكمون اسرائيل باسم الاغلبية الديمقراطية . . فحتى الديمقراطية لاتصون مستقبل اليهود إذا عاشوا مع العرب . .

وقالت ناهد وهى تنظر إليه بازدراء كأنها تتباهى بثقافتها :

- ان النساء العرب ينجنن أسلحة . . كل ابن لها هو سلاح لضمان المستقبل مهما كلفها إنجابها . . وانجاب الأولاد غال يكلف الكثير كالثمن الذى يدفع لاستيراد الأسلحة . . ويوم يتحقق السلام العادل فربما تعدت النساء الراحة من انجاب كل هؤلاء الأولاد . .

وصاح شريف وكأنه يهرب من الكلام :

- ان هذه المواضيع لم تكن مجالا للكلام مع من قابلتهم في اسرائيل . . ولم تكن هناك مناسبة له . .

وقالت ناهد ساخرة :

- على كل حال فاننا لم نسمع عن أى يهودى من أصل مصرى له شأن أو أى قيمة في المراكز القيادية باسرائيل بحيث يمكن أن تكون هناك يهودى من مناقشته في مثل هذا الحديث . . ان كل يهود مصر بل كل اليهود العرب كانوا يعتبرون من أغنى يهود الدنيا . . فقد كانوا يعيشون في الوطن العربى ولهم قيمة تصل إلى قمة السيطرة الاقتصادية . . ثم ذهبوا إلى اسرائيل ليعيشوا بلا قيمة . . وكانهم مجرد اجراء لتأدية الاعمال التى يحتاج إليها يهود أوروبا . . كأنهم الزنوج التى كانت تهربهم أمريكا إلى أرضها لتسخيرهم كأيد عاملة . . كأنهم زنوج الفلاشا الذين هربتهم اسرائيل أخيرا من الحبشة ليكونوا عبيدا لليهود أوروبا وأمريكا . .

وصرخ شريف :

البيت التى لم تعد تطيق ثوبا من ثيابها ولكنها لا تمزقه وترميه وتتخلص منه ولكنها تغيره وتعديل فيه إلى أن تقتنع به وترتاح إليه . .

فلم تكن المظاهر السياسية والدوافع الوطنية وحدها هى التى دفعت ناهد إلى رفض زيارة اسرائيل . . ولكنه عدم اقتناعها بوضع اسرائيل وعدم ارتياجها لها . .

وقد عاد شريف من اسرائيل بعد اسبوعين . . وأخذ يحكى لناهد عما شاهده وسمعه . . وقالت له بعد أن استمعت إليه طويلا :

- الم تحاول أن تعرف منهم سر اعتداءاتهم على العرب وتحاول معهم البحث عن طريق لوقف هذه الاعتداءات . .

وصاح شريف في حماس :

- انها ليست اعتداءات . . انه دفاع عن النفس . . وكل يهودى يعيش في اسرائيل وهو في حالة خوف . . ولا تتصورى عدد من ضاع منهم سواء في حرب أو بلا حرب . .

وقالت كأنها تلومه :

- الذين ضاعوا من العرب اضعاف الاضعاف . . حتى ان اسرائيل اليوم تبادل ثلاثة من اليهود الذين يأسرهم العرب بثلاثة آلاف عربى يأسرونهم . . وحتى أصبح العرب هم الذين يطالبون بالسلام واليهود هم الذين يرفضون السلام . .

وقال شريف كأنه تأثر :

- أى سلام هذا . . ان هذا الوطن لا يمكن أن يكون إلا وطننا لليهود أو وطننا للعرب . . لعلك تتصورين لهذا الوطن نظما ديموقراطية تجمع بين الجانبين . . فاعلمى ان العرب يتزايدون في الانجاب كالدود . . كل امرأة

وقالت مبتسمة ابتسامة هادئة طبيعية :
.. لأنى سأبقى هنا ..

وصاح :

.. لماذا .. ماذا حدث .. ماذا تريدين ؟

وشدته من يده وهى محتفظة بابتسامتها وأجلسته على مقعد كأنها توفر له الراحة وتوصيه باحتمال ما سيسمعه .. وقالت :

.. ان حكايتنا كانت حكاية بينى وبينك انفصلنا بها عن المجتمع كله .. المجتمع الذى يحيط بى ويحيط بك .. وكانت كل دوافعها هو اقتناعى بك واقتناعك بى .. واحساسى بك واحساسك بى .. وقد فقدت اقتناعى واحساسى بك .. لذلك يجب أن ننفصل .. لأنه ليس لدينا شيء آخر يجمعنا سواء الاقتناع أو الاحساس .. وكما اتخذنا قرار الزواج وحدنا فإنا وحدنا نتخذ قرار الانفصال .. الطلاق .. ولا تحاول ان تسألنى لماذا .. كل ما قلته لك هو مجرد الاقتناع والاحساس ..

وأطل شريف فى حديث يحاول به أن يحتفظ باقتناعها واحساسها به كما كان .. ولكنها مضممة .. وهدهوا الكامل يغظه ويثيره حتى قال كأنه يهددها :

.. لقد أسلمت لاتزوجك .. فماذا اصنع بالاسلام بعد أن تتركينى ..
وقالت فى لهجة حانية :

.. ان الدين هو التعبير عما بينك وبين الله .. لا مجرد التعبير عما بينى وبينك .. وأنت حر فى التعبير عما بينك وبين الله ..

ونظر نفسه قافزا كأنه يهرب من جحيم .. وهى تنظر وراه مودعة فى هدمت خزين .. كأنها تودع نهاية فشل ..

لقد فشلت لأول مرة فى حياتها ..



.. ان يهود مصر لم يختطفوا .. لقد اختاروا .. ومن حق كل انسان أن يختار وطنه .. بل أن القوانين الحديثة تتيح لكل يهودى أن يجمع بين وطنين ويحمل شخصيتين وطاقتين ..

وقالت وهى تضحك ضحكة مرة :

.. لعلك تفكر فى أن تحمل بطاقة مصرية وبطاقة اسرائيلية ..

ولم يرد شريف عليها واختفى من امامها كأنه يهرب منها ..

ومرت أسابيع وقد بدا يعيشان حياة كأنها حياة أخرى .. وان كان كل منهما يعتمد ألا يثير مع الآخر حديثا يدفعهما إلى مثل هذه المناقشات الحادة ..

إلى أن جاء شريف يبلغها انه مضطر للسفر مرة أخرى إلى اسرائيل .. وسكنت .. وسافر وحده .. ووجدت نفسها بعد أن سافر زوجها تقوم وهى فى حالة عادية كأنها لا تفكر فيما يمكن أن يحيرها أو يثيرها وجمعت ثيابها ولوازمها فى حقيبتين .. وحملتهما وذهبت لتقيم فى بيت أختها ..

واستقبلتها أختها فى فرحة هادئة .. كأنها فى انتظار عودتها .. وفتحت لها غرفتها لتقيم فيها كما تعودت .. وبدأت الأخت وزوجها يسألانها عما حدث .. وردت عليهما ناهد فى كلمتين دون أن تترك لهما مجالاً للمناقشات أو لمزيد من التساؤلات .. لقد عودتهما الا يحاسبها أو يتدخل فى شئونها أحد ..

وقد عاد شريف من اسرائيل بعد اسبوع .. وهرع ملهوقا إلى بيته .. لقد حاول أكثر من مرة أن يتصل بزوجته بالتليفون وهو هناك فلم يكن يجدها فى البيت .. والقى بحقيبته .. وجرى إليها .. لا بد أنها فى بيت أختها .. واستقبلته فى هدوء .. وتركته يقبل وجنتيها دون أن تبادلها قبلاتها .. وقال فى صمت مرتعش :

.. لماذا أنت هنا ؟

ابدا . . ولكن لعله كان يهرب من الشحاذة - خصوصا بعد ان كبر ولم يعد طفلا يثير شفقة الناس - خوفا من ان يفكر ابيه يوما في ان يقوم بتشويهه ويتر ساقه او ذراعه ليضمن له استدرار شفقة الناس . . ثم ان الشحاذة ايست مهنة سليمة مهما ارتفع دخلها . . انها مهنة تفرض صبر طويل على حالة من الذل والهوان يمثلها الشحاذ ساعات طويلة وهو مجمد في داخلها وملقى على الرصيف كأنه كوم من الزبالة . .

وكان يقيم مع والده في عشة صغيرة من الصفيح ملقاة فوق رمال سحراء خلف قراة المجاورين . . وكان على مقربة عشة اخرى يقيم فيها الشيخ عاشور مقرئ المقابر . . وعلى الناصية الاخرى تقيم ام فردوس ومعها ابنتها الطفلة فردوس في حفرة واسعة من الارض يغطونها بقطع من القماش والواح من الصفيح . . وكان يلح رجالا يأتون إلى حبيهم في المساء ويلقون بأنفسهم في إحدى الحفر المنتشرة في الرمال وينامون حتى الصباح ثم يختفون . . وقد يعودون أو لا يعودون . . وكان يلح أحيانا بعض هؤلاء الرجال ينزلق الواحد منهم إلى حفرة ام فردوس ويغيب ساعة ثم يظهر ويختفى . . وعرف فيما بعد ان ام فردوس تبغ نفسها لمن يهبط اليها في الحفرة نظير خمسة قروش وأحيانا مقابل قرشين . . ولا يدري هل تبغ معها ابنتها ايضا أم لاتزال تبخل بها عن امتاع الرجال . .

وكان يعيش هذا المجتمع كأنه مجتمع طبيعي . . مجتمع الدنيا كلها . . لا يستطيع ان يفرق فيه بين الحرام والحلال . . وبين الصح والخطأ . . كل ما هناك ان الدنيا فلوس . . والذين يعيشون في البيوت معهم من الفلوس أكثر مما مع الذين يعيشون في العشش . . ولكن لا فارق بين الناس . . كلهم ناس . . وكان يحب ام فردوس ويحس بها كأنها امه . . وهي ايضا كانت تحبه وتدله بضحكاتها وتضفي عليه كل ما ينقصه من رعاية الام . . وتدعوه كثيرا ليأكل معها هي وابنتها إذا وجدت عندها يوما والى ليشاركهما الأكل . . وهي التي كانت تحب له جلبابه القديم الذي كان دائما ممزقا حتى أصبح كله من خيوط ام فردوس . . وكانت هي أول من

أبى شحاذ

منذ وعى منصور الحياة وهو يعيش مع أب شحاذ . . يحترف الشحاذة . . ثم عرف ان ذراع ابيه المبتورة وكفنه الموعج وساقه الملتوية الملوصة ومظهره الغلبان المشوه ليس نتيجة حادث وقع له أو نتيجة قدر ولد به . . ولكنهم أخذوه وهو طفل وشوهوه حتى يستطيع ان يحترف الشحاذة ويحقق النجاح في حياته كشحاذ . . واما ايضا كانت شحاذة ولكنها ماتت وهو لا يزال في العام الأول من عمره . . ولا يخطر على باله انها ماتت من الجوع فرغم انهم شحاذون فان الجوع لم يطرا على حياتهم ابدا . . ربما ماتت من ثقل حياتها مع ابيه . . ان مجرد المعيشة معه تزهد الروح . . وقد كان أبوه يصحبه معه للشحاذة منذ كان في الثانية من عمره . . والحمد لله ان اباه لم يفكر في ان يجرى له عمليات تشويه حتى يعده ليكون شحاذا ناجحا . . ولكنه اعتمد على ادعاء العمى وان هذا الابن الصغير هو الذى يقوده . . مع وضع هذا الطفل في مظهر الفقر حتى انه كان يلبسه جلبابا قذرا ممزقا لا يكاد يحل الشتاء حتى يرتعش من تحته . . وابوه يبارك رعشته لأنها تدر عليه دخلا اكبر من الشحاذة بإثارة اشفاق الناس . .

ومنذ البداية وهو لايهوى الشحاذة ولا يطبقها حتى أنه بعد أن كبر قليلا كان يتعمد أحيانا أن يهرب من ابيه قبل ان يستيقظ من النوم حتى لا يأخذه معه في جولة كل يوم . . وليس ذلك لان الله وهبه احساسا بالاعتزاز بالنفس يرفعه عن أن يكون شحاذا . . انه إلى اليوم لا يزال يعتبر الشحاذة مهنة شريفة محترمة تعتمد على فن وذكاء كأي مهنة أخرى . . وتعتمد على موهبة في التمثيل كموهبة الممثلين على المسرح أو على شاشة السينما . . والفرق ان الشحاذ يمثل على رصيف الشارع ويمثل دورا واحدا لاينتهي

يخطوان خطوة بعيدا عن المقبرة حتى يمد الشيخ عاشور يده دون أن ينطق بكلمة ويأخذ القروش التي وصلت ليد منصور . ويستسلم منصور دون أن ينطق بكلمة هو الآخر . لقد كان الشيخ عاشور يعتقد أنه يمن على منصور بأنه يتركه يستمع إليه أو يصحبه . وهذا يكفي . وفي يوم قال منصور للشيخ عاشور في استجداء :

- حفظنى ياسيدنا الشيخ . .

وكان يريد فعلا أن يحفظ القرآن . . كانت من طبيعته أن يتطلع إلى اكتساب كل شيء . . وهو يريد أن يكتسب حفظ القرآن . . لم يكن يخطر على باله أن يكون مقرئا هو الآخر كالشيخ عاشور . ولكنه فقط يريد أن يكتسب شيئا جديدا يضيفه في بناء نفسه . . ومن يدرى . . ربما احتاج يوما أن يثبت أنه حافظ للقرآن . . وقال له الشيخ عاشور كأنه ينهره :

- وماذا يعود عليّ أنا لو حفظك . . هل تريدني أن أقضى الليالي القنك كل كلمة وأهلك لسانى وأحرق دمي وليس لي من نصيب الا التمتع برؤية وجهك . . قل لأبيك أن يخرج بعض ما عنده ويدفع ما يعوضنى عن تحفيظك . .

ومنصور يعرف أن أباه لا يمكن أن يخرج مليما واحدا ليدفعه لأحد ولا لابنه ولا حتى لنفسه . . فكل حياته وكل ما حوله شحادة . . إن كل لقمة يأكلها أو يعطيها لابنه ليأكلها لقمة مشحودة . . وكل ما يستر به جسده وجسد ابنه مشحود . . حتى لو مرض فهو يستطيع أن يشحذ الدواء . . ورغم ذلك فمنصور يعرف أن أباه قد جمع من الشحادة قطعا من التقود لاتعد ولا تحصى . . مئات وربما آلاف . . وهو يحتفظ بما جمعه داخل المرتبة التي يدها على الارض وينام عليها وحده . . بينما يترك ابنه ينام على قطعة من الخيش كان قد وجدها في أكوام الزبالة أو لعله شحذها . . وكان بعد أن يعود إلى العشة في المساء ويجد فيها منصور يجلس قليلا يسترد انفاسه ثم يسرخ في ابنه :

وضع في قدميه حذاء لا يدرى أين وجدته . . وكان حذاء واسعا يجره بقدميه . . وهو فرح به . . وقد وضع قدميه في حذاء قبل أن يضعهما في جورب . . مضت سنوات قبل أن تصل قدميه إلى جورب . . وهو قد تعود منذ البداية أن يمد يده إلى كل ما يستطيع أن يدها إليه . . قد يدها إلى تقاحة معروضة أمام دكان الفكهاتى . . أو يدها إلى حزمة من أعواد الملوخية معروضة أمام دكان الخضروات . . أو يدها إلى كيس معلق لدى دكان بقال دون أن يعرف ما فيه ولكن لاشك أن فيه شيئا يؤكل . . وفي مرة مد يده إلى دجاجة صاحبة واستطاع أن يأخذها لنفسه . . إن أغلب ما تمتد إليه يده يحمله إلى أم فردوس ويشاركها فيه . . وقد كان يهوى مد يده أكثر مما يهوى الشحادة مع أبيه . . ولم يكن يتجرأ على مد يده قبل أن يفكر . . انه ذكى . . يحسب حساب كل ما حوله . . ولم يحدث أبدا أن ضببت يده الممدودة . . هل ولد ومن طبيعته أن يكون لصا أو نشالا . . لا يهوى . . إن السرقة هي نوع من الشحادة . . ولكن السرقة تغفى الشحاذ من الذل والهوان ومن الصبر الطويل وهو مكوم على الرصيف ككوم الزبالة حتى يستدر اشفاق الناس . . أن اللص هو سيد نفسه ، والناس تحت رحمته وليس هو الذى تحت رحمتهم . .

وهو أيضا يحب الشيخ عاشور ويقضى الليالي أحيانا يسمعه وهو يرتل القرآن لنفسه . . وأحيانا كان يصحبه وهو يطوف بين المقابر إلى أن يدعوه أحد إلى مقبرة فيجلس ملتصقا بها ويتلو تلاوة سريعة تختلط كلماتها وترن كأنها عجلات قطار تجرى في منتهى سرعته . . ثم ينتفض واقفا يمد يده ليأخذ أتعابه . . إلا إذا نهره أهل المقبرة وطلبوا منه أن يستمر في التلاوة . . فيعود ويجلس مستسلما ويطلق رنين عجلات القطار . . ولكن الشيخ عاشور معروف بأنه في منتهى البخل . . ولم يمن على منصور أبدا بشيء ولا حتى بلقمة خبز رغم ازدياد عشته دائما بأرغفة العيش التي يجمعها من المقابر . . وعندما كان يسمح له بمصاحبته إلى المقابر كان الأهالي أحيانا يشفقون على هذا الصبى الذى يصاحب المرقىء ، وقد يظنون أنه ابنه فيحسنون عليه بقروش بعد أن يكون قد دفعوا أتعاب عاشور . . ثم لا يكاد أن

وصاح الشيخ عاشور في وجهه :

- تتبارك به ولعل الله يرضى عنك ويعينك على حفظ القرآن . ثم يجب دائما أن تعرف ماذا حفظت من المصحف حتى لو كان بمجرد النظر إلى الآية دون أن تقرأها . .

وهمس منصور بينه وبين نفسه . . بسيطة . . إنه يرى كثيراً من مصاحف القرآن موضوعة فوق المقابر خصوصا في المدافن الكبيرة القديمة . . وخرج في الصباح إلى قراقة المجاورين ، وأخذ يطوف بين المقابر إلى أن أستطاع أن يتسلل إلى مدفن واسع كأنه قصر ، ويعرف إنه مدفن لآحد الباشوات القدامى ، ولا يزال أبناء الباشا وأحفاده يدفنون فيه . . ووجد على قبر الباشا مصحفا كبيرا تلمع على غلافه خطوط من ذهب . . ويبدو أنه مصحف جديد لعل الأحفاد جاءوا به حديثا أحياء لذكرى الباشا . . وقرر أن يمد يده إلى هذا المصحف ليتفأخر به أمام الشيخ عاشور ، ويتباهى بأن الله راض عنه حتى وهبه القدرة على الحصول على كتابه المقدس في أقخم صورة . . ولكن كيف يحمل هذا المصحف ويخرج به أمام الناس . . وهده ذكاؤه بسرعة فنزح مخده موضوعة على أريكة من أرائك المدفن . . نزعها من الكيس الذي يغطيها . . ووضع مكانها المصحف الكبير ثم حمل الكيس فوق ظهره وسار به بين الناس . . وطبعاً لم يخطر على بال أحد أنه يحمل تحفة مسروقة . . وهو مطمئن . . أنه ليس لصاً . . فكتاب الله لا يمكن أن يسرق . . وهو ملك لكل يد تصل إليه لأنه ليس ملكاً لأحد ، ولكنه ملك الله . .

ويهر الشيخ عاشور فعلاً وعيناه مبهلقتان في جمال وفخامة المصحف المطبوع . . ثم وضعه بجانبه وشد مصحفه القديم المتوسط الحجم قائلاً لمنصور :

- ما جئت به سيكون لي . . وهذا يكفيك . .

وبذل الشيخ عاشور يومها مجهوداً أكبر في تحفيظ منصور . .

- أبعد عن وجهي . . ولا أريدك أن تدخل على إلا بعد أن أنام . . ويخرج منصور من العشة طائعا . . ولكنه كان يستطيع أن يتلصص بعينه على أبيه من ثقب في لوح الصفيح فيراه يخرجاً سكيناً صغيراً يشق به المرتبة التي ينام عليها . . ثم يجمع من بين ثنايا جلبابه كمية من النقود يديسها داخل المرتبة . . ثم يعود ويخرج من جلبابه أيضاً خيط وابرة ويحك الثقب الذي فتحه في المرتبة . . ثم يعيد كل شيء إلى مكانه ويمتد فوق المرتبة وينام . . ينام فوق الكنوز التي يجمعها . . وقد انتفخت هذه المرتبة بما فيها حتى اضطرب أبوه يوماً إلى أن يشحذ مرتبة ثانية يضعها فوق الأولى ويدس فيها ما يستجد من قطع النقود وينام عليها . . والغريب أن أباه كان يترك المرتبتين كل صباح ويخرج إلى سوق الشحادة وهو مطمئن إلى أن أحداً لن يصل إليهما ليسرق الكنز . . مع أن العشة الصفيح تكفي لمسة يده لتنتهار كلها وتصبح الكنوز في العراء . . لعله كان مطمئناً إلى أن أحداً لا يمكن أن يصدق أنه يحتفظ في عشته بكنز . . أو ربما كان من تقاليد الحى أن لا يعتدى أحد من أهله على الآخر أو يقتحم عشته . . وفعلاً لم يضع مليماً واحداً مما جمعه أبوه في المرتبة طوال هذا العمر الطويل . .

- واحترام منصور من أين يأتي للشيخ عاشور بثمن تحفيظه القرآن . . إلى أن لمح وهو يجوب الشوارع والحواري جلباباً واسعاً معلقاً على حبل ينتشر عليه ما يغسل من ثياب إلى أن تجف . . واستطاع أن يمد يده إلى هذا الجلباب ويجري به إلى الشيخ عاشور ليعطيه له كدفعة من أتعابه . . وقلب الشيخ عاشور الجلباب بين يديه ولم يسأل منصور من أين أتى به . . ثم بدأ فوراً في تحفيظه القرآن . . يتلو الآية ليردها وراءه إلى أن يحفظها . . وبدأ معه بتلاوة الفاتحة . . ثم قال له :

- ينقصك مصحف . .

وقال منصور :

- ماذا أفعل بالمصحف وأنا لا أقرأ . .

الذى يعلمه أقل من جنيته كامل في أول كل شهر . . علاوة على ما تجود به العائلة وترسله له مع الابن . .

ولكن منصور بعكس ما يقول الشيخ يحس انه يريد أن يتعلم . . أنه يغار من الأطفال الذين يراهم في الشوارع يحملون الكتب وحقائب المدرسة . . ويتردد كثيرا على أبواب المدارس ويقف يتفرج على الطلبة الصغار وهو يتمنى أن يكون معهم . . ما ذنبه إذا كان ابن شحاذ حتى يحرم من أن يكون كبقية الأطفال . . إنه يريد أن يتعلم كما يتعلمون . . ولكن . . من أين يأتي بالجنيه الذى يدفعه كل شهر للشيخ عبد المولى . . إنه رغم اعتماده على يده الخفيفة التى يمدها لكل ما يريد إلا أنه لم يتعود حتى اليوم أن يمدها إلى النقود . . لم يسرق أو ينشل أبدا أى مبلغ من المال . . ووجد نفسه منقادا إلى فكرة خطرت له . . فذهب إلى جيبهم ودخل إلى أم فردوس وطلب منها خطا وابرة والمقص الذى تحتفظ به . . ثم دخل إلى عشته وأبوه غائب عنها . . وفتح ثوبا في حافة المرتبة ومد يده فيها وأخرج مجموعة من أوراق النقد الصغير أخذ يعد فيها حتى استكمل الجنيه وبدأ يتعلم القراءة والكتابة . . والشيخ يقول له :

- قل لابيك يفتح يده ولا يحرمانا . . يشحذ لنا كما يشحذ لنفسه . .

ومن يومها أصبح الطريق السهل امامه هو الطريق إلى مد يده داخل المرتبة . . حتى أنه استطاع أن يحصل على مقص خاص به كما حصل على الابرة والخط حتى لا يحتاج إلى أم فردوس وتكشف سره . . وقد بدأت يده تمتد إلى أكثر مما يحتاج إليه الشيخ عبد المولى ليعلمه . . لقد بدأ يعطى أيضا الشيخ عاشور الذى يحفظه القرآن . . وكان يعطى أحيانا أم فردوس لتشتري له قطعة لحم فقد اشتاق أن يمضغ اللحم . . ولا أحد يسأله من أين يأتي بما في يده . . لم يتعود أهل الحى أن يسألوا من أين . . وهو في نفس الوقت لا يزال يمارس موهبته في أن يمد يده إلى كل ما يغيره بمد يده خارج المرتبة . . وقد استطاع أن يمد يده إلى عمامة كاملة أخذها إلى الشيخ عبد المولى هدية له حتى يهتم بتعليمه . . كما استطاع ان يمد يده إلى خذاء

إلى أن قال له منصور يوما :

- أريد أن أقرأ ياسيدنا الشيخ . . علمنى القراءة . .

وقال له الشيخ عاشور دون أن يعلق بشيء :

- اذهب إلى الشيخ عبد المولى في حوش بركات بالمجاورين -

وكان حوش بركات من المرافق القديمة الفخمة . . كأنه قصر من قصور الامراء . . وكان أفراد عائلة بركات من الكرم وسعة العقل حتى إنهم خصصوا جانبا من الحوش الواسع ليكون شبه مدرسة مجانية لتعليم أطفال الفقراء القراءة والكتابة . . وعهدوا بهذه المدرسة إلى الشيخ عبد المولى - بعد أن توفي الشيخ الذى تولاهما قبله - ويدفعون له راتبا شهريا . . وعندما ذهب منصور إلى الشيخ عبد المولى نظر إليه كأنه يستعرض شكله ثم سأله في قرف وازدراء :

- ابن من ياواد ؟

وقال منصور وهو يرتعش أمام الشيخ عبد المولى :

- ابن برهوم الاكثع . .

وقال عبد المولى بعد أن بصق بصقتين في قرف :

- برهوم الشحاذ . . امش من امامى ، وإن رأيتك مرة ثانية فسأقطع رقبتيك . . ولكن منصور لم يمش من امام الشيخ وأخذ يتحائل عليه ويكي حتى يجود عليه بأن يعلمه القراءة والكتابة . . ولكنه فهم من كلام الشيخ أن المدرسة وإن كانت مدرسة خيرية مجانية إلا أنه يجب أن يدفع له . . أن الشيخ يقول أن الطفل كى يتعلم يجب أن يحس بأن أباه يدفع ثمن تعليمه ، فالطفل لا يشعر أبدا بحاجته إلى التعليم . . كل ما يشعر به هو حاجته إلى الهرب من المدرسة ومن الذين يعلمونه . . والشيخ عبد المولى لا يقبل من

وفي هذه اللحظة كان يمر امام العشة عدد من الافراد المشردين الذين تعودوا ان يفدوا على الصحراء ، ويناموا في الحفر ، ويختفوا في الصباح . . . افراد ليسوا من اهل الحى . . . وسمعوا الصراخ فانحنوا إلى داخل العشة مستطلعين فإذا بهم يرون القروش مدلاة من ثقب المرتبة المفتوح ، فسقطوا فوق المرتبة يمزقونها ويستولون على ما يجدونه فيها . . . فتحوا خزانة برهوم الاكثع الشحاذ . . . وهو راقد على الارض يصرخ ويشوح بعكازه . . . ولم يتوقف منصور بل انضم إلى المهاجمين وأخذ يجمع هو الآخر ما تصل إليه يداه ويعبىء به حجر جلبابه . . . ثم جرى خارجا من العشة إلى عشة أم فردوس والقى بما جمعه على ارضها . . . ثم عاد يجرى عائداً إلى أبيه . . . ووجد المشردين وقد تركوا العشة . . . وآباء ملقى صامتا على الأرض . . . والمرتبتين اللتين كان أبوه ينام عليهما ممرقتين حتى آخرهما وليس فيهما شيء من أموال الكنز . . . لم يجد شيئاً سوى بضعة قروش منثورة في أنحاء العشة . . . وانحنى على أبيه يتحسسها . . . لقد مات . . .

مات أبوه من الصدمة دون أن يعتدى عليه أحد . . .

وعرف كل اهل الحى الحكاية واستمروا يتندرون بها . بعضهم حزين ، وبعضهم ساخر ، ولم يفكر منصور ولا أحد من اهل الحى لإبلاغ البرليس ليبحث لهم عن الذين اخذوا اموال كنز الشحاذ ويستردها منهم . . . بل لم يحاول أحد الإبلاغ عن موت برهوم الاكثع . . . لا أحد يبلغ عنه من أبناء هذا الحى سواء من الاحياء أو الأموات . . . ووقانا الله شر الحكومة . . .

ودفن برهوم الاكثع بعد ان لف في قطعة قماش مهلهل وبعد أن قرأ عليه الشيخ عاشور بعض الآيات واختاروا لدفنه حفرة ليست مقبرة ولا حتى مقبرة صدقة . . . ولم يبك عليه أحد ، ولا ابنته منصور الذى ذهب إلى أم فردوس وأخذ يعد ما خرج به من كنز أبيه . . . وهى جالسة امامه تبتسم كأنها فرحة به وبما عاد إليه . . . ولكنه مبلغ صغير لا يتجاوز عشرة جنيهات كلها من القروش والملايم . . . جمعها وأعطاهام لام فردوس لتحتفظ بها . . .

جديد يضع فيه قدميه ولكنه تعذر عليه أن يجد جوربا يمد يده اليه فاشتره من خزينة المرتبة . . . كما لايزال يعتمد على مد يده ليأكل . . . فيحصل على اصناف مما يؤكل يحملها إلى أم فردوس لتعدها له . . . وهو حريص على الاستمرار في حفظ القرآن حتى حفظ منه معظم سوره وآياته . . . كما أنه كان حريصا على تعلم القراءة والكتابة حتى اجادها . . .

وهو الآن يريد أن يحصل على شهادة . . . الشهادة الابتدائية . . . لماذا لا يحصل عليها كبقية اولاد الناس . . . وما ذنبه انه ابن شحاذ ويقيم في عشة ملقاة في الرمال بعيدا عن حى المجاورين . . .

وقال له الشيخ عبد المولى أنه يستطيع أن يحصل على الشهادة دون أن يلتحق بمدرسة . . . يتقدم إلى الإمتحان من منزله كما يفعل كثير من الاولاد . . . والشهادة تحتاج إلى كتب وأوراق وأقلام . . . وقد استطاع أن يمد يده إلى كثير من الحقائق المدرسية التى يحملها طلبة المدارس الابتدائية ويجد فيها ما يحتاج إليه . . . ولكنه كان أحيانا يضطر أن يمد يده داخل المرتبة ليحصل على ما يشتري به ما لا تصل إليه يديه . . . والشيخ عبد المولى لا يزال يواليه وان كان قد رفع أجره إلى ثلاثة جنيهات في الشهر . . . وما في داخل المرتبة يكفى دائما . . .

إلى أن حدث ما حدث . . .

فقد كان قد فتح الثقب في المرتبة ومد يده فيه عندما دخل أبوه إلى العشة فجأة وفي غير موعده ، وما كاد يرى إبنته ويده ممدودة إلى مهبط الكنز حتى صرخ صرخة مدوية ورفع العكاز الذى يستند عليه وانهار به على رأس إبنته . . . ولكنه ما كاد يرفع العكاز حتى سقط على الأرض وهو لا يزال يصرخ بكلمات كالعواء ويشوح بالعكاز ليضرب به . . . ومنصور لا يريد أن يهرب من أمام أبيه إلى خارج العشة . . . ويحلق فيه كأنه خائف عليه . . . ويقول كلاما ما يستجديه به أن يهدأ ويتفاهم . . . وهو يردد :

- اقتلتنى يابوى . . . اقتلتنى إذا أردت . . .

وتحج . . أصبح يحمل الشهادة الابتدائية . . ولكن لا يكفى . . يجب أن يحصل على الثانوية أيضا ويدخل الجامعة . . لماذا لا . . أنه كبقية الاولاد حتى لو كان ابن شحاذ . . بل أنه أصبح بعد الابتدائية متقفا حتى وإن لم يكن من أبناء الطبقة المثقفة . . ولكنه يجب أن يغير مظهر الحياة التي يعيشها . . وكان قد غير الكثير من مظهره فعلا . . إنه يرتدى الآن البنطلون والقميص ولم يعد يظهر بالجلابية . . وقد أصبح يفضل البنطلونات الجينز . . بل أنه يخرج من العمليات التي يمد فيها يده بأرباح تكفى لأن يشتري بدلة كاملة ومعطفا . . وقد قرر أخيرا أن يترك العشة التي يقيم فيها وينتقل إلى بيت له جدران . . وقد استطاع أن يجد غرفتين في احد احواش المدافن الواسعة القديمة يؤجرهما التربي المسئول عن هذا المدفن بعد ان تشتت اصحابه ، ولم يعد منهم من يحاسبه ولا من يتردد على المدفن لزيارة المقابر . . وقرر ان يأخذ معه ام فردوس والشيخ عاشور ليقميا معه . . انهما امه وابوه . .

وقالت له ام فردوس وهى فرحة :

- ولكن كيف تعيش معك ابنتى فردوس . . ماذا يقول الناس . . الا إذا عقدت عليها واصبحت زوجتك . .

وقال ضاحكا :

- لا تتعجلى يا أمى . . انى لم اصل بعد إلى الخامسة عشرة من عمري . . فكيف أتزوج . .

وقالت ام فردوس جادة :

- الرجل يتزوج عندما يستطيع أن يكسب . . وانت تكسب . . ودوسة ابنتى فى الحادية عشرة من عمرها ولكنها مادامت قد استكملت بلوغها فيجب أن تتزوج . .

وعاد إلى العشة وقد أصبحت له وحده وهو يفكر فيما سيكون عليه مصيره . . مهما كان حال ابيه فقد كان يعتمد على وجوده معه . . والآن هو وحده . . فماذا يفعل . . إنه لا يريد أن يكون شحاذا كآبيه رغم أنه على علم بكل أسرار المهنة . . إنه يفضل أن يعتمد على مد يده إلى ما يستطيع أن يمدّها إليه . . اى أن يحترف ويتفرغ للسرقة والنشل . . وهو إلى الآن لم يكن لصا محترفا ولا متفرغا . . كان يمد يده اشباعا لهوايته ويقدر ما يحتاج إليه من مطالب بسيطة رخيصة . . ولكنه يجب أن يغير حياته . . وفعلا . . بدأ يتوسع في مد يده . . واستطاع بسرعة ولقرط ذكائه أن يجمع الكثير . . بل أنه تخصص في سرقة ما في داخل السيارات ، واصبح قادرا على فتح باب اى سيارة . . وعرف كثيرون من الذين يشتركون في المهنة . . وتعلم منهم الكثير . . وكان بعضهم يكونون من بين انفسهم شللا أو عصابات تقوم بعمليات جماعية . . وأحيانا يصلون إلى احتكار حى من الأحياء محرما على اى عصابة أخرى أن تعمل فيه . . ولكن منصور كان يفضل دائما أن يعمل وحده . . وكان من الذكاء بحيث يكسبهم جميعا حتى يتقى نعمتهم عليه وتعريض نفسه لمعارك معهم . .

وهو لا يزال يقيم في نفس العشة . . ويعيش كأن ام فردوس هى امه وكان الشيخ عاشور هو أبوه . . ويفيض عليهما مما تصل إليه يداه . . وفي نفس الوقت لا يزال مصمما على الحصول على الشهادة الابتدائية . . وعندما وجد نفسه قد أصبح قادرا على دخول الامتحان فوجيء بأن ليس معه اى ورقة رسمية تحدد وجوده ، ويستطيع أن يقدم نفسه بها إلى الامتحان . . إلى الحكومة . . ليس له حتى شهادة الميلاد . . وقد قال له الشيخ عاشور أن لا أحد يبلغ الحكومة عن ابنه الذى يلده حتى لا تستولى الحكومة على هذا الابن بعد أن يكبر ويتجنده ليكون جنديا في خدمتها . . ولكنه لن يجند لأنه ابن وحيد . . واخذ يسعى حتى تقدم إلى مكاتب الحكومة كأنه ساقط قيد وأن الشيخ عاشور ولى امره ويريد تسجيله . . وتم كل شيء ودخل الامتحان . .

- ليس المهم ان أتكسب .. المهم أن أقرأ تقرباً لله ..

وتركه الشيخ عاشور ايضا وعاد إلى العشة التي كان يعيش فيها ..
إن الحياة هي ما تتعود عليه .. وقد تعود الشيخ عاشور على الحياة في عشة
ملقاة بين الرمال .. ربما لو كان أبوه حيا لعجز أيضا عن نقله من العشة أو
حرمانه من الشحادة كما تعود أن يعيش حياته ..

وعاش وحده هو وزوجته دوسة في البيت الصغير داخل المدفن .. إنه
لا يحس بدوسة كشخص آخر فقد عاشت معه كل حياته منذ ولد وولدت
بعده .. كأنها ولدت لتكمله .. انهما شخص واحد .. وهو يزداد في عمليات
مد اليد .. ودائما يكسب .. ودائما في أمان .. ولا يزال مصرا على
الحصول على شهادة الثانوية .. ويقضى كل فراغه في مذاكرة الكتب التي
اشترى بعضها واستطاع أن يحصل على البعض الآخر بمد يده الذكية ..
وهو يحلم بأن يصل يوما إلى الجامعة .. ويتخرج .. ويستطيع أن يصل
إلى كل ما يريد .. ربما استطاع أن يكون وزيراً .. ولكي يكون وزيراً يجب
أن يبدأ منذ اليوم في أن يعيش السياسة .. وهو منذ قرر أن يحصل على
شهادة الثانوية دون أن يلتحق بمدرسة وهو يتردد على مدرس خاص
يعلمه .. إنه مدرس غال يأخذ منه جنيهان في الدرس الواحد أتعاباً له ..
وقد قال له المدرس إنه عضو في الحزب السياسي ويحدثه كثيراً في
السياسة .. لماذا لا ينضم إلى هذا الحزب حتى يكبر فيه ويصبح معروفاً به
فيخارونه ليكون وزيراً ..

من يدري ..



وقال منصور مستمراً في ضحكته :

- على بركة الله ..

وتزوج منصور من دوسة دون أن يطرا على باله أن يسأل نفسه إذا
ما كان الرجال الذين تعودوا أن ينزلوا إلى الحفرة ليضاجعوا امها قد
ضاجعوها هي الاخرى أم لا .. إن كل ما في حياته كان طبيعياً لا يثير أي
تساؤل ..

وانتقلوا ليعيشوا بين الجدران في حوش المدفن .. وكانت حياة اوسع
وأرقى من حياة العيش .. ولكن ما لبثت أم فردوس أن ضاقت قهفي
لا تستطيع أن تعيش بين جدران .. ولا تستطيع أن تتحمل الحرمان مما
تعودت أن تعيشه .. وصممت أن تعود إلى حياة الحفرة في الصحراء ..
وصرخ منصور :

- كيف تخرج زوجتي دوسة لتزورك في عشتك وقد تعودت أن تعيش في
بيت ..

وقالت أم فردوس تطمئنته :

- لن تزورني دوسة .. أنا التي أزورها .. لا أريد أن أرها في
الحفرة .. والشيخ عاشور ايضا اصبح يضيق بحياته .. إنه اصبح يطوف
بالمقابر فلا يدعوه احد ليقراً .. الناس اصبحت تعتبره كأنه اصبح غنياً
وجاراً لهم .. والله لا يريد أن يقرأ على المقابر قراء اغنياء يجب أن يكونوا
من الفقراء حتى يكونوا أقرب الى الله ..

وصاح منصور في وجهه :

- إنك لم تعد في حاجة إلى التعب أمام المقابر .. وأنا كفيلاً بذلك ..

وقال الشيخ عاشور :

مصنع كامل يتحرك كاللورى والشاحنة اللتين يقودهما الاسطى عطية . .
فإن خسارة الساعات الزمنية لاتقاس بجانب خسارة الروح ، أو خسارة
كيان السيارة في حادث تصادم ، أو في حادث مصادفة عثرة قد تقلب
السيارة وتقضى عليها . .

وربما تكونت هذه الشخصية الهادئة الصبورة للأسطى عطية نتيجة
انه لا يحس وهو يقود السيارة بأنه يؤدي عملا مفروضا عليه حتى يكسب
رزقه . . ومضطر اليه مهما عرضة للإرهاق والمتاعب والمشاكل . . انما يحس
وهو يقود السيارة كأنه يعيش حياته الطبيعية . . ويحس وهو جالس أمام
عجلة القيادة نفس احساسه وهو جالس أمام زوجته واولاده . . هذه هي
الحياة . . وقد بدأ حياته بالسعى إلى عجلة القيادة قبل ان يسعى إلى الزواج
وانجاب الاولاد . . بل إنه يعتبر أن الحياة العائلية التي أقامها ليست سوى
استكمال لحياته مع « الدريكسيون » . . أى مع عجلة القيادة . . وقد بدأ
حياته صبيًا يعمل في جاراجات الشركة . . ومنذ رأى عجلة القيادة من
بعيد ، وهو يحس انها حياته . . يريد أن يعيش معها وبها . . وقد استطاع
أن يسعى إلى أن أصبح قائد سيارة من سيارات النقل اللورى التي يعيش
بينها . . وعاش كل أيامه وعجلة قيادة اللورى في أحضانه . . ووصل
ارتباطه بالسيارة التي يقودها إلى حد أنه كان يثير ضجة إذا حاولت الشركة
أن تهدد إلى سائق آخر بقيادتها . . كأنها زوجته وليس من حق رجل آخر أن
يتولاها . . وقد راعت الشركة فعلا أن تكون هناك سيارة مخصصة لقيادة
الاسطى عطية مراعاة لرضائه لما عرف عنه من مكانة بين قادة السيارات . .
وصحيح أن هذه السيارة قد تغيرت نتيجة التطور في اختراعات معدات
سيارات النقل ، ولكن يبقى إحساسه - دائما - واحدا بكل سيارة يتولى
قيادتها . . احساسه بأنها حياته . . كأنها زوجته . . رغم أن زوجته
لا تتغير ولا يدخلها أى تطور . .

إلى هذا الحد كان الاسطى عطية مرتبطا بالسيارة اللورى التي يتولى
قيادتها . .

نائم وهو صاح ..

كانت الساعة قد وصلت إلى ما بعد العاشرة مساء عندما جلس
الاسطى عطية على مقعد قيادة السيارة اللورى الضخمة التي تجر وراءها
شاحنة كبيرة . . وأدار الموتور وهو يقرأ الفاتحة بينه وبين نفسه وتحرك
باللورى في طريقه عائدا إلى القاهرة . .

كان قد ترك القاهرة في الساعة السابعة من صباح نفس اليوم وهو
يقود اللورى ويجر وراءه الشاحنة محملين بأجولة ضخمة من منتجات
الشركة ليسلمها في ميناء الاسكندرية . . والمرفهون من قادة السيارات
الصغيرة الخاصة أو الاجره يقطعون الطريق الصحراوى بين القاهرة
والاسكندرية في ساعتين ونصف . . وقد يتحدثون الزمن ويقطعون المسافة في
ساعتين . . واتوبيسات الركاب قد تقطع نفس المسافة في ثلاث ساعات
ونصف . . أو أربع . . اما هو فيقطع هذه المسافة وهو يقود هذا اللورى
الضخم ويجر وراءه هذه الشاحنة الثقيلة في ست ساعات وأحيانا في
سبع . . ومعروف عنه كسائق أنه وافر الهدوء وقادر على الصبر الطويل
ولانتابته شهوة الاسراع بالسيارة التي يقودها أو تخطى سيارة تسبقه . .
وكل ما يهمه هو أن يصل بسلامة الله دون أن يهجم حساب الساعات التي
مرت به حتى وصل . . ومادام قد وصل ، فلا يهم إن كانت قد زادت ساعة
أو نقصت ساعة عن الموعد المقرر رسميا لوصوله . . وقائد السيارة يجب ألا
ينظر في الساعة الزمنية الموضوعه امامه وهو يقود . . بل يجب أن يركز كل
عينيته على ما امامه وما يحيط به حتى يتقى الأحداث ويوفر السلامة . .
خصوصا إذا كان يقود سيارة في ضخامة وثقل عمارة ، أو كأنها - وحدها -

وبعد أن مرت ساعات وانتهى انزال الحمولة . . قاد السيارة إلى مكان آخر حيث بدأ تحميلها بالآلات المستوردة . . ثم ترك عجلة القيادة ووقف أيضا مع العمال والمشرقيين عليهم يتدخل بنفسه في كل حركة وفي كل تصرف . .

وبعد ساعات بدأ يحس بالانهاك . . واستند على باب السيارة وهو يقول لنفسه من خلال ابتسامة تتهاكك على شفثيه :

- من حقا أن تحس بالتعب يا عطية . . شد حيك . .

لقد خرج من بيته في القاهرة في الساعة الرابعة صباحا . . والساعة الآن في الاسكندرية تعدت الثامنة مساء . . اى مضى عليه أكثر من ست عشرة ساعة وهو يعمل ويتحرك . . ومن الطبيعى بعد ذلك أن يحس بالتعب يسرى في جميع عضلات جسمه . . والانهاك يضعف أنفاسه . . كأنه في معركة ليس من حق المقاتل فيها أن يستريح أو يلتقط أنفاسه . . وإن كان لا يدري ما هي المعركة التي يخوضها ، ولماذا ليس من حقه أن يستريح . . ولكنها طبيعته التي ترسم شخصيته وهو يعمل . .

وفتح باب السيارة للورى في سخط والقى نفسه ممددا على مقعد القيادة وقد قرر أن ينام ولو ساعة واحدة . . وقد تعود في مثل هذه الحالات أن ينام داخل السيارة . . ولكنه في الواقع لا ينام أبدا . . إنه يحس انه نائم يقظان . . أو يقظان نائم . . انه لا ينام نوما كاملا مشبعيا إلا على فراشه في بيته . . وكل ما يحس به وهو نائم داخل السيارة هو نوع من الاسترخاء المريح . .

واسترخى . . نائم يقظان ، أو يقظان نائم . .

وفجأة قفز من رقدته منطلقا إلى خارج السيارة . . كأنه عرف وهو نائم إلى كم وصلت الساعة . . انها التاسعة . . وبدأ يطوف حول السيارة يراجع ماتم في عملية الشحن . . لقد قاربت على النهاية ولم يبق إلا القليل

وفي هذا اليوم الذى كلف فيه الأسطى عطية بقيادة اللورى من القاهرة إلى الاسكندرية . . أبلغته الشركة بأن اللورى يجب أن يعود إلى القاهرة في نفس اليوم محملا بالآلات مستوردة . . وانها ترى أن تكلف سائقا آخر ينتظره في الاسكندرية ويعود به . . وكانت الشركة تقصد أن الأسطى عطية سيكون متعبا بعد الوصول إلى الاسكندرية . . وهى تريد أن تريحه وتطمئن أكثر إلى عملية نقل بضائعها . . ولكن الأسطى عطية كثر عن أنياب الثورة والغضب . . كيف تعهد الشركة بسيارته إلى سائق آخر . . ثم كيف تقترض انه لن يستطيع قيادة هذه السيارة الضخمة ذهابا وإيابا بين القاهرة والاسكندرية . . لقد سبق أن قاد السيارة في رحلات طويلة استغرقت أكثر من عشرين ساعة دون توقف . . فكيف تنسى . . ثم انه لو تولى القيادة ذهابا وإيابا فإن المكافأة التى يحصل عليها بالإضافة الى مرتبه قد تصل إلى مائة جنيه . . وهو لا يمكن أن يضحى بمائة جنيه حتى يوفر تعب ليلة . .

واضطر موظفو الشركة أن يستجيبوا للأسطى عطية ويتركوه يعود بالسيارة إلى القاهرة . . انهم لا يتجاهلون قدراته وقوة احتماله كسائق . . ولا ينسوا أفضاله . .

ووصل الأسطى عطية بالسيارة إلى ميناء الإسكندرية في الساعة الثالثة بعد الظهر . . أى تولى قيادتها لمدة ثماني ساعات لم يتوقف خلالها إلا نصف ساعة قضاها في كشك مذبولى المقام على رمال الصحراء عند منتصف الطريق . . وتناول كوبا من الشاي الأسود وشد نفسا من الجوزة دون أن يتبادل حديثا مع سائقين من اصدقائه وجدهما هناك مكتفيا بإلقاء التحية ثم التفرغ للشاي والجوزة . . انه وهو يؤدي مهمته لا يعرض نفسه لما يشغله عن التركيز عليها حتى لو كان مجرد حديث مع اصدقاء . .

وبعد أن وصل إلى الميناء ترك عجلة القيادة ونزل من السيارة ليقف مع العمال وهم يفرغونها من حمولتها . . وهو ليس مسئولًا عن تفريغ اللورى . . ولكنه يصمم على أن يثبت وجوده في كل ما يتصل بالسيارة . .

التي يقضيها مسطولا . . كأنه أصبح استاذا متفرغا لدراسة تخصص فيها . . وهو الآن في حاجة إلى أن يركز كل عقله واحساسه على موضوع واحد . . وهو موضوع القيادة . . لا يمكن أن يشتت عقله إلى موضوع آخر . . حتى أن كل خواطره محصورة في القيادة . . انه لا يتحدث مع نفسه ولكنه يتحدث مع عجلة القيادة . . ويحس بها كأنها هي الأخرى كأنه حتى يشترك معه في الحياة . . ولاشك أن الحشيش يساعده على استكمال قوة هذا التركيز . .

وانتهى من تدخين السيارة ثم مد يده وفتح « الترمس » وصب لنفسه كوبا من الشاي الأسود . . كل ذلك بيد واحدة تترك اليد الأخرى متفرغة للقيادة . . إن الشاي الأسود كالعطعم الدسم . . يستنزف كل ماني المادة المزروعة من اسرار إلهية ليصحبها في بطن الشارب . . والسر الذي وضعه الله في أوراق الشاي هو قدرتها على تنبيه أعصاب الإنسان والاحتفاظ بها صاحبة نشيطة مستكملة كل وعيها . . وهو في حاجة إلى هذه القوة . . قوة احتمال اعصابه وهو يقود هذه العمارة العالية التي تسير في شكل سيارة لورى . . خصوصا وهو يقودها في الليل المظلم . . وهناك من الناس الجهلة من يعتقد أن القيادة في الليل أسهل وأرحم وأكثر أمانا من القيادة في النهار . . لأن الطريق يكون في الليل أخف في زحامه وفي المعوقات التي تعترضه . . وهناك من السائقين الشبان من يطلق السيارة وهو يقودها في الليل إلى منتهى سرعتها باعتبار أن الطريق خال . . أمان . . وهم مغفلون أغبياء . . فالقيادة بالليل أكثر تعرضا للمفاجآت من القيادة بالنهار . . لأن مدى الرؤية يكون أقصر خصوصا في الطرق التي لا تكون مضاءة . . ويجب أن تكون السرعة في الليل أقل منها في النهار . . وتركيز الانتباه أقوى . . إلى أن يخرج الله بالسيارة وقائدها من الظلمات إلى النور . .

وكان قد قطع أكثر من ربع المسافة من الطريق الطويل عندما بدأ يشعر بجفنيه يزدانان ثقلا فوق عيناه . . إنه يحس بأنه على وشك أن يغفو . . وابتسم في داخل نفسه مطمئنا . . لقد سبق أن سقط جفنيه فوق

حتى يبدأ القيادة في المشوار الطويل . . وتحرك كأنه يستكمل معداته . . فحمل وعاء الماء أي « الترمس » الكبير وذهب به إلى المقهى المجاور وملاه بالشاي الأسود الداكن . . أنه أقوى ما يصونك من النوم ويحتفظ لك بيقظتك . . ثم أخرج علبة السجائر التي يحتفظ بها في جيبه . . واطمئن . . انها لاتزال تحمل خمس سجائر . . سجائر خاصة محشورة بمسحوق الحشيش . . وتكفي للمشوار الطويل . .

وكانت الساعة قد تعدت العاشرة عندما جلس على مقعده واحتضن عجلة القيادة . . وتلى الفاتحة ثم تحرك باللورى الضخم ويجر وراءه الناقلية الثقيلة . . وظل وهو لا يزال داخل مدينة الاسكندرية يردد الآيات القرآنية . . وقد حفظ كثيرا منها خلال عمره . . وكان يختار منها الآيات التي تحمل دعوة الله إلى أن يصونه ويرحمه ويهديه . . وكانت من الآيات التي تعود أن يبدأ بها . . « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها . . لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت . . ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا . . ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا . . ثم يعقبها بترديد آيات كثيرة من الاستعانة برحمة الله والاتجاه إليه والاتكال عليه . .

وكان قد خرج بالعمارة الضخمة التي يقودها من مدينة الاسكندرية . . وبدأ الطريق الطويل نحو القاهرة . . ومد يده والتقط عليه السجائر وفتحها وعلق سيجارة في فمه وأشعلها . . لقد فعل كل ذلك بيد واحدة وهو قابض على عجلة القيادة بيده الأخرى . . لقد تعود أن يقوم بكل شئونه دون أن يتوقف بالسيارة . . وشد أنفاس الحشيش بكل ما في أنفاسه من طاقة . . كأنه يلتقط أنفاسا من الفيتامينات التي تزوده بكل القوة التي يحتاج إليها . . أن الناس الجهلة لا يعرفون مدى هذه القوة التي يمكن أن يمددهم بها تدخين الحشيش . . إنها قوة تفرض على العقل البشرى التركيز على موضوع واحد فقط طالما هو تحت سيطرة الحشيش . . فإذا بدأ الحشاش يدخن وهو يفكر مثلا في موضوع مشاكله مع زوجته وأولاده . . يظل كل عقله وكل احساسه وكل خواطره معلقة بهذا الموضوع طوال الفترة

إلى الأجهزة الالكترونية من العدم بل وصل اليها من خلال قدرة الله . .
وربما كان الله قد وضع في كل شيء جهازا الكترونيا . . وقد ينام الانسان
امام التلفزيون دون أن يتتبعه بعينه بل يكون قد اغمض عينيه عنه ، ولكنه
يقوم من النوم ويفاجأ بأنه يروى القصة التي كان يعرضها التلفزيون كأن
في داخل رأسه جهازا الكترونيا كان يلتقط ما يعرض امامه دون أن يراه
بعينه . . وكذلك قد يغفو سائق السيارة وهو يقودها . . فيترك الجهاز
الالكترونى داخل عقله يتسلط على الأعصاب المؤدية إلى يديه اللتين تمسكان
بعجلة القيادة ويحركهما بحيث تستمر السيارة في طريقها وفي امان . .

وسقط جفنا الاسطى عطية فوق عينيه فعلا وهو ممسك بعجلة
القيادة . . وأغفى . . ولكنه لم ينام تماما كاملا . . انه نائم يقظ . . أو يقظ
نائم . . ويحس بكل شيء دون أن يرى أى شيء . . كأنه مستسلم للمركز
الالكترونى الذى يتحرك في وعيه الداخلى . .

وفجأة . . احس الاسطى عطية - وجفناه لا يزالان منسدلين فوق
عينيه - يقدمه ترتفع عن مداخل البنزين ثم تسقط بعنف وبكل قوتها فوق
مداس الفرملة . . ووقفت السيارة اللورى الضخمة وهى ترتج . .

وكان الاسطى عطية قد رفع جفنيه عن عينيه ووجد السيارة قد حادت
عن جانب الطريق واصبحت في منتصفه في مواجهة سيارة لورى اخرى اتية
من الناحية المواجهة من الطريق . . أى في طريقها إلى الاسكندرية . .
وكانت السيارتان على وشك تصادم احدهما بالآخرى . . لولا ان الفرامل
حالت دون الصدمة وأوقفتها ملتصقتان تلامس واجهة احدهما الأخرى . .
لقد كان السائق الآخر أيضا قد تمكن من ضغط فرامله قبل أن يقع
التصادم . .

ونزل الاسطى عطية من السيارة وهو يحمد الله وقال ضاحكا للسائق
الأخر :

عينيه مرات وغفا اثناء القيادة . . إن الله سبحانه وتعالى يخلق الإنسان
ويرعاه مادام من الطاهرين المؤمنين . . والاسطى عطية يعتبر نفسه طاهرا
مؤمنا ، ويعيش كل وجوده في رعاية الله . . ولاشك أن الله يعلم مدى
ما يبذل من جهد في عمله التنظيف الطاهر . . ويعلم أيضا مدى قوة احتمال
تكوين هذا الإنسان لهذا الجهد . . لذلك فاذا زاد جهده عن قوة احتماله
زوده الله بما يرعاه حتى ينتشله من الفناء . . أى انه إذا اغفى وهو يقود
السيارة رعاه الله من أن يقع في حادث أو يضيع في نكبة . . كأن الله هو ذاته
يتولى قيادة السيارة ويتركه مغمض العينين حتى يريحهما . . بل إن
الاسطى عطية يعتبر أن الله سبحانه وتعالى وضع في عقل الانسان اجهزة
الالكترونية تتولى عنه وظائف الأعضاء التي خلقه بها إذا عجزت عن أداء
مهمتها . . أى تقوم هذه الأجهزة بقيادة السيارة إذا نام قائدها . .

وقد منّ الله على الإنسان بالوصول إلى بعض أسرار هذه الأجهزة
الالكترونية . . واستطاع الإنسان بهذه الأسرار أن يخترع آلات يضعها
فوق الأرض ويستطيع بها أن يطلق طائرة تطير في السماء ويحركها كما
يشاء دون أن يجلس فيها قائد يصعد معها إلى السماء ويتولى قيادتها . . إن
الطائرات التي تطير بلا قائد كالصواريخ التي لا يتولى الانسان قيادتها
المباشرة ويقودها أجهزة الكترونية اصبحت منتشرة في العالم . . وان كانت
للأسف لا تزال مخصصة لتسليطها كأسلحة حروب . .

واكثر من ذلك . . ماهو التلفزيون ؟ . . إنه جهاز الكترونى يلتقط
خطوط الصور الهائلة في الفضاء الواسع ثم يجسمها وينقلها إلى شاشة
تراها بعينيك . . أى أن واقع ما تراه على شاشة التلفزيون لا تراه مباشرة
بعينيك بل تراه منقولا اليك بعيون اخرى . . عيون الكترونية . .

والإنسان لا يمكن أن يصل إلى علم الا من داخل علم الله . .
والاكتشاف والاختراع ماهو الا بعض ما يسمح به للانسان بالوصول اليه
من داخل الوجود الذى خلقه واقامه سبحانه وتعالى . . فالإنسان لم يصل

نوع آخر من الجنون ..

كانت أمها جميلة .. منتهى الجمال .. وليس جمالها جمال زاعق ..
ولكنه جمال هادىء .. طيب .. كأنه نسمة ربيع يتمنى كل إنسان أن تهف
عليه ويعيش فيها ..

ولكن أمها كانت أيضا مجنونة .. انهم كلهم وكل من حولهم يعرف
انها مجنونة .. ولكنه أيضا جنون هادىء .. كأنه يختبئ من داخلها
ولا يظهر عليها .. واقوى مظاهر هذا الجنون انها كانت دائما منعزلة
بنفسها .. صامته .. قد تمر عليها أياما دون أن تنطق بكلمة .. وتعيش
كانها لاتعرف احداً ماحولها ولا شيئاً ممايحيط أو يلم بها .. كأنها تعيش
في عالم آخر ترسمه لنفسها ولايعيش معها فيه أحد .. حتى اولادها منذ
ولدتهم كانت تبدو كأنها لاتعرف انها امهم .. ما هى الام .. حتى أنها
كانت لا ترضعهم إلا إذا حمل أبوهم الواحد منهم ووضع على صدرها ،
وأخرج صدرها ووضع حلمته بين شفتى الوليد .. وهى مستسلمة فى
سعادة كأنها فى كل مرة ترضع فيها تكتشف شيئاً جديداً يسعدھا ..
ولاتلتب أن تنساھا .. إلى أن يحمل لها الأب الطفل مرة أخرى .. وخلال
هذا الهدوء كانت تنتابها فترات شاذة عجيبة .. لقد دخلت المطبخ يوماً
وكانت أم رتيبة المشرفة على خدمة البيت غائبة عنه بعد أن انتهت من إعداد
اطعمة وجبة الغداء .. فحملت الأم كل الأواني التى تحمل هذا الطعام
وسكبتها فى صفيحة الزبالة ثم وقفت فى هدوء أمام الحوض تغسل الأواني
كانها ست بيت ممتازة .. وفى يوم جمعت كل ثياب ابنائها وانزوت بها فى
غرفتها وأخذت تقلب فيها .. وربما خيل اليها أنها كلها اثواب فى حاجة إلى
إصلاح وتعديل .. ولكنها بدلا من أن تمسك بخيط وابرة لإصلاحها

- هل اغمضت عينيك أنت الآخر؟

وقال السائق الآخر ضاحكا هو الآخر:

- عيناي لاتطيع أوامرى ..

وقال الاسطى عطية وهو يمد ذراعه داخل السيارة ويلتقط وعاء
الشاي :

- الحمد لله .. خذ منى شغطة شاي حتى تقدر على فتح عينيك ..

وقال الآخر وهو يأخذ من عطية كوب الشاي :

- ألف حمد وشكر لله .. خذ هذه السيارة حتى تربطك
بالدركسيون .. وتصبرك على القيادة ..

وتبادلا كوب الشاي الأسود وسيجارة الحشيش .. وكأن كل منهما
يحدث نفسه .. ثم سعد كلاهما إلى مقعد قيادته وتحركا فى هدوء كأن شيئاً
لم يحدث ..

وفى سلامة الله ..



وكانت المفاجأة قاسية . . لقد خرجت الأم مفيدة من عزلتها داخل غرفتها وهي تبتسم ابتسامة واسعة . . كأنها ترسل بها قبلة لكل ابن من أبنائها . . ثم وقفت في الشرفة المطلة من الدور العاشر . . وشبت على قدمها وابتسامتها لاتزال بين شفيتها وألقت بنفسها . . وماتت . .

ولعل كل ما كان يدور بعقل أمها ساعة ألقت بنفسها إلى الموت هو محاولة الفرجة على العالم الآخر الذى سمعت عنه . .

ولاشك أن أباما كان صادقا في حزنه على ضياع زوجته . . لقد كان يحبها رغم كل ما فيها . . ولكن حزنه لم يؤثر في طبيعته كرجل إدارى بالنسبة لبيته وعائلته . . وحسن الإدارة يفرض عليه أن يجد زوجة أخرى تساعده في إدارة البيت والإشراف على ابناءه السبعة . . ولم يمض سوى أربعة شهور على انتحار زوجته الأولى حتى كان قد تزوج الثانية . . وكان ذكيا في اختيارها فهي امرأة لا تنجب . . وكانت زوجة سبق أن طلقت لعدم انجابها . . وهذا يوفر عليه متاعب التوفيق بين أولاد الزوجة الأولى وأولاد الزوجة الثانية . . ويوفر عليه مشاكل تعلق الأم بأبنائها . . ووضعهم فوق أبناء صرتها . . حتى لو كانت الضرة قد ماتت . . وفعلا دخلت الزوجة الجديدة بيتهم وهي تحب الأولاد والبنات وتفيض عليهم بمنتهى الحنان كأنها أخيرا وجدت لنفسها أبناء . . وخصوصا حبها لها . . لميرفت . . فهي اصغر البنات . . وقد أخذتها بعد وفاة أمها وهي لاتزال في العام الأول من عمرها . . وتولت هي امدادها بكل مطالب الحياة . . وأصبحت تحس بها انها ابنتها فعلا . . بل كانت تميزها عن أختها فيما تضيفه عليها من رعاية واهتمام . .

وسارت العائلة في حياة جديدة وخصوصا بعد أن تخلصت من جنون الأم التى ماتت . . ولكنها أيضا حياة غريبة . . وكان الأب هو دائما القائد الأعلى للعائلة . . يتحمل مسئولية كل دقيقة تمر بها . . فهو الذى يطعمها

أمسكت بالمقص وأخذت تقص فيها ثوبا بعد ثوب . . ثم قامت وأعادتها قطعاً ممزقة إلى مكانها . .

وكان أبوها هو اقرب افراد العائلة تحملا لجنون زوجته . . ولكنه كان يحبها إلى حد انكار هذا الجنون . . إنها شاذة ولكنها ليست مجنونة . . وقد بلغ من حبه لها وعدم سلواه لمعاشرتها إنه انجب منها سبعة . . أربعة اولاد وثلاث بنات . . وقد اطلق عليهم كلهم أسماء تبدأ بحرف الميم . . مصطفى . . مرتضى . . محمد . . منصور . . ماجدة . . منيرة . . ميرفت . . مجرد أن اسم أهمهم يبدأ بنفس الحرف . . مفيدة . . إلى هذا الحد كان يحبها . . يجب هذه المجنونة . . ربما لأن جمالها يشبع متعته وهي مستسلمة له بين ذراعيه . . دون أن يؤثر هذا الجنون على هذه المتعة . . فهي بين ذراعيه مستسلمة له لا تحس بأنها تعطيه أو تأخذ منه . . ولكنها تحس في كل مرة أنها تتفرج على شيء جديد يحدث لها . . وهو ما يثير متعته أكثر ويغلب متاعبه التى يلحقها به جنونها . .

وكان كل افراد العائلة الكبار يلحون على الاب أن يعرض زوجته على طبيب أمراض عقلية . . طبيب مجاني . . ولكنه كان يرفض دائما . . فهي لا تحس بأنها مجنونة وعرضها على طبيب أو الحاقها بمستشفى سيكشف لها انها مجنونة أو على الأقل متهمة بالجنون . . وهذا يجعلها تجن أكثر . . ويتعمد أن تغالى في تصرفاتها الشاذة كأنها تعطى لنفسها حق المجانين . . أى لا تكتفى بشذوذها الذى لا تتعمده بل تفتعل تصرفات أبعد شذوذاً مادامت قد أصبحت تعرف انها مجنونة . . وهذه نظرية معروفة في العلاج النفسى . . فيجب ألا يعالج المريض على يد طبيب مختص . . أو أن يتخفى الطبيب المختص في شخصية أخرى وهو يعالجه حتى يخفى عنه ولا يواجهه بأنه مريض . . ثم إن العائلة تعودت على احتمال هذا الجنون . . وهو نفسه يتحمل أضعاف ما يتحمله أى فرد منهم . . فلا داعى لعرضها على طبيب . . ومن يدرى لعل الله يشفيها من شذوذها . . ولا يدرى أحد بعد كيف ستكون؟ لعلهم يندمون على أيام الشذوذ . .

تنضم إلى أختيها ويذهب بهن إلى المدرسة . . إلى أن تطورت ماجدة أكثر وأصبحت تقضى كل وقتها وهي جالسة تحت السرير . . كأنها تختبئ منهم ولا تريد أن ترى واحدا منهم . . أو لعلها تتصور أنها تلعب معهم لعبة استغماية . . ولكنها بدأت بعد فترة تقوم من جانب أختيها وهن نائمتان على سرير واحد . . وتلقى نفسها وتنام تحت السرير . .

ومرت فترة طويلة والعائلة متحملة شذوذ ماجدة . . ووالدها يتهمها بأنها كسولة جاهلة لا تريد أن تكبر وتعيش كالبينات الناضجات وتكره الذهاب إلى المدرسة كما يكرهها كثير من الصغار . . بل إنه قرر أن يحرمها من المدرسة حتى يريح نفسه من متاعبها . . وتركها في البيت لا تخرج منه لأنها هي نفسها لا تريد أن تخرج . . ويعتبر أنها تلعب بإصرارها على الجلوس تحت السرير . . ولكن زوجته كانت تنظر إلى ماجدة كأنها تشاهد مأساة . . ولكنها لا تتكلم ولا تحاول أن تفسر حالتها . . كأن ليس من حقها أن تتدخل في هذه الحالة . . إنما هو حق زوجها وحده . . أما ميرفت فقد كانت الوحيدة التي تبذل أكثر في مراعاة أختها ماجدة . . وتجلس معها طويلا تحادثها . . وماجدة تتحدث في بساطة كأنها فتاة عادية وتجب على كل سؤال إجابة طبيعية حتى لو كانت غريبة . . وقد قالت أنها تجلس تحت السرير لأنه المكان الذي تحس فيه بالهدوء . . وتتبعده فيه عن دوشة البيت والعائلة . .

إلى أن لاحظت ميرفت أن أختها بدأت تبكي كثيرا وهي منعزلة وحدها . . واستطاعت بلباقتها أن تصل إلى سر هذا البكاء . . أن أختها تحب ابن الجيران . . ولكن أين رأت ابن الجيران . . لعلها شاهدته مرة من النافذة . . هل مجرد المشاهدة من بعيد تكفي للحب . . ثم أنه يكرهها كثيرا . . فماذا أحببت فيه ؟ أو لعلها لم تره أبدا حتى ولا من النافذة . . فهي لم تشاهد أختها أبداً تظل من النافذة . . وبالعكس أن من عادتها أن تبقى النافذة مغلقة حتى لو تشادت مع أختيها . . لعلها تخيلت قصب حب تعيش فيها . . واختارت أن يكون بطلها هو ابن الجيران لأنه البطل العادي

ويشتري بنفسه لوازم الطعام . . ويشرف على تنظيف البيت واعداده . . ولا يتحرك أي فرد من أفرادها إلا بأمره . . وكان الأولاد السبعة كلهم صامتين حتى بينهم وبين بعض . . ولا شيء يجمعهم . . كل منهم له طبيعة وشخصية قائمة بذاتها . . وكل منهم يختار حياة خاصة لا علاقة لها بحياة الآخر . . حتى كان من المستحيل أن تجمعهم في تقاليد عائلية واحدة . . حتى في المظاهر العادية . . فمصطفى مثلا يواظب على تناول الطعام مع والده . . الإفطار والغداء والعشاء . . ومرضى يتناول الإفطار ولا يتناول الغداء منتظرا العشاء . . ومحمد يكتفي بالإفطار وحده ولا يأكل بعده مهما تحايلت عليه زوجة أبيه . . وماجدة تعتبر تناول الطعام كأنه تلطيف لأمعائها، ولا تأكل إلا وأبوها أو زوجته يحشر لها الطعام في قمها حشرا . . و . . وكانت المشادات تقوم أحيانا داخل العائلة ولكنها كانت دائما مشادات مع الأب . . لا تشترك فيها الزوجة . . إنها زوجة مستسلمة كل الإستسلام لزوجها ولأولاده مهما كانت غريبة ما تستسلم له . . وكان الأب على قدر ما يشكو من متاعبه العائلية يشيد ويتفاخر بابنته الصغرى . . ميرفت . . إنها الوحيدة التي رزقه الله بها لتعوضه عن كل ما يلقاه . . إنها جميلة كامها . . منتهى الجمال . . ولكنها أيضا عاقلة . . منتهى العقل . . لقد ورثت عن أمها الجمال . . وورثت عنه العقل والجدية . . انها الوحيدة بين اولاده التي يحبها . . منتهى الحب . . ويرتاح إليها . . منتهى الراحة . . وقد كانت ميرفت هي الوحيدة التي تجمع العائلة كلها . . وتنتقل بينهم واحدا واحدا وتبادلها حكاية . . أي حكاية . .

والأيام تمر . . وكانت أختها الكبيرة ماجدة قد بلغت الرابعة عشرة عندما بدأوا يلاحظون عليها تطورها . . لقد بدأت تنعزل عنهم جميعا . . ولا تتبادل معهم ولو كلمة . . وتقوم من النوم كل صباح دون أن تعد نفسها للذهاب إلى المدرسة . . لا لأنها ترفض ، ولكن كأنها لا تذكر أنها يجب أن تذهب إلى المدرسة . . إلى أن يأتي أبوها ويصرخ فيها ويشدها من فوق السرير ويكلف زوجته بأن تدخلها الحمام وتلبسها ثيابها ويدفعها إلى أن

لا يعلم احدهم شيئاً عن الآخر . . ولا يهमे أن يعلم شيئاً عن تفاصيل حياة أخيه . . ولكن من أدراها . . أن جنون أمها كان يوصف بأنه جنون هادئ . . ربما كان كل إخوتها مصابين بهذا الجنون الهادئ . . وهل يجب أن تثبت لنفسها انها لم ترث جنون أمها . . وليست مجنونة حتى هذا الجنون الهادئ . .

وقد كان مظهر جنون أمها هو إنعزالها الدائم . . كل ما فيها منعزل عن دنياها . . أحاسيسها . . وعقلها . . ووعيها . . متعزلة حتى عن أبنائها . . ويجب أن تلمئن ميرفت إلى انها لا تنعزل بنفسها أبداً . . يجب أن تعيش مع كل ما حولها . . حتى تثبت لنفسها انها ليست مجنونة . . وليست معرضة للجنون . .

وبدأت تتعمد المغالاة في فرض نفسها على كل من تعرفه . . إنها في البيت لا تكف عن ملاحقة أبيها وزوجته وأخوتها بالتدخل في تفاصيل حياة كل منهم . . وكلامها كله صباح ونظراتها كلها كأنها قفزات . . وفي المدرسة أيضاً تعيش مع كل الطالبات . . وتضم نفسها إلى كل المجموعات . . وتشتبك في كل الرحلات . . وتقبل كل الدعوات . . وهي دائماً تنجح في كل امتحان . . انها تتعمد النجاح حتى تؤكد إنها ليست مجنونة . . وبعد أن التحقت بالجامعة اتسع انطلاقها . . إنها تعيش كل ما في الجامعة . . حتى لمس حب . . وهي نفسها لم تستطع أن تميز هذا الحب . . أو يطرأ عليها إحساس تفسره على إنه حب . . ولكنها كانت تكتشف أن إحدى زميلاتها في حالة حب مع زميل . . وتتساءل لماذا لا يحبها هي هذا الزميل . . هل ينقصها شيء ليحبها . . أم أنه يعتبرها مجنونة . . والمجانين لا يصلحون للحب . . ويتسعى وراء هذا الزميل حتى تفرض عليه أن يحبها بدلاً من زميلتها . . ووجدت نفسها تعيش في عشرات من قصص الحب . . لا تكاد ترتبط بقصة مع زميل حتى تنتقل إلى قصة مع زميل آخر . . ولكن كان في ميرفت إيمان أقوى منها وهي أنها لا تسمح لأى شاب تجمعها بها قصة حب بأكثر من أن يمسك يدها . . انها لا تعطيه أكثر . . وهي تعلم

في معظم قصص الحب . . ولكنها كانت تعيش خيالها كأنه واقع إلى حد أن تبكى دائماً كأنها فتاة محرومة من حبيبها فعلاً . . بل إنها بدأت تجلس وتكتب خطابات طويلة . . خطابات حب . . ولكنها لا تحاول أن تكتشف وسيلة لتصل خطاباتها إلى حبيبها . . ولكنها ما تكاد تنتهي من كتابة خطاب حتى تضعه في ظرف لا تكتب اسماً عليه ثم تلقيه من النافذة . . إن كل ما تتصور أنه يجمع بينها وبين حبيبها هي النافذة . . ولعلها تتصور أنها لو مدت يدها من النافذة فستمسك بيد حبيبها . . ولكنها لم تحاول أبداً أن تمد يدها من النافذة .

إنها مجنونة . . لاشك إنها مجنونة . . وأعلن الأب جنونها وصاح :

- لقد ورثت الجنون عن أمها . .

ولم يكتف الأب بأن يتحمل جنون إبنته كما تحمل جنون أمها . . ربما لانه لا يخرج بشيء من هذا التحمل . . ليس له مصلحة خاصة في تحملها . . إنه لا يأخذها في أحضانة كل مساء كما كان يأخذ أمها . . وبدأ يطوف بها على أطباء الأمراض العقلية ، وإنتهى إلى وضعها في مستشفى المجانين بالعباسية . .

وميرفت تلاحقها وتطن في أذنيها كلمة أبيها عن اختها . . لقد ورثت الجنون عن أمها . . هل الجنون يورث . . إن كل العائلة تقول أنها أقرب الأبناء إلى أمها . . ورثت عنها كل جمالها وكل ملامحها . . فهل سترث عنها الجنون أيضاً ؟ !

ولكن لماذا تخاف الجنون . . إن كل إخوتها ليس بينهم مجانين الا اختها ماجدة . . واختها منيرة عاقلة هادئة . . وقد تزوجت وان كانت تعيش مع زوجها بعيداً في أسبوط ولم يصلهم عنها أى أخبار عن أى علامة من علامات الجنون . . وإخوتها الصبيان قد كبروا وكل منهم يعيش حياة مستقرة لا يعكرها أى شذوذ . . وان كانوا كلهم متباعدين عن بعضهم

كانها تشخذ منهم أو تستعطفهم أو حتى تحاول اقناعهم ، ولكنها تتكلم
كانها تتفضل عليهم بأن تكون معهم وتظهر بينهم . .

ثم فجأة اتجهت اتجاها آخر . . لماذا لا تكون نجمة من نجوم
السينما . . لماذا لا تحل محل فاتن حمامة . . إنها اجمل منها . . ولا شك
انها اقدر منها . . إنها الجيل الذى يحل محل فاتن . . وهى قوية تستطيع
ان تحقق كل ما تريد . . وليست ضعيفة منعزلة كما كانت أمها أو أختها
ماجدة . . واقتحمت حياة العاملين فى السينما . . وهى ايضا لا تحس بأنها
شعى وترجو ولكنها تتفضل عليهم بالظهور بينهم . .

ثم خطر على بالها خاطر جديد . . إنها يجب أن تكون مشهورة . .
يجب أن تعرفها البلد . . تعرف هذه الفتاة الجميلة العبقرية القوية . . كيف
تشتهر؟ يجب أن تكتب كل الصحف عنها . . ستدلى بأحاديث صحفية
تؤكد قوة الجيل الجديد . . وبدات فعلا تتصل بكثير من الصحفيين . . كل
من تقرا له أو تعرف باسمه تبحث عن رقم تليفونه وتتحد معه موعدا . .
ولا تريد منه شيئا إلا أن يكتب عنها وينشر صورتها . . وحديث معها . .

وقد تعرضت لكثير من المغامرات مع كل هذه الاتجاهات التى تخطر
على بالها . . إن كل من تصل اليه يستقبلها كفتاة جميلة . . بسيطة . .
مجونة . . وإما أن يطمع فى التمتع بجمالها . . أو يشفق عليها
لساقتها . . أو يهرب من جنونها . . ولكنها لا تحس بما يستقبلها الناس
به . . لا تحس إلا بثقتها فى قوتها . . القوة التى سترت لها طبيعتها فى
الا تعطى لأى رجل إلا يدها . .

ولكن هذه المرحلة من حياتها كانت تفرض عليها أن تعيش الليل بعيدا
عن بيتها . . الليل الذى يجمع العاملين فى التلفزيون والسينما
والصحافة . . ولم يحتمل أبوها أن تغيب عن البيت فى الليل . . آخر موعد
لها هو أن تعود فى الساعة مساء على الأكثر . . وهى فى دخيلة نفسها
مرتبطة بابيها . . لا تستطيع ان تتحرر منه بالابتعاد عنه . . فأصبحت

ما هو أكثر . . تعلم كل شيء عن القبيلات والاحضان والتلاصقات . . ولكنها
لا تستطيع . . وهو ليس ايمانها بمبادئ الحرس على اعتزازها بشرفها . .
ولكنها طبيعتها . . فهى لا تطيق أن تضع شفقتها بين شفتى رجل . . أو
تتركه يلف ذراعيه حول خصرها . . لا تطيق . . بل أكثر من ذلك . . انها لا
تفكر أبدا فى الزواج حتى تسعى إلى تحقيقه . . ولا يطرأ على بالها . . ان
حياتها كلها متجمعة فى ذاتها ولا تحوجها لان تدخل فيها أى ذات أخرى . .

وقد عرف كل الطلبة طبيعتها . . انها تريد مظاهر الحب ولا تعيش
فيه . . ولا تعبر عنه الا بوضع اليد فى اليد . . وتتقلاتها بينهم فى هذه
المظاهر جعلتهم يستهينون بها . . ولا يحسدون بعضهم بعضا عليها . . كل
منهم يعلم مصير الآخر معها . . ويستهينون . . ويضحكون . . ويعتبرونها
مجنونة . . إنه نوع من الجنون . .

ولم تعد العائلة تعتبرها فتاة عادية . . واخوتها يتحملون الضجة التى
تثيرها حولهم ساخرين . . وزوجة أبيها تتحمل صامته ويدفعها حبها لها إلى
تكذيب نفسها . . إنها ليست شاذة . . كل بنت لها خصالها . . اما أبوها
فقد بدأ يئأس . . لقد ورث الجنون عن أمها . . جنون له مظهر آخر . .
ولكنه بالأمل . . انها ناجحة فى دراستها . . ومن يدرى لعلها تنجح بعد مدة
فى تجريد شخصيتها من شذوذها . . ولكن ميرفت بعد أن تخرجت بدات
حياة غريبة . . إنها لا تريد أن تنتظر حتى تعينها الحكومة فى احدى
الوظائف . . إنها ليست مجنونة كامها حتى تعزل نفسها فى وظيفة
حكومية . . كبقية الناس التاجحين . . وتستطيع أن تقتحم ابواب
النجاح . .

لماذا لا تكون مذيعة فى التلفزيون . . حتى تظهر صورتها امام الناس
وتحادثهم ؟ !

وبدات تقتحم حياة العاملين فى التلفزيون . . وهى تقف امامهم لا

لقد أفرجت مستشفى المجانين عن ماجدة بعد عام واحد لأنه ثبت
إنها مصابة بجنون هاديء يمكن أن تعيش به في بيت العائلة .
ولكن لم يصدر بعد قرار بالإفراج عن ميرفت . . إنها تحمل نوعا آخر
من الجنون .



تتعمد أن تعود في الساعة السابعة . . وهو يغلق الباب بالمفتاح بعد أن تصل
ويحفظه . . وسحب منها المفتاح الذي كان من حقها أن تحمله كبقية
أحوالها . . وقد وجدت من حقها أن تتحائل حتى لا تطفئ شعلة مشاريعها
الصخمة . . وكانت قد قاومت طويلا حتى لا تلجأ الى هذا التحايل ولكنها لم
تستطع أن تستمر في المقاومة . . وتركت فراشها في منتصف الليل وأفراد
العائلة كلهم نيام . . وفتحت الباب وخرجت . . أنها على موعد مع الكوكب
السيامي الذي وعدها بأن تكون بطلا فيلمه القادم . . وقد اغلقت الباب
بعد أن وضعت بين ضلفتيه ورقة سميكة حتى يظل مفتوحا لها بعد أن
تعود . . وقد عادت دون أن يحس أحد في العائلة بشيء . .

ولكنها في المرة التالية قامت من فراشها وارتدت ثيابها ثم فتحت
الباب . . وقبل أن تخرج فوجئت بزوجة أبيها أمامها . . وحاولت أن تمنعها
من الخروج . . إنها زوجة مطيعة لا تستطيع أن تخالف أوامر وتعاليم
زوجها مهما بلغ حبها لها . . وقامت معركة بينهما وكل منها حريص على
الابتعاد عن صوتها حتى لا يصحو الأب . . أو أحد من الأخوة . .

ودفعت ميرفت زوجة أبيها في عنف . . فسقطت على الأرض وانشقت
رأسها بارتطامها بالحائط . . وتركتها ميرفت كما هي ، وأسرت بالخروج
بعد أن وضعت قطعة الورق السميك بين ضلفتي الباب . . وكان شيئا لم
يحدث . .

وعادت ميرفت كعادتها . . وفوجئت بالبيت كله متيقظا ملتفتين حول
روحة أبيها يضمودن رأسها المشقوق . . وهي تنظر اليهم دهشة كأنها
تسأل ماذا حدث . . وصرخ أبوها وهو يتهاول عليها بكفيه ضربا :
- مجنونة . . ورثت الجنون عن امك . .

ولم يترك المجنونة في جناحتها . . ووضع ابنته في مستشفى العباسية
للمجانين . . أو هو سجن المجانين

منى .. وكيفيني أن زوجي شوقي ينتصر على منافسيه ويفوز .. وسأتحمل
أيضا إلى أن يفوز أخى مراد ..

وعاد مراد ..

والقى بنفسه منهكا على مقعد بين نساء العائلة ..

والتفغن حوله يتصايحن ويسألن .. وهو لا يكاد يسمع صياحهن
ولا أسئلتهن .. إلى أن هدأن قليلا من حوله وتباعدن عنه .. واقتربت منو
أخته الكبرى دولت وسألته في صوت هامس جاد كأنها تبدأ معه العمل ؟
- ماذا فعلت اليوم ؟

ونظر مراد إلى أخته الكبرى وقدر أن من حقها أن تسأله وقال وهو
يرقر أنفاسا متعبة :

- هلكت .. ذهبت في الصباح إلى مكتب الحزب .. ثم ذهبت إلى مكتب
وزير الداخلية .. ثم طفت بمائة بيت .. ومائة مقهى وكافيتريا .. ثم زرت
مائة شخص .. ولا أدري بماذا خرجت من كل هذه المشاوير .. انى اتبع
التقاليد القديمة التى كان يتبعها المرشحون .. لابد أن هناك وسائل جديدة
لاكتساب الأصوات توفر مشاوير النفاق .. إنى منذ اليوم الأول وأنا أحس
بالندم على قبول ترشيحى ..

وصاحت فيه دولت كأنها تنهره :

- إياك أن تستسلم للتعب أو الندم .. وسيعوضك الفوز عن كل ذلك
وتفرح .. والبلد كلها ستفرح بك .. أنك لا تدري كم تعب زوجي وهو
مترشح وكم فرح بالفوز .. إنها معركة لا يفوز فيها إلا الأبطال .. وانت
بطل ..

وسكتت دولت برهة ثم استطردت

رأس غير رأسى ..

كانت نساء العائلة مجتمعات تتوسطهن الأخت الكبرى دولت
وأصواتهن ترتفع كالضجيج وكلهن يتحدثن في وقت واحد وفي موضوع
واحد .. كان كل منهن لايهما إلا أن تتكلم ولا يهما أبدا أن تسمع ..
وكن كلهن في انتظار الأخ الأصغر مراد التى نشرت الصحف كلها صباح
اليوم خبر ترشيحه في الإنتخابات ..

وكانت دولت تبدو بينهن كأنها الرئيسة أو كأنها عالمة تعرف كل شىء
عن الإنتخابات .. لا تكف عن الكلام .. وتصرخ في وجه من تسمعها
ولا يعجبها كلامها .. أو تصرخ صرخة مبتسمة لواحدة أخرى تؤيدها
ولكنها تقضل أن تسكتها .. وكانت تقاطعن جميعا قائلة بالصوت العالى :

- ليس بينكن من تعرف عن الإنتخابات ما أعرفه .. إنها دنيا
واسعة .. كل حجر فيها تحته سر .. قد يكون تحت الحجر ثعبان سام ..
وقد يكون تحته زجاجة كوليونيا معطرة .. وأسألونى أنا ..

وكن يسألنها .. فهن يذكرن أنها عاشت الإنتخابات عندما سبق أن
رشح زوجها نفسه في الإنتخابات منذ أكثر من خمس عشرة سنة .. وكان
معروفا أنها جاهدت معه وتعبت مع كل متاعبه حتى فاز وأصبح عضوا مهما
في البرلمان .. وهى تقول كأنها تعيش ذكريات سعيدة :

- مازلت أذكر كل خطوة .. وكل هزة رمش .. وكل فنجان قهوة
شربته وساهم في إصابتي بقرحة في المعدة .. وكل طبق أكلته وسبب لي
المغص الكلى .. بل انى كنت أيامها لا أحس حتى بالموت لو اقترب

- لا تكتفى بالمحاولة .. يجب أن تضع للكمسارية مشروعا
لفيذيا .. وتكون من بينهم هيئة تمثلهم على اتصال دائم بك وتنطق بإسمك
وتنفذ تعليماتك .. وقد تكلفك هذه الهيئة كثيراً . فمعظم الكمسارية غلابة
ول أشد الحاجة إلى الكثير .. فلا تبخل عليهم .. وكل شيء بثمنه ..
وهوزك في الانتخابات ثمنه غال ..

وقال مراد ضاحكا :

- حاضر يا أبله دولت ..

وقالت دولت بسرعة :

- وسابدا أنا بتكوين الهيئة الخاصة بي ..

وقاطعها دهشا :

- أي هيئة هذه التي تخصك ؟

وقالت مستطردة :

- هيئة ستات البيوت .. إنى أعيد نفس ما كنت أقوم به أيام كان
زوجي مرشحا .. لقد كونت هيئة من ستات البيوت ضمت كل الجارات
والصديقات وطبعا سيدات العائلة .. ولعلك لا تدري قيمة ست البيت في
التأثير على نتائج الإنتخابات .. إنها تملك أولا صوتها كناخبة وصوت
زوجها وأولادها وبناتها الكبار .. ثم أصوات جميع أفراد عائلتها .. ثم
تستطيع التأثير على صوت كل من يتعامل مع البيت .. صوت الخضرى
والبقال والجزار .. و .. و .. وإذا اجتمعت أغلبية ستات البيوت حول
نأييد مرشح واحد .. فكانهن أصبحن ثورة ديكتاتورية لا يستطيع صوت
أن يفر من بين أيديهن ومن تحت إرادتهن .. لقد كان من بين عضوات
الهيئة التي كونتها ست بيت رفضت في صبيحة الإنتخابات أن تقدم الإفطار
لزوجها وبقية أفراد العائلة إلا بعد أن وضعت أمامهم المصحف الشريف

- هل بدأت الإتصال بالكمسارية ..

وقال مراد في دهشة :

- أي كمسارية ؟

وقالت دولت وهى تنظر إليه كأنها تتهمه بالغباء :

- كمسارية الترام والمترو والأوتوبيس الذين يسيطرون على كل أحياه

الدائرة ..

وقال مراد في برود :

- إن معظمهم أو كلهم ليست أسماؤهم مسجلة في قوائم ناخبى

الدائرة حتى احتاج اليهم بإعطائى أصواتهم ..

وصاحت دولت :

- أصواتهم ليست مهمة .. المهم أن كلامهم يمكن أن يكون منشورا

حيا ناطقا للمرشح .. إنه وهو يوزع تذاكر ركوب الترام أو المترو أو

الأوتوبيس يستطيع أن يهمس بإسمك في أذن الراكب .. بل يستطيع أن

يكتب إسمك على التذكرة حتى ينقله الراكب إلى تذكرة الانتخاب .. بل إن

زوجى شوقى كان يطبع منشورات ويسلمها لهؤلاء الكمسارية حتى يوزعوها

على الركاب .. وتصور كم يبلغ عدد الركاب في الدائرة وكلهم من الناخبين

الذين سنحصل على أصواتهم ..

وقال مراد وهو يبتسم ابتسامة باردة :

- فكرة .. سأحاول ..

وصاحت دولت :

وقال مقاطعاً :

- ماذا أعمل به ؟

وقالت دولت في إصرار :

- إنه أقوى شخصية شعبية في الدائرة وله تأثير كبير في إقناع

الناس . .

وصرخ مراد ناقراً :

- هل تقصدان إقناع الناس بالموت . . إنه لو تدخل في الدعاية لي بين

الناس فكأنني أنا عزرائيل ، وكأنه يريد من الناس أن تنتخب عزرائيل حتى

يحقق لهم عدد أكبر من الموتى ويكسب هو أكثر من عمليات نقل الجثث . .

لا يا ست دولت . . ابعدى عنى الحانوتى . . ان الناس ستهرب منه وتهرب

منى . . إنه شعار الموت . .

وقالت دولت كأنها تدافع عن نفسها :

- هذا كلام قديم والدنيا تقدمت وأصبحت تضع كل صاحب مهنة في

مكانه الصحيح . . فالحانوتى ليس مسئولاً عن الموت . . إنه رجل أعمال . .

والناس كلها محتاجة إليه . . بل ويتقربون ويتوددون إليه حتى يهتم بهم

عندما يحتاجون إليه . . ويجاملهم بتخفيض أتعابه . . وهو بحكم عمله

مرتبط بكل عائلات الدائرة ارتباطاً يصل إلى حد الصداقة فليست هناك

عائلة لم يكن لها ميت أو في انتظار من يتوفاه الله من أفرادها . . فهي في

حاجة دائماً للحانوتى وفي حاجة إلى صداقته واحترامه . . وكل عائلة تعلم

انها لو انتخبت مرشح الحانوتى فسيجاملها بالاهتمام بإجراءات الجنازة

والدفن . .

وعاد مراد يصرخ :

واقسدا عليه ان يتوجهوا إلى مكاتب الانتخابات وينتخبوا زوجى شوقى . .
وإذا كنت قد حققت نجاح زوجى فسأحقق نجاح أخى وحبيبى مراد . .

وقال مراد ميتسماً لآخته ابتساماً باردة :

- فكرة يجب ان نحققها واعتمد عليك في تحقيقها . . وهي فكرة توحى

إلى بفكرة اخرى قريبة منها . . وهي ان نكون هيئة اخرى لاكتساب اصوات

البوابين ولاشك ان كل بواب يمكن ان يكون له تأثيراً على اكتساب

اصوات كل سكان العمارة التي يجلس على بابها . .

وقاطعته قائلة وهي تنظر إليه كأنها تشفق عليه من جهله :

- لا . . لا . . إن طبيعة شخصية البواب هي النفاق . . إنه مضطر

بحكم عمله ان يوافق كل سكان العمارة حتى يضمن الحصول على يقشيش

كل شهر . . فهو لا يتحمل مسؤولية إقناع سكان العمارة بل ينتظر ساكناً إلى

ان يدفع له أحد السكان أكبر مبلغ لشراء صوته الانتخابى . . ورغم ذلك

فقد يخذ هذا الساكن ويعطى صوته نظير مبلغ آخر قبضه من عمارة

اخرى . . المهم . . لا تعتمد على البوابين . .

وقال ساخراً :

- تحت أمرك . . فأنت أستاذة صاحبة خبرة في الانتخابات . .

وواجهته بمفاجأة اخرى :

- هل اتصلت بالحانوتى

وانتفض دهشاً قائلاً :

- اى حانوتى تقصدان ؟

- حانوتى الدائرة . .

بجانب الحوائط . . وحتى الكلمات التي يرددنها في نعي المرحوم كلها كلمات
هربية . . بلدى . . يلى دخلت في بيتى التلاجة يا رجلي . . يالى تركت لى
بلقة تملك يا حبيبي . . يالى مافيش حتة في بيتى إلا من خيريك يا روح
هللى . . و . . و . . وكانهن يعنين إكرام الله للمرحوم بأن زاد دخله بزيادة
ربائته من الموتى . .

وجلست على مقعد من المقاعد التي وجدتها دون أن تنطق بكلمة إلا
كلمة تعزیه تضطر إليها . . وطبعا لم تحاول أن تذرف دمعاً واحدة على
المرحوم . . إلى أن جاءت سيدة شابة وجلست بجانبها تتلقى عزاها . . إنها
اجمل شابة بين المعزيات . . جميلة فعلا جمالا يلفت النظر حتى نظر
النساء . . ولو انه جمال بلدى . . وتلبس ثوبا على الطراز البلدى . . وإن
كانت رقيقة مهذبة في كلامها ، ولا تصرخ هذا الصراخ ولا تردد نفس
الكلام التي ترده بقية النساء . . إنها فتحة زوجة عبد الرحمن ابن
المرحوم الحاج مدبولي . . وكانت تحمل على ذراعيها مولودا صغيرا . .
وعندما خرج نعش المرحوم تجمع كل النساء في البلكون ليودعنه بصراخهن
الوداع الأخير . . والتفتت فتحة حولها تبحث عن يحمل لها طفلها لتنتطق
إلى البلكون . . ثم فاجأت دولت بأن وضعت الطفل على ركبتيها . . وتقبلته
دولت في صمت وتحملته حتى بعد أن منح نفسه الحرية وتبول على ثوبها . .
وما كادت أمه تعود من البلكون حتى أعادت لها طفلها بسرعة كأنها تخاف
أن تتركه لها . . ولكن جمال فتحة ورقفتها وهي تشكرها خفف عنها
ما أصابها من قرف وهي تخطو خارجة داخل ثوبها المبلل بما قدقها به
الطفل . .

ورفضت في اليوم التالي ان تخضع لالحاح زوجها ان تذهب أيضا إلى
عائلة الحانوتى ويتم ايام العزاء . . رفضت في إصرار وأجبرته أن تقوم
إحدى إخواته بهذا العزاء بدلا منها . .

وحدث بعد شهر أن توفت أم دولت . . وفوجئت بأن فتحة زوجة
عبد الرحمن الحانوتى . . الشابة الجميلة الرقيقة هي التي جاءت بنفسها

- إن الناخب لا يفكر في الموت وهو يدلى بصوته . . وارحميني من هذه
السيرة . . سيرة هذا الحانوتى . .

وتركها وفر مبتعداً عنها كأنه يهرب من الموت . .

وجلست دولت وحدها ساهمة تستعيد ذكرياتها . . إنها هي نفسها
كانت كأخيها لاتطيق أن تذكر أو تتذكر الحانوتى . . ولا تطيق معرفته
شخصياً ولو من بعيد . . إن الحانوتى لا يوجد إلا في يوم الموت . . ولا أحد
يطيق أن يعيش هذا اليوم إلا إذا مات له عزيز لديه . . بل إن شخص
الحانوتى لا يخطر على بال أحد من المعزيين أو من المشيعين حتى يشكروا
أفضاله . . كما لا يخطر على بالهم عزرائيل الذى اختطف المرحوم . .

ولكن زوجها شوقى عندما رشح نفسه في الانتخابات منذ خمسة عشر
عاما اعتمد اعتمادا كبيرا على حانوتى الدائرة الحاج مدبولي . . كان دائما
معه . . ويصحبه كثيرا في طوافه بأحياء الدائرة . . وقد رفضت ايامها ان
تشارك مع زوجها في الاعتماد على هذا الحانوتى . . ولم تتنازل بزيارة
عائلته ، كما كانت تزور عائلات الناخبين . . رغم إلحاح زوجها عليها
ومحاولة إقناعها بأن الحانوتى له شأن كبير في نتائج أى انتخابات . . إلى
أن توفي الحاج مدبولي الحانوتى فجأة قبل موعد الانتخابات . . وأصر زوجها
على أن تذهب بنفسها لتقدم العزاء لاهله وتشيع الجنازة وترزف عليه كل ما
تستطيع من دموع . . وبلغ إصرار زوجها إلى حد الصراخ والتهديد حتى
خافت على حياتها الزوجية كما بدأت تخاف على مصير زوجها في
الانتخابات . . أى بدأت تقتنع بأهمية الحانوتى . .

وذهبت إلى بيت الحانوتى . . ورغم أنه في حى محترم وفي شقة من
عمارة من العمائر المحترمة . . إلا انها عندما دخلت فوجئت بمجتمع بلدى
بعيدا عن أى مظهر من مظاهر الحياة المودرن . . كل قطع الأثاث من النوع
البلدى المتأخر . . والنساء كلهن ملتفات بالملاءات السوداء البلدى . .
جالسات على الأرض . . وإن كانت هناك بعض المقاعد الخشبية منتشرة

ولم تكف دولة عن بذل الجهد في كل مكان . . لقد جعلت من هيئة
سمات البيوت التي كونتها قوة كأنها زوابع تقصف بالحي كله حتى تقتلع كل
المنافسين لأخيها في الانتخابات . . وكل يومها طواف على البيوت والدكاكين
والشوارع والحواري تدعو لانتخاب أخيها . . ولكنها كانت تثور على تكاسل
مراد . . إنه لا يشاركها في كل هذا الجهد الذي تبذله . . انه يبذل أقل من
نصف ما تبذله . . ويتحرك في هدوء وبرود كأنه يؤدي واجبات رسمية
ثقيلة . . ووصلت بها الثورة إلى حد أن صرخت في وجهه :

- أنت لا تصلح لترشح نفسك في الانتخابات . .

وقال ساخراً :

- إنك لاتفهمين ما هي الانتخابات . .

وصاحت في ثورة :

- كيف لا أفهم وقد سبق أن عشت انتخاب زوجي . .

قال مستمراً في سخريته :

- ولا زوجك يفهم في الانتخابات . .

وصرخت :

- كيف لا يفهم وقد فاز وأصبح نائباً في البرلمان . .

وقال في برود :

- لقد فاز بالمقعد لا لأنه يفهم في الانتخابات ولا بفضل ما بذله
للمرشحين . . ولكن على أيامه كان الاتحاد الاشتراكي هو الهيئة الوحيدة
التي توزع المقاعد . . وكانت قد قررت أن يكون لزوجك شوقي مقعد . .
وأنت تذكرين صديقنا ابراهيم الذي رشح نفسه في دائرة أخرى . وكان

لتقوم بعملية تغسيل المرحومة أمها . . معتذرة بأن حماتها زوجة الحانوتي
مدبولي مريضة وقد جاءت بدلا منها . . ووقفت دولت معها وهي تغسل
أمها . . كانت تمد يديها إلى جسد المرحومة في رفق وحنان وهي تتلو القرآن
والدعوات في صوت رقيق كأنها تغني لها . . حتى أن دولت أحست بحب
أمها أكثر وفتحية تغسلها فشاركتها في تغسيلها كأنها تتبارك بجسد أمها
وهي تلمسه بكفيها بل كانت تنحنى وتقبل أمها على جسدها الميت وتسكب
عليه دموعها . . كل ذلك من تأثير رقة وحنان فتحية وهي تغسل أمها . .

وقد وجدت نفسها تحب فتحية وتدعوها أحيانا إلى بيتها كصديقة . .
وكان زوجها عبد الرحمن قد ورث مسئولية أبيه وأصبح حانوتي الحي . .
وإن كان قد تطور بمظهره عن مظهر أبيه وأصبح يرتدى دائما البدة أو
القميص والبنطلون لا الجبة والقفطان ، كما كان يظهر أبوه ، وكما هو مظهر
الحانوتية . . كما غير من المجتمع الذي كان يعيشه أبوه وأصبح أكثر
انطلاقا في المجالات الحديثة كالجلوس مع أصدقائه في المقاهي الحديثة
والاشتراك في السهرات والتردد على دور السينما . . وإن كان قد احتفظ
بلقب حاج الذي كان يسبق اسم أبيه الحاج مدبولي . . رغم أن أحدا
لا يذكر أنه قام بإداء فريضة الحج . . وكان قد احتفظ بصداقة شوقي
وسعى معه في حملته الانتخابية وأصبح أقرب إليه مما كان عليه والده . .

المهم أن دولت تحررت من عقدة الحانوتي . .

وعليها هي أن تحرر أخاها مراد من هذه العقدة . .

وقد بذلت جهداً واسعاً كان من بينه أن أقامت دعوة إلى العشاء دعت
إليها الحاج عبد الرحمن الحانوتي وزوجته فتحية وأخاها مراد وزوجته مع
حضور روحها شوقي النائب السابق . . وكانت كلها سهرة الحديث فيها
تدور عن الانتخابات . . وقد لاحظت أن أخاها مراد رغم إشتراكه في
الحملة إلا أنه لا يبذل مجهوداً كافياً لاكتساب الحاج عبد الرحمن
الحانوتي والارتباط به وتجنيد في خدمة الانتخابات . .

وتجددين بعده أسماء عادية قد يكون بينها أسماء لا يعرفها ولم يسمع بها حتى أهل الدائرة نفسها . . وأنا واحد من هذه الأسماء العادية وكل ما اعتمد عليه هو صاحب الإسم الذى وضع على رأس القائمة . . وأنت تعرفين أنه إسم محترم . .

وتلجلجت دولت قليلا ثم عادت تصيح :

- إني أريد الناس أن ينتخبوك لشخصك حتى لو اضطروا أن ينتخبوا معك بقية أسماء القائمة . . أريدك أن تكون أقوى حتى من صاحب الإسم الذى يرأس القائمة . . ونحن نستطيع أن نكون الأقوى . .

وقال مراد وهو ينظر إلى أخته كأنها جاهلة مسكينة :

- ليس لنا أى قوة الا من خلال الحزب . . إنها انتخابات بين أحزاب لا بين أشخاص . . أى أن الذى ليس له حزب لا يستطيع أن يرشح نفسه . . وانت تعلمين إني إنسان واقعى لذلك فيأني أركز على نشاطى وكل جهدى داخل الحزب واتابع جهوده التى يبذلها حول الإسم الأول بل واشترك معه فى الدعاية الانتخابية لهذا الإسم . . كما اتابع اتصالاته بالهيئات الرسمية الحكومية التى تشرف على إدارة الانتخابات . . والباقى من وقتى وجهدى أبذله للناخبين . . هذا هو الطريق الصحيح لأضمن الحصول على المقعد . .

وسكتت دولت وهى تائهة . .

ولكنها عادت تبذل كل جهدها للدعاية لأخيها وإقناع الناخبين بانتخابه . .

وسقط مراد فى الانتخابات . .

لم يحصل على مقعد . .

هناك إجماع على أنه نال قمة أغلبية أصوات الناخبين ورغم ذلك أعطى المقعد لمنافسه عبد التواب رغم أنه كان منافسا كسولا يبخل على الناخبين حتى بفناجين القهوة وزجاجات الكازوزة . . ولكن كان هو الذى اختاره الاتحاد الاشتراكى ليجلس على المقعد . .

وعادت دولت تصرخ :

- هذه ادعاءات كاذبة تحاول أن تبرر بها تراخيك وكسلك . . وعلى كل حال فقد انتهى الاتحاد الاشتراكى . . وأصبحت الدنيا أحزابا . .

وقاطعها مراد قائلا فى ابتسامة مرة :

- وأصبحت الانتخابات بالقائمة . . هل تفهمين معنى الإنتخاب بالقائمة . .

قالت وهى تتحدها :

- ماذا تريدنى أن أفهم منها ؟

وقال مراد من خلال ابتسامته الساخرة :

- أن الانتخاب بالقائمة معناه انى لست مسئولاً عن نفسى ، ولكن الحزب هو المسئول عنى . . أى بعد أن كان الاتحاد الاشتراكى هو المسئول عن توزيع المقاعد وزعت المسئولية على أحزاب كل حزب منها مسئول عن توزيع المقاعد التى يستطيع أن يحصل عليها . . وقد اخترت انا أن أضع اسمى فى قائمة الحزب الذى أحترمه ويضم أصدقائى . . ولكن الحزب وهو يقوم بالمساعى الانتخابية يركز كل اهتمامه على الإسم الأول الذى يوضع على رأس القائمة . . لأن هذا الإسم إذا فاز بأغلبية أصوات الناخبين فازت معه بقية الاسماء التى تحملها القائمة . . لذلك فانت تجدين القائمة التى أعلنها كل حزب تحمل على رأسها إسما براقا لامعا تعرفه مصر كلها . .

هو .. والحمار ..

كانت السيارة الحكومية المحترمة تجتاز شارع الهرم إلى أن وصلت إلى قرب نهايته فاستدارت إلى ضفة ترعة المنصورية . . واستمرت تتحرك في سرعة هادئة إلى أن وصلت إلى قرية كفر الجبل . . وبعدها انتهى الطريق المرصوف وبدأ طريقا ليس مسفلتا ، وإن كان مفتوحا أيضا لمرور السيارات . . ولكن السيارة توقفت منذ نهاية الطريق المرصوف ونزل منها السائق وانحنى باحترام كبير يفتح الباب الآخر . . وانتصب واقفا بجانب السيارة كأنه جندي يؤدي تحية رسمية . . إلى أن نزل منصور بيه البرهومي من السيارة . . وقال في صوت هادئ متعال :

- غدا الساعة السادسة والنصف عند الغروب . . لا تتأخروا . . ثم سار في خطوات وتيرة نحو حمار واقف كأنه في انتظاره ويمسك به صبي ريفي وبجانبه خفير يرتدى جلبابا ريفيا محترما زاهيا . .

وانحنى الخفير يقبل يد منصور بك وحاول الصبي أيضا أن يقبل يده . . وفي بساطة رفع منصور بك ساقه واعتلى ظهر الحمار وقاده فوراً في الطريق غير المرصوف الذي يشق الاراضى الزراعية . .

وقال السائق وهو لا يزال بجانب السيارة :

- الناس تتمنى أن تترك ركوب الحمير وتركب سيارات . . وسعادة البيه يترك السيارة ليركب الحمار . . ثم استطرد ضاحكا :

- اللي أصله حمار يظل طول عمره حمارا . .

* * *

وكان اصداؤه يقابلونه مواسين . . كيف حدث هذا . . كيف سقط في الانتخابات . . وكان مراد يجيب مع ابتسامته الساخرة :

- انا لم أسقط . . لا شيء يمسه شخصي . . ولكن سقط الحزب في ترشيح الإسم الذي وضعه على رأس القائمة . . إنه رأس غير رأسى . .



- كن عاقلا يا منصور . . لقد عشت طول عمرك نظيفا . إنك لاتخاف
أحدا . ولكنك تخاف الله . . وقد عشت طول عمرك والله يغنيك . . ويصون
عزتك وكرامتك أمام هؤلاء الجرايع . . ولن تمد يدك إلى مليم واحد
حرام . . ما رايك يا محروس . . هل أنا شريف أم غبي . .

والحمار يتجه إلى طريق آخر متفرع عن الطريق الزراعى . . ثم يدخل
في طريق ثالث . . دون حاجة إلى قيادة . . إلى أن وصل إلى البيت في آخر
الأرض الزراعية . . ووقف من تلقاء نفسه . . وأفاق منصور من الخواطر
التي تعصف بعقله على صوت ابنه شريف وهو يصيح مهللا في قرح :

- بابا . . بابا . .

ونزل منصور من فوق ظهر الحمار في بساطة كأنه تعود على الركوب
* والتزول . . ومد زراعيه ورفع ابنه يحتضنه ويقبله قائلا :

- اشتريت لك العجلة يا شريف . . وستصلك اليوم . .

وشريف وهو في احضان والده ينظر إلى الحمار في غيظ وسخط وقال
لأبيه :

- لماذا لا تأتي إلى البيت بالسيارة يا بابا . . إن هذا الحمار ثقيل الدم
وعجوز . . يكاد يموت . .

وقال منصور وهو يبتلع ريقه كأنه يبتلع كذبه :

- ركوب الحمار رياضة يا ابني . . انه ينشط الدورة الدموية . . وقد
تعودت على ركوب الحمار « محروس » حتى لم أعد أستطيع أن أستغنى عنه
رغم أنه أصبح عجوزا . .

وسرح منصور في خياله وهو يعود ويقبل ابنه . . أن ابنه لم يفهم ولم
يقدر أبدا ماعوده على ركوب الحمار . . وما دفعه إلى أن يظل في حاجة إلى

ومتصور البرهوى يهتز فوق ظهر الحمار مرتديا بذلته الكاملة ورباط
العنق يلتف حول عنقه في جلال واحترام . . والحمار تحيل قصير حتى أن
أقدام منصور تكاد تلامس الأرض وهو فوقه . . والبردعة التي يجلس عليها
فوق ظهر الحمار تبدو قديمة مهلهلة لا تليق بمظهر منصور بيه . . وقد ابتعد
عنه الرجل والصبي اللذان كانا يصاحبان الحمار وأصبحا يجريان خلفه من
بعيد وكل منهما حريص على ألا يقترب منه . . كأن هذه هى التقاليد التي
فرضها عليهما منصور . . أى ألا يقتربا منه وهو فوق ظهر الحمار . .

ومد منصور ذراعه وربت بيده على عنق الحمار وقال بصوت
مسموع :

- كيف الحال يا محروس . . الحال يحيرنى يا محروس . .

وشد منصور قامته واستطرد قائلا :

- ما رايك يا محروس . . لقد رفضت في العام الماضى خمسة آلاف
جنيه بحجة الإصرار على النزاهة . . أتذكر ماذا كانت النتيجة . . لقد أخذ
عباس وكيل الوزارة عشرة آلاف . . ولو كنت قد قبلت أنا الخمسة لما وصل
اليه ولا مليم . . الله يرحمه . . وأنا الآن وكيل الوزارة . . والمعروض عشرة
الآف . .

وضحك منصور ساخرا واستطرد :

- إن ظفر اصبع قدمى يساوى رقية عباس . . والعشرة آلاف إذا
باعت إلى يجب أن تصبح عشرين . . ولكن النزاهة يا محروس . .
الشرف . . ان سمعتى في الحكومة كلها تبرى كالبرق . . فكيف أضحي بهذه
السمعة . . ولكن إذا رفضت أنا العشرة آلاف فكم تكون إذا وصلت إلى
الوزير . .

وارتعتت جفون منصور فوق عينيه وعاد يحدث نفسه بالصوت
المسموع :

الهرم . . ومن هناك يستقل الاتوبيس إلى حيث يذهب . . ويعود ليجد الحمار في انتظاره ليعود به إلى البيت . . وهو كما هو . . لايكاد يركب الحمار حتى ينطلق لسانه بكل ما في عقله . . وحتى بعد أن أصبح موظفا في الحكومة لم يفكر في أن يستبدل الحمار بسيارة ولو صغيرة . . أو بموتوسيكل . . أو حتى بدراجة . . كما لم يفكر في الانتقال من بيت العائلة القريب من قرية كفر الجبل . . والحمار لا يزال ينتظره وان كان لم يعد يحمله إلى شارع الهرم بل يكتفى به إلى بداية الطريق المرصوف الذي كان قد شق على شاطئ المنصورة . . وكان حماره الأول يسميه « مبروك » . . ولكن « مبروك » انتهى . . مات . . قيدا يركب « محروس » . . وهو لم يشتر « محروس » . . والا لما اشترى هذا الحمار القصير الهزيل . . ولكنه كان الحمار الذي وجدته في البيت . . من أفراد العائلة . . وتعود عليه بسرعة . . بل وجد نفسه وهو فوقه ينطلق أكثر مع افكاره وينتهي إلى آراء كانت دائما صائبة . . إنه مستبشر دائما بمحروس . . ولا ينسى الأيام الطويلة التي قضاها معه قبل أن ينتهي إلى طلب نعمات للزواج . . لقد كانت كل عائلته ترفض هذا الزواج . . وهو نفسه كان يجد أن العائلة على حق . . فنعمت هي ابنة فلاح مؤجر عادي لا يليق بنسب العائلة . . التي تملك عشرين فدانا ملكية خالصة . . حتى لو وزعت الأرض بين الأخوة فلن يقل نصيب كل منهم عن خمسة افدنة . . فكيف يتزوج ابنه فلاح لا يزال يحمل الفأس . . وأولاده كلهم أصبحوا عمالا وواحدا منهم سافر إلى ليبيا والثاني سافر إلى العراق . . انها فضيحة عائلية لو تزوج نعمت . . ولكن الواقع ان نعمت كانت ملء أحلامه منذ نمو شبابه وكانت لاتزال صبية . . ولم تكن كبقية الفلاحات . . لم ترض أبدا أن تستجيب لأبن صاحب الأرض . . كأنها تعتبر نفسها من عائلة كبيرة وليس هناك طريق لمن يريدتها الا الزواج . . وقضى شهورا وهو يناقش الحمار « محروس » دون أن يستسلم لوجيه . . إلى أن استسلم أخيرا وتزوج نعمت . . وأصبح يعيش معها النعيم كله . . والهناء كله . . ونعمت هي التي توحى له دائما بأن يبقى في هذا البيت . . لقد هاجرت عائلته كلها من كفر الجبل وهو وحده الذي بقى فيها . . كأنه تزوج كفر الجبل منذ تزوج نعمت . .

ركوبه حتى بعد أن ارتقى في حياته عن الطبقة التي تركب الحمير . . بل حتى وهو يشعر ان الناس تعتبره شاذا غريبا وهو مصمم على ركوب الحمار . . ان هذا الحمار كان دائما هو الوحى الذى يوحى له بكل ما يقنع عقله . . بل كان مستشاره الذى يناقشه قبل أن يتصرف أى تصرف . . وكل عقل في حاجة إلى أن يستعين بما يوحى له . . لو كان من الشعراء مثلا لاعتمد على المناظر الطبيعية أو على الظهور الجميلة يستوحى آيات الشعر التى يكتبها . . أو قد يعتمد الرجل الذى يفكر على ما توحى له به امرأة يحبها . . أو قد يعتمد على ادمان تدخين الحشيش أو ادمان الخمر وربما اعتمد على صديق بالذات يحس وهو يتحدث اليه ويناقشه أن عقله منطلق متفتح صريح . . ولا يهم ما يقوله هذا الصديق من رأى ، بل المهم هو أن المناقشة تصل بعقله هو إلى رأى . . وهو لا يحس بعقله متفتحا منطلقا الا وهو على ظهر حمار . . وتعود بمجرد أن يركبه أن ينطلق معبرا عما يدور بعقله بصوت عال مسموع . . لا يسمعه الا الحمار . .

وقد بدأ الارتباط بالحمار منذ كان طفلا فقد كان الحمار يأخذه كل صباح إلى الكتاب . . وكان لايكاد يعتلى ظهره حتى يبدأ في مراجعة الدروس التى تلقاها والتى سيحاسبه عليها شيخ الكتاب . . وقد يبدأ في تلاوة الآيات القرآنية المفروضة عليه أن يحفظها . . ثم يلكر الحمار بقدميه ويصبح فيه . . سامع يا حمار . . اسمعنى ثانية هذه الآية . . ويعود هو نفسه تلاوة الآية . . ويصبح مرددا دروس اللغة العربية . . كاف ضمه كو . . كاف كسره كى . . ثم ينهال بكفه ضربا في الحمار وهو يصيح . . احفظ يا حمار . . وقد يصيح يروى مشكلة من المشاكل التى تطرا عليه . . الواد محسن يصطاد العصافير ببندقية أبيه الرش . . ماذا أفعل أنا . . ان أبى يرفض أن يعطينى ببندقية . . هل أسرقها . . ثم ينغز الحمار صائحا . . ما تشوف لها طريقة يا حمار . .

حتى بعد أن كبر ودخل المدارس الابتدائية ثم الثانوية ثم وصل إلى كلية الحقوق بالجامعة كان يركب الحمار كل صباح إلى ان يصل إلى شارع

- لماذا تسمى هذه العلاوة رشوة .. حتى إذا لم تكن علاوة فلماذا لا تكون سمسة .. أو عمولة .. العمولات التي تعودت الشركات ان تدفعها للوسطاء في أى عملية تقوم بها .. إن موظف الحكومة هو الوسيط بين الشركة والدولة .. أى ان من حقه ان يحصل على عمولة .. وكل كبار وصغار الموظفين يعيشون على هذه العمولات .. بل لعلك سمعت عن وزراء بل ورؤساء وزارات كان لهم نصيب في هذه العمولات رفعتهم الى مستوى اصحاب الملايين .. ولو كانت الدولة قد وصلت من الرقى الى حد التعامل مع الواقع لاعترفت بنظام العمولات واعتبرته نظاما قانونيا شرعيا .. وتركت موظفيها يحصلون على حق العمولة علنا .. وان كان الموظفون سيخسرون لأن قيمة العمولة الشرعية تكون دائما اقل من قيمة العمولة السرية غير القانونية ..

وانحنى منصور يربت على عنق الحمار محروس قائلا كأنه يلوم نفسه :

- لماذا اكون أنا الموظف الوحيد في الدولة التي يتمسك بالشرعية .. وبالقانون .. وبالتزاهة .. وبالشرف .. إن كل موظفي الدولة يتقاضون عمولات تصل من جنيه واحد الى مائة جنيه الى مليون جنيه .. وكلهم والحمد لله معروف عنهم التمسك بالشرعية وبالقانون والتزاهة والشرف ..

ثم اعتدل منصور فوق ظهر الحمار ، وقال وهو يبتسم كأنه هدا واستقر على الرأي الذي جاء الوحي به :

- حاضر يا محروس .. اتقنا .. سناكون واقعيا ولن أخيب أمل مدبولي وشركته ..

* * *

وكان الحمار قد وصل الى اول الطريق المرصوف .. وكانت السيارة الحكومية المحترمة تقف في الانتظار .. وانحنى السائق في احترام كبير يفتح

وفي صباح اليوم التالي كان الصبي يقف بالحمار « محروس » امام الباب ويقف بجانبه الخفير .. وخرج منصور البرهومي يحمل ابنه شريف .. ثم انزله على الأرض قائلا بعد ان قبله :

- ستصلك السيارة لتحملك الى المدرسة .. بالسلامة ..

وقال شريف كأنه يهم بالبكاء :

- تعال معي في السيارة يا بابا ..

وقال منصور ضاحكا :

- لو كنت تحب بابا لتركته يزاول رياضته ويرعى الدورة الدموية .. ثم اعلتى ظهر الحمار وابتعد به بسرعة من أمام ابنه كأنه يهرب من محاسبتها له .. وظل الصبي والخفير يجريان وراء الحمار من بعيد .. كما تقضى التقاليد .. وانطلق منصور يقول بصوت عال :

اسمع يا محروس .. لنكن واقعيين ونعترف بأن شركة مدبولي للمقاولات لا تسرق ولا تغش .. إن المشروع الذي اتمته في العام الماضي شهد له جميع الخبراء الذين تسلموه بأنه في منتهى البروعة والكمال .. وقد مضت شهور منذ تسلم هذا المشروع ولم يظهر فيه شرخ واحد ولا سقطت منه طوبة .. صحيح أنهم يدفعون لكثير من الموظفين نظير تسهيل المعاملات ، ولكنهم لا يدفعون على حساب العمل .. أو من تكاليف المشروع نفسه .. ولكنهم يدفعون على حساب رفع قيمة العملية .. أى إذا كانت التكاليف تصل إلى الف جنيه يرفعونها إلى عشرة آلاف حتى يغطوا قيمة التسهيلات التي يحصلون عليها من الموظفين .. أى ان الموظف لا يأخذ مليما من شركة مدبولي .. ولكنه يأخذ من الحكومة .. كأنه يأخذ علاوة أو مكافأة شرعية لا أكثر .

وسكت منصور البرهومي قليلا كأنه يستعيد افكاره ، ثم قال وهو يربت على عنق الحمار محروس :

حقيقية صغيرة تضم العشرين الفا . . إنه يعلم أن ما يتفق عليه لا يدفع
بشيك على البنك . . بل يدفع كأوراق مالية . . ويجب أن يدقق بالآلا تحمل هذه
الأوراق أرقاما مالية متتالية . . وإلا كان من السهل ضيطة بها وإثبات
التهمة عليه . . ومهما كان يجب أن يفرح . . إنه أكبر مبلغ يصل اليه دفعه
واحدة في حياته . . وهو لا يمكن أن يتهم نفسه بالرشوة . . إنه ينال
حقه . . حق العمولة . . حق الواقع . .

* * *

ولم يكن قد مضى أكثر من أربعة أيام . .

وعاد منصور البرهومي من مكتبه ووقفت به السيارة في آخر الطريق
المرصوف ورأى الحمار « محروس » في انتظاره . . وترك السيارة مندفعا على
غير عادته وهرع الى الحمار كأنه يهجم عليه ثم رفع ساقه وضربه بالشلوت
ضربة عنيفة . . وقفز الحمار من الضربة ، ولكنه لم يستطع أن يفر
والصبي الصغير لا يزال يمسك به . . فضربه منصور شلوتا آخر كأن ساقه
التي يضرب بها ساق مجنون . . ولكنه رغم ذلك أمسك بالحمار وركبه
واستطاع أن يخضعه لإرادته وسار به نحو البيت . . وما كاد يبتعد به
خطوات حتى صاح :

- أتدرى ما حدث يا حمار . . لقد وضعت كل شركة مدبولي تحت
الحراسة . . وقبضوا على عبد المنعم مدبولي وبدأوا التحقيق معه . . وهم
يقولون أنه اعترف بكل شيء . . الحمد لله . . انى لم أوقع له أى ورقة ولم
يضع في يدي ولا مليم . . الله انقذك في آخر لحظة يا منصور . . بعد يوم
واحد كنت ستوقع كل الأوراق وتتسلم العشرين الف جنيه . . كنت سأضيع
نتيجة غباء هذا الحمار « محروس » . .

وضرب بطن الحمار بقدميه المتدليتين فوقه وهو يصيح :

- كان يجب أن تقدر أن الأحوال تغيرت . . وإن الصفقة الت تمت في
العام الماضي لا يمكن أن تتكرر هذا العام . . ولكنك كنت غبيا . . أول مرة كاد

الباب ووقف منتصبا كالجندي في موقف رسمي . . الى أن نزل منصور بيه
البرهومي من على ظهر الحمار وركب السيارة . .

والتقى منصور بمدبولي شركة مدبولي في مكتبه بالوزارة في اجتماع
سريع . . وفي نفس المساء كان المهندس عبد المنعم مدبولي كبير مهندسى
الشركة نفسه في زيارة منصور ببيته القريب من كفر الجبل . . مدعوا على
العشاء . . ولم تظهر بينهما زوجته نعمات . . ممنوع . . انها فلاحه وقد
احتفظ بها الى اليوم كفلاحه . . وتقاليد الفلاحين أشرف من تقاليد اهل
المدن . . ممنوع أن تشارك الزوجات في اجتماعات الرجال . .

وتم الاتفاق على كل شيء . . أن شركة مدبولي دفعت لوكيل الوزارة
السابق عشرة آلاف . . رحمه الله . . ولكنها ستدفع لمنصور الوكيل الحالى
خمسائة عشر الفا . . وقال المهندس الكبير عبد المنعم مدبولي :

- انك اكبر . . واصعب . .

وقال منصور ساخرا :

- المشروع اكبر . . ان ميزانيته توازى ثلاثة أضعاف ميزانية
المشروع السابق . . وبالحساب الرقمى فان المبلغ لا يجب أن يقل عن
عشرين الفا . .

وقال المهندس الكبير هو يتهدد كأنه يستسلم :

- امرك . . ودعنى أتشرف بدعوة نفسى الى العشاء عندك مرة أخرى
يوم الخميس القادم . . ويكون قد تم تجهيز العقود . .

وقال منصور ساهما :

- ياذن الله . .

وقام يودع المهندس الكبير . . سيعود اليه الخميس القادم وهو يحمل

غباؤك يلقى بي في داهية ويخرب بيتي . . لقد أصبحت حمارا عجوزا
لاستطيع أن توحى ، أو تلهم إلا بخراب البيوت .

وعاد يضرب في بطن الحمار « محروس » بقدميه ثم هدأت انفاسه
قليلا وعاد يقول :

وقشلت في الطريق الآخر ..

عادت زينب من المسرح في الساعة الثانية صباحا بعد أن انتهت
المسرحية ودون أن تحيي أحد من أعضاء الفرقة المسرحية أو تقول
كعادتها . . تصبح على خير . . وفتحت باب البيت ودخلت وخطواتها ترتعش
بها . . ووقفت برهة تنظر الى زوجها الدكتور محجوب وهو جالس كعادته على
مكتبه . . بينما رفع اليها محجوب رأسه يستقبلها صامتا بابتسامة كبيرة
طيبة في انتظار أن تقدم عليه وتلقى نفسها على ساقيه كعادتها كأنها ترتاح
من مشوارها الطويل . . وتقبله . . وتقول له كلمات حلوة ترفع من خلوة
قلباتها . . ولكنها وقفت بعيدة عنه ، وقد انتقلت رعشتها الى كل ملامح
وجهها ، ثم ألقت بنفسها على الأريكة وانهارت في البكاء بصوت عال
كما يبكي الأطفال . .

وظل محجوب جالسا الى مكتبه وابتسامته الواسعة على شفتيه . . لقد
تعود من زوجته زينب على كثير من المفاجآت . . ليست هذه هي المرة الأولى
التي تعود باكية وتنهار في البكاء . . وقد تعود اليه يوما وتفاجئه بالاندماج في
هز وسطها والرقص . . وقد تعود اليه وتسقط مستلقية على ساقية وتنام
فورا نوما عميقا الى أن يحملها بين ذراعية ويرقددها على فراشهما . .

وقد ظلت زينب تبكي مدة طويلة وجسدها يرتعش كله فوق الأريكة . .
الى أن هبت جالسة وصاحت من خلال دموعها :

- هذه آخر ليلة أمثل فيها هذه المسرحية . .

وقال محجوب في هدوء وكأنه يربت عليها بابتسامته :

- ولكنهم قد يطلبوني في التحقيق للشهادة ضد مدبولي . . ان كل
الوزارة تعلم اني كنت ثائرا ضد صفقة العام الماضي وأنى استطيع أن أشهد
بكل التفاصيل . . ولكنى لو شهدت على مدبولي فقد بفضحني ويفشى السر
ويعلن اني طالبته بعشرين الف جنيه نظير توقيع الأوراق . . ولكنه لايمك
أى ورقة أو أى دليل يثبت به هذا الكلام . . وسأكذب حتى لو اضطرت أن
اقسم بالقرآن كذبا ويحل على غضب الله . . عاجبك كده يا حمار ياغي . .
كأتى أصبحت على شفا هاوية . . اما أن أنفذ بجلدى أو تحل بي داهية . .
هذا ما وصلت اليه يا حمار . .

وكان الحمار قد وصل به الى البيت ونزل من على ظهره ورفع ساقه
وضربه بالشلوط مرة أخرى ثم التقط عصا غليظة كانت ملقاة على الأرض
وانهال عليه ضربا . . وهو يصيح :

- القى بي الغباء في داهية . . لم أكن أدري انك في منتهى الغباء . .
يا حمار . .

وكان ابنه شريف قد خرج اليه وكأنه فرح وهو يرى أباه يضرب في
الحمار فالتقط هو الآخر عصا من على الأرض وأخذ يضرب فيه . . الى أن
وقع الحمار « محروس » على الأرض وهو يرفس بسيقانه الأربع في الهواء
كانه يستغيث . . والقى منصور البرهومي بالعصا من يده . . وانفاسه
تتهجد . . وكله يرتعش . . ثم صاح في وجه الصبي والخفير :

- ابحثا لى عن حمار آخر . . لن أخرج غدا بهذا الحمار . .



امراة . . اى الى بطله المسرحية . . فالغى كلمة راهبة من العنوان وجعله
« في طريق الجحيم » . . حتى لا أمتاز عنه . . حتى لاياتى المتفرجون الى
ولا يأتون إلا اليه . . ولن أستمر في تمثيل هذه المسرحية اذا صمم على
الاستمرار في الحوار والمشهد الذى أضافه لنفسه . . بل انى لن أظهر أبدا
على مسرح وجدى فرج . . ولن أعمل مع هذا الأستاذ الكبير الحقيق
أبدا . . لن أظهر معه أبدا على مسرح واحد . .

وقام الدكتور محجوب من على مكتبه وجلس بجانب زينب واحتضنها
بزرعه وقبلها فوق جبينها ثم قال في هدوء :

- ليس في كل هذا شيء غريب . . إن القديم يغارد دائما من الجديد . .
وهو نجم قديم ، وانت نجمة جديدة تلمعين بسرعة . . وحتى عندنا في كلية
الطب . . الأستاذ يغار من المدرس . . والمدرس يغار من المعيد . . والقديم
يحاول أن يسد الطريق أمام الجديد . . وأخبار العيادات الطبية الخاصة
يتناقلها الأطباء كأنها أسرار الأعداء . . والطبيب الذى تدر عيادته دخلا
أكثر من الآخرين يواجه أعداء أكثر كل منهم يبحث عن طريق لخراب هذه
العيادة والقضاء على هذا الطبيب . . هذه هى الدنيا . . والنجاح ليس
طريقا مريحا يجتازه الموهوبون . . النجاح معركة . . ليست معركة بين
الأعداء ، ولكنه معركة داخل بوتقة تضم زملاء الذين يسيرون في طريق
واحد . .

وقالت زينب وهى تجفف بقية دموعها :

- حتى لو كانت هذه هى طبيعة الحياة فهذه هى آخر ليلة أمثل فيها
هذه المسرحية . . بل هذه هى آخر ليلة أجمعنى مع وجدى مسرح واحد . .

وقال محجوب في هدوء

- لا تستطيعين ان تتخذى قرارك الآن وانت متعبة منهكة
انتظرى الى الصباح وايدئى التفكير من جديد . .

- لماذا . . ماذا حدث أكثر مما يحدث ؟

وعادت زينب تصيح :

- إنى لم أعد اطيق هذا الثعبان . . انه لن يشبع من لدغى بسمومه
الا بعد أن يطمئن الى أنه قضى على . . بعد أن يتأكد من انى لم أعد شيئا
بجانب عظمة جنباه . . وقد قلت لك انه استدعانى بالامس وقال لى انه
سيجرى تعديلا بسيطا في الحوار يلقيه في المشهد الذى يجمعنا في الفصل
الثانى . . ولم اعترض . . انى لا أستطيع أن اعترض فحضرتة هو صاحب
الفرقة وصاحب المسرح وهو الأمر الناهى ولا راد لكلمته . . ثم إنى لم
اعترض لأن هذه المسرحية تدور كلها حول شخصية البطله . . وأنا
البطله . . أنا كل شيء في هذه المسرحية . . أنا صاحبة كل هذا النجاح الذى
يضح به المسرح كل ليلة . . وإذا أراد أن يزيد كلمتين على الحوار الذى
يلقيه أمامى في هذا المشهد فلا يقلل هذا من قيمة الدور الذى اقوم به . .
وقد سألته بعد أن قال لى أنه سيعدل في الحوار . . هل تقوم ببروفة
جديدة . . فرد على بأن التعديل لن يشمل المشاهد وكل ما على هو أن أنتظر
الى أن يتم المونتولوج الذى يلقيه . . ووافقت بلا اهتمام . . الى أن فوجئت
بالمصيبة هذه الليلية ونحن نمثل . . إنه لم يضيف الى الحوار كلمة
أو كلمتين . . أضاف لنفسه مونتولوجا استمر أكثر من ربع ساعة . . يؤديه
مع حركات غريبة جديدة يقوم بها . . وقد كدت اجن وأنا في انتظار أن
ينتهى من الإلقاء حتى أبدا أنا . . بل كنت أقاوم أن اهجم عليه ونحن على
خشية المسرح حتى أسد فمه عن الإلقاء . . إن ما أضافه يشوه
المسرحية . . ولكنه لم يكن يهमे أن يشوها كان كل ما يهमे أن يأخذ
المتفرجين منى ويربطهم بنفسه . . ومنذ البداية وهو يكره هذه المسرحية
لأنها تقوم على شخصية البطله . . لا على شخصية البطل . . أى عليه
هو . . بل انه لم يقل عرض هذه المسرحية إلا تحت الحاح المتعهد الذى
يعده بكل إيراد المسرح . . حتى أنه غير في عنوانها الاصلى . . لقد كان
العنوان « راهبة في طريق الجحيم » . . ولكن كلمة راهبة تنسب الى

على تمثيلها ، ولكنها دائما كانت تحب أن تقوم بالتمثيل امامه ربما لانها ايضا تعتبر التمثيل امامه مجرد فرصة لقاء به . . وكان لزينب موهبة أخرى اشتهرت بها بين عائلات الحي وهي موهبة الرقص البلدى . . إنها راقصة وهي ترقص . . بل إنها كانت تبتكر حركات جديدة في الرقص كأنها تتطور به الى فن أرقى . . ولكنه كان يحس بنوع من الخجل والحياء وهو يشاهدها ترقص . . خصوصا اذا رقصت أمام مجموعة من اهل الحي . . كان لا يستطيع أن يتحرر من تحفظه الذى يعتبر أن الرقص عيب وتحريض بالنسبة للبنات خصوصا اذا رقصت أمام الناس . .

وكبرا . . والتحق بكلية الطب وأصبح طبيبا . . وبعد سنوات كانت قد التحقت بمعهد التمثيل وأصبحت ممثلة . . وتزوجا في بساطة كان رواجهما كان قدرا طبيعيا وعدا به منذ البداية وكتب عليهما . . وتزوجها وهو يعلم أنها ممثلة لها كل الحرية وكل الحقوق التى يتطلبها فنا . . وتزوجته وهي تعلم أنه مترجم ومتحفظ وليس من هواة التمثيل وإن كان يعترف به كفن . . وكان الفارق الكبير بينهما أنه لا يحس بحاجته الى الناس . الى الشهرة . . بل إنه لم يفتتح عيادة خاصة تجذب المرضى بل تفرغ للابحاث والدراسات الخاصة بعلم الطب . . وكان قد عين معيدا في كلية الطب ومع السنوات أصبح مدرسا ثم استاذ . . ودون أن يتعمد أصبح مشهورا . . لا كطبيب معالج ولكن كأستاذ من علماء الطب ورغم شهرته فهو لا يزال صاحب دخل محدود لأنه لم يفتتح عيادة يمولها المرضى . . أما هي فإنها متفرغة لفن في حاجة الى الناس . . الى الجمهور . . وكل مافي عقلها هو السعى إلى إكتساب الجمهور وهي تمثل امامه على المسرح . . وتحاول الأينسائها الجمهور ، فتسعى وراء الصحف لتكتب عنها وتنتشر صورها . . وتثير مشاكل فنية تجعل الجمهور يدخل في مناقشات حامية حولها . .

ورغم ذلك فقد استطاعا أن يوفقا بين الشخصيتين . . وقد ربط نفسه بمواعيد عمل زوجته . . تعود أن يقضى الليل يعمل في أبحاثه الطبية إلى أن

وقام من جانبها . . ودخل الى المطبخ وأعد لها كوبا من النعناع المغلى . . وفتح درج مكتبه وأخذ قرصا من الأقراص المنومة . . وعاد إليها قائلا :

- المهم الآن أن تنامى . .

وجلس بجانبها الى أن شربت النعناع وابتلعت القرص وهو يحاول أن يحدثها عن اخبار يومه وهو يعلم أنها لاتسمعه . . ثم أخذها تحت ذراعه ودخل بها غرفة النوم وأرقدوا على الفراش . . ورقد بجانبها ووجهها يملا عينيه وابتسامته لاتزال بين شفقيه . .

انه منذ رأى زينب وهي جارته في شارع المنيرة وهي هذه الشخصية ، ولم تتغير . . لعلها كانت ممثلة منذ ولدت . . ولعلها كانت تلقى الواوة . . وتصيح واء . . واء . . بلهجة تختلف عن واوة جميع الأطفال . . كأنها ولدت وهي تحفظ الواوة وتجيد القاءها وتمثيلها أمام المتفرجين . . وقد كان أكبر منها بسبع سنوات . . ولكنه عاش وهو يحس دائما أنها معه رغم الاختلاف الواضح بين شخصيتيهما . . فهو هادئ دائما . . منزوي . . متحفظ . . وهي دائما شعلة من نار . . لاتكف عن الحركة وعن الضحك وعن البكاء وعن الفرجة وعن المعارك . . وهي منذ وعث وهي تمثل . . كانت تقرا القصص وأبيات الشعر وتمثلها امامه عندما تكون في زيارة لخته ، أو يكون في زيارة أخيها . . ثم أصبحت تأتي اليه وحده لتمثل امامه آخر ما حفظته . . وقد اشتركت في فرقة التمثيل بكل مدرسة دخلتها ، وكانت تمثل فيها دور البطلة . . وكان يستطيع أحيانا أن يذهب الى حفلات مدارسها ليتفرج عليها وهي تمثل . . والواقع أنه لم يهو أبدا التمثيل ولم يفكر أبدا في أن يمثل معها . . بل انه لم يكن أيضا من هواة الفرجة على المسرحيات أو على الاقلام السينمائية . . ولكن كان التمثيل بالنسبة له هو فرصة لقاء مع زينب . . ولم يكن يحس بها أنها ممثلة وهي تمثل ، وكان كل ما يحس به أنها زينب . . وكانت تعلم عنه أنه ليس فنانا متخصصا في الحكم

الى هذا الحد كان التوافق بين شخصيتهما . . وكان يعيش معها كأنه يعيش مسرحية رائعة تمثلها له وحده . . وكانت تعيش معه كأنه الواقع الوحيد الذى يريحها من متاعب الفن . . الواقع الذى تضحك فيه ، وتبكي وتطلق جنونها ، أو تعيش هدوها بلا تمثيل . .

ورفع محبوب عينيه الى وجهها ومعها ابتسامه ذكرياته . . واطمأن الى انها نامت . . وانحنى يقبلها قبلة صامته كأنه يمسخها بشفتيه تبركا بها . . ثم اطفأ النور . .

* * *

وقامت زينب من النوم فى الصباح التالى وهى مقزوعة . . كأن الفكرة التى تشغل فكرها لم تنم معها بل ظلت متيقظة فى رأسها طوال تأثير الدواء النوم الذى أعطاها لها زوجها . . إلى أن أفرعتها الفكرة من نومها بعد أن انتهت سيطرة النوم عليها . . وتفتحت عينها على نفس الثورة التى نامت عليها . . لن تستمر فى تمثيل هذه المسرحية . . بل لن تقف على المسرح أبدا بجانب هذا الفنان الحقيقى وجدى فرج . .

ولكنها وجدت أفكارها تتغير . . ووجدت احساسا فى العناد والتحدى يتغلب عليها . . انها فنانة فى منتهى عبقريه الفن . . وهى ممثلة وصلت الى قمة التمثيل فى المسرح العربى كله . . ولن يستطيع أحد مهما وصلت به الغيرة والسقالة ان يبعدها عن المسرح . . إن دقيقتين تظهر فيهما على المسرح يساويان ليلة كاملة يظهر فيها على المسرح أى ممثل أو ممثلة . . وستثبت ذلك لهذا الأستاذ وجدى فرج . .

ولم تحدث زوجها فى شيء . . ولم يحاول أن يحادثها ، وقدر أنها هائمة تبحث عن طريق . . وتركها إلى عمله . . وظلت هى فى البيت مستغرقة فى وضع خطة تعد كل خطوة ، وكل كلمة فيها كأنها تضع مسرحية جديدة . . وخرجت من البيت الى المسرح فى الساعة الواحدة بعد الظهر . . انه موعد اجتماع أفراد الفرقة لإجراء البروفات . .

تعود زينب من المسرح . . ونظم مواعيد عمله بحيث لا يخرج من البيت قبل العاشرة صباحا بعد أن تكون زوجته قد استيقظت . . وهى قد بذلت أكثر حتى تجمع بين الشخصيتين . . فهو لا يستطيع أن يندمج فى الوسط الفنى والمسرحى ويشارك الفنانين والفنانات فى سهراتهم وحكاياتهم فامتعت هى تلقائيا عن الاندماج فى هذا الوسط دون أن تفقد حب أفرادهم واحترامهم . . وهو لا يستطيع أن يتردد كثيرا على المسرح ليشاهدها كل ليلة وهى تمثل أو على الأقل ليصحبها الى البيت بعد انتهاء المسرحية . . وقد تعودت منه الا يأتى الى المسرح إلا ليلية واحدة فى كل مسرحية جديدة تمثلها . . وقد كانت تحس فى ليلة وجوده بين المشاهدين أن تمثل أحسن وتبذل مجهودا أكبر ، كأنها تمثل له وحده وتتمنى أن تبهره بتمثيلها . . كما تعودت أن تعود الى البيت فى الليل وحدها بعد أن اتفقت مع سائق تاكسى خاص بأن ينتظرها كل ليلة . . فهى لاتملك سيارة لأنها لم تتعلم قيادة السيارات ولاتحب أن تتعلمها . . وكان زوجها الدكتور محبوب لا يتحدث كثيرا عن فنها أو عن قيمة ماتقدمه من فن ، ولكنه كان يحب أن يستمع اليها مهما أطالت فى الحديث عن نفسها وعن فنها . . وكانت تصدر عنه أحيانا آراء غريبة . . فهو لا يمتنى لها مثلا أن تعمل فى السينما وتمثل فى الأفلام . . فالسينما فى نظره ليست فنا ولكنها صناعة . . والاستديوهات مصانع وليست مسارح . . مصانع مقفولة حتى لا يرى الجمهور مايجرى فيها كالشفق الخاصة المخصصة للقاء الرجال والنساء والراقب عليهم . . انه يغار عليها من العمل فى ستديو سينمائى ولا يغار عليها من الظهور على المسرح . . وهى لأنها تعودت الاستسلام لآرائه تلقائيا رفضت العمل فى الأفلام السينمائية رغم العروض التى تعرض عليها بإلحاح . . وقد أحس أن زوجته أصبحت أشهر منه . . وربما أحس أن شهرتها وصلت الى حد أنه أصبح يعرف بها . . الدكتور محبوب زوج الفنانة زينب . . وربما كان يمكن أن يتضايق ويثور احتفاظا بشخصيته الكاملة بعيدا عن شخصية زوجته . . ولكن أبدا . . انه فخور بها . . ويتباهى بأن ينسب اليها أو تنسب اليه . .

- أنا موافق ..

وكانت زينب قد اختارت ترشيح مسرحية المجنونة وهي وثيقة وأنقذت وجدى سيرحب بها فوراً .. فهي مسرحية تدور حول شخصية بطل واحد ، وهو الذى يقوم بتمثيل هذه الشخصية ، ويستطيع أن ينفرد بجمهور المتفرجين طوال الفصول الثلاثة دون أن يستطيع أى ممثل آخر أن يشاركه فى إجتذاب هذا الجمهور .. وكانت هذه المسرحية قد بدأت وهى لاتزال تبحث عن مكان لها بين الممثلين بعد تخرجها من معهد التمثيل .. ولم يكن سهلاً أن تجد باباً مفتوحاً لها .. إلى أن علمت أنهم يبحثون عن ممثلة تقوم فى هذه المسرحية بدور امرأة عجوز تجاوزت السبعين من عمرها فتقدمت تسعى لأداء هذا الدور رغم أنها صغيرة وكانت لاتزال فى الثانية والعشرين من عمرها .. ودهش الأستاذ وجدى من هذه الشابه التى تريد ان تمثل دور العجوز .. وقالت له .. جربونى فى إحدى البروفات .. وقد عهد اليها وجدى بالدور فعلاً ربما اشفاقاً عليها .. فهى فنانة غليظة تبحث عن دور لها على المسرح .. ولكنها أثبتت قدرتها فى هذا الدور رغم أنه كان دوراً قصيراً لايتعدى الاداء مدة دقيقتين أو ثلاث فى كل فصل من فصول المسرحية .. ولكنه كان الدور الذى دفعها خلال سنوات إلى أدوار أخرى أكبر وأهم حتى أصبحت تنفرد بالبطولة فى مسرحية « الطريق الى جهنم » ..

وقد تعمدت زينب أن تختار هذه المسرحية التى تمثل فيها هذا الدور القصير كأنها مصممة على تحدى وجدى ، وعلى أن تثبت له أنه حتى لو كان هو بطل المسرحية ، وكان ينفرد بتمثيلها من أولها الى آخرها .. فإنه يكفيها أن تظهر وهى تمثل امام الجمهور ولو دقيقة واحدة لتأخذ منه الجمهور كله معترفاً بعبقريتها التى تتحدى بها عبقريته ..

وقد أوقفت فعلاً مسرحية « الطريق الى جهنم » وبدأ الإعلان عن مسرحية « المجنونة » وقضت زينب أيامها وهى تعد نفسها للدور الصغير .. دور المرأة العجوز .. وتضع فيه لهجات تليقها برنات جديدة .. وتبتكر فى اختيار الملابس والمكياج الذى ستظهر به على المسرح ..

ودخلت مباشرة إلى حجرة الأستاذ وجدى ووقفت أمامه وهى تبسم فى مرح وتبالغ فى حيويتها كأنها امام أستاذها الكبير وصديقتها الحميم .. إنها تمثل أصعب دور فى حياتها .. دور النفاق والخداع .. وقالت لى بساطة :

- إنى أرى أن يوقف عرض هذه المسرحية ..

وقال الأستاذ وجدى فى دهشة :

- لماذا .. لم يمض على عرضها سوى ثلاثة أشهر ..

وقالت فوراً :

- هذا يكفى .. حتى لو كانت ناجحة فيجب الانفرط فى استغلال هذا النجاح حتى يملها الناس ..

وقال وجدى وهو يبتسم كأنه بدأ يقتنع :

- ولكن أى مسرحية ترين أن نعرضها بعدها ..

وقالت كأنها تردد حواراً حفظته :

- مسرحية المجنونة .. لقد مضت سنوات لم تعرض فيها ..

وقال وجدى فى دهشة :

- ولكن ليس لك دور رئيسى فى مسرحية المجنونة .. فلماذا ترشحيتها ..

وقالت فى مرح مفتعل :

- لأنى أحبها .. إنها المسرحية التى بدأت بها الظهور معك على المسرح .. وقال وجدى وهو فى منتهى الفرحه والسعادة :

الفصل الثانى .. أسف .. وجمحت عيناها وبدأت ترتعش وهى تحس أنها
تهم بأن تهجم عليه وتقضى على عنقه وتخنقه .. ثم صاحت :

- لن أقوم بهذا الدور لو عدلت منه كلمة واحدة .. وأبحث لنفسك
عن ممثلة أخرى .. لن أظهر معك أبدا على مسرح واحد .. انك انانى ..
انك تغار منى .. انك تريد أن تقتلنى كممثلة قبل أن أقتلك ..

وجرت من أمامه ..

وعادت الى البيت ..

والقت بنفسها فوق الأريكة تبكى وهى تصرخ بالبكاء كأنها تشيع
عزيزا عليها ..

وكلها ترتعش ..

* * *

وقالت زينب لزوجها الدكتور محجوب وهى تضغط على شفيتها
بأسنانها فى منتهى التصميم :

- ليس هناك إلا طريق واحد حتى أخدم فنى وأخدم جمهورى وأخدم
نفسى .. سأكون أنا صاحبة فرقة مسرحية تحمل اسمى ..

وقال محجوب وهو ينظر إليها فى دهشة :

- كيف تكونين صاحبة فرقة .. إنه مشروع يحتاج إلى رأس مال
ضخم :

وقالت بمنتهى الثقة :

- أعرف من سيمول هذا المشروع ..

وبدا عرض المسرحية ..

وظهرت زينب تؤدى دورها الذى لم يستغرق فى الفصل الأول سوى
دقيقتين فإذا بالجمهور يصفق لها تصفيقا صاخبا حتى أن التصفيق غطى
على كلمات الحوار الذى دار بعد أن انتهت ..

وفى الفصل الثانى كان دورها يستغرق خمس دقائق والجمهور متعلق
بها وبكل كلمة تنطقها ، ثم انهال التصفيق أكثر عما كان خلال الفصل
الأول .. بل إن بعض المشاهدين كانوا يقفون على أقدامهم وهم يصيحون ..
برافو .. برافو ..

وربما أحس المتفرجون بنقص كبير فى الفصل الثالث لإن زينب ظهرت
فيه وقد ماتت العجوز وجمتها مدة على المسرح لاتتحرك ولاتتكلم ..

ولم يعلق لها وجدى بكلمة واحدة عن النجاح الذى حققته بدورها
الصغير .. ولكنه إبتعد عنها كأنه يهرب منها مغتاظا رغم انه كان يلاقى هو
الآخر عواصف من التصفيق ..

ولكنها فوجئت فى الليلة التالية بأحد موظفى الفرقة يظهر على المسرح
قبل بداية المسرحية ويقول للجمهور .. رجاء عدم التصفيق خلال عرض
الفصول حرصا على عدم إزعاج الممثلين أثناء القيام بأدوارهم ..

ورغم ذلك لم يستطع الجمهور أن يخفى إعجابه بها وهى تمثل دورها
فى الفصل الثانى فانطلق يصفق ..

وقبل أن تبدأ البروفات فى اليوم التالى فوجئت بالأستاذ وجدى
يستدعيها ويقول لها فورا ودون أن ينظر فى وجهها كأنه يهرب من
مواجهتها :

- إنى اضطرت إلى إجراء تعديل فى المسرحية .. وقد ألغى دورك فى

عن ممثلات شهيرات كن يعتمدن على رجال اغنياء في تمويل مشروعاتهن ،
فقيل عنهن إنهن كن يعطين اجسادهن لهؤلاء الرجال نظير التمويل . . ولكن
مايقال عن تشنيعات وإتهامات ليس لها مايبثتها . . وكل مايدور في خيالك
يعتمد على طبيعة المرأة . . وانت تعلم ان ليس من طبيعتي أن استسلم
لرجل مهما كنت في حاجة اليه . . حتى لو حاول . . قلنتركه يحاول ونحن
متأكدون أنه لن يصل إلى شيء . . لأننا الاقوى . .

وقال بصوته الخفيض :

- ان هناك نوعا من اصحاب الملايين . . نوع معين من التجار
او المقاولين أو من رجال الاعمال كما يسمون انفسهم . . نوع اصيح
منتشرا في مصر كما هو منتشر في دول البترول . . هذا النوع مصاب بعقدة
اذلال المستحيل لتحقيق متعة الزهو بنفسه . . فيجرب وراء النساء
المشهورات خصوصا الفنانات ، وينزف عليهن من ملايينه حتى يأخذهن الى
فراشه . . ثم يتفاخر في جلساته الخاصة مع اصدقائه بأن يروى
الحكاية . . وهذا الرجل الذي كنا نعرفه هو من هذا النوع من اصحاب
الملايين . . ولعلك تذكرين أنه روى لنا يوما حكاية عما كان بينه وبين الفنانة
المرحومة عطيات . . ولن أطبق ان يبدأ في رواية حكاية له مع زوجتي . .
حتى لو كانت حكاية كاذبة . . إنى لن أسمح لك بمجرد لقائه . . بل أصمم
على ان تقطعي اى تعامل معه حتى حديث التليفونات . .

وقالت في حدة كأنها تعلن الثورة :

- ولكنى مصممة . . وسأحدد له موعد لقاء . . إن كل خيائى هى
فنى . . وهى إنى ممثلة . . وإلالم تعد لى حياة . .

وقال وهو لايزال هادئا :

- إذن . . سأتركك وحدك . .

قال من خلال دهشته :

- من ؟ قالت في بساطة :

- عبد المنعم مرزوق . . إنه مستعد ان يستجيب لكل ما احتاج اليه
وأطلبه . .

وسكت الدكتور محجوب كأنه أصيب بصدمة . . ثم قال في صوت
خفيض كأنه يصدر قرارا نهائيا :

- إنى غير موافق على أن تكون بينك وبين هذا الشخص اى
معاملة . .

وقالت وهى تنظر اليه في تصميم إلى حد التحدى :

- لماذا . . لقد اتصلت به بالتليفون وبدانا نتحدث في المشروع . .

وقال في هدوء لايجول دون رعشة جفنيه :

- لقد سبق أن اتصلنا به نحن الاثنين . . ودعواناه الى البيت على
اعتبار أنه من أنصار الفن . . فنك . . وكان يأتي وهو يحمل لنا هدايا كثيرة
ويقضى الوقت وهو يتحدث عن مشروعات فنية يقوم بها لك . . ولكن بعد مدة
قررنا نحن الاثنان مقاطعته ، أو لعله هو الذى سحب نفسه من أمامنا ومن
صداقتنا . . لأنه يئس من الوصول إلى مايريد . . إنه لايريد الفن ، ولكنه
يريد من تعجبه من الفنانات . . وهو لايهمه أن يتفرج على ممثله وهى تمثل
على المسرح أو على الشاشة . . ولكن كل مايهمه ان يتفرج عليها وهى على
فراش بين احضانه . .

وصاحت مقاطعة :

- لاتقل كلام الشوارع . . إن تاريخ المسرح كله مزدحم بحكايات

قال في فرحة :

- هل عدلت عن تصميمك . .

قالت وهي تخفض جفניה حتى لا يرى عينها :

- كنت أعلم انى لا أستطيع الحياة بعيدا عنك . . كل حياتي كانت معك . . ولكنى كنت أحاول أن أحقق المشروع أولا ثم أعود اليك به بعد أن تتأكد انى لم أستسلم لما يمسنى ويمسك . . ولعل هذا الرجل الآخر كان يعلم ما فى نيتى . . وكان أشطر منى . . فاشتراط أن يصل هو إلى ما يريد قبل أن يحقق لى ما أريد . . لقد كنت على حق فى كل ما قلته عنه . . وقد عدت إليك دون أن أحقق أى مشروع . . وأنا أسفة . .

وأحتضنها بين ذراعيه وانهاه عليها بقبلاته إلى أن اعطته شفقتها كأنها تستريح وتنام بين شفتيه . .

وجلسا إلى أن هدات وقال لها كأنه يحيى فيها الأمل :

- إنك ستبقيين ممثلة . . وستكونين أعظم ممثلة فى العالم كله . . ولكنك لن تعودى وتمثلى مع فرقة يملكها ويسيطر عليها ممثل أو ممثلة اخرى . . إن الممثل عندما يكون فرقة فهو يكون لنفسه وحده . . ويصمم على أن يكون الأسم الوحيد فيها . . والبطال الوحيد فى كل مسرحياته . . هكذا كان المرحوم يوسف وهبى مع فرقته . . وهكذا كانت فاطمة رشدى عندما كونت فرقتها . . وهكذا كان يمكن أن تكونى أنت لو استطعت تكوين فرقة . . ولكن الفرق المسرحية التى يمكن أن تقسح لك مجال الفن حتى آخره هى الفرق التى يملكها مختصون ليسوا ممثلين ولا حتى مؤلفين . . انما يؤسسونها ويكونوا تجارا للفن ، والتاجر كل مايهمه هو تحقيق الربح . . وانت تحقيقين ربحا لكل من تعملين معه . . وفى مصر الآن كثير من الفرق التمثيلية يملكها ويسيطر عليها متعهدو الفن . . وقد حققت النجاح الصاحب لكثير من الممثلات والممثلين . . ولو كانت الفرقة التى تقدم

وقالت صارخة كأنها أعلنت الثورة :

- ماذا تعنى . . هل تطلقنى ؟

وقال وهو يقوم واقفا :

- لا لن اطلقك إلا إذا طلبت انت الطلاق . . ولكنى سأترك لك البيت . . فقد كنت أعيش فيه مع ممثلة يحترمها ويحبها الناس . . ولن أستطيع أن أعيش مع ممثلة تفقد احترام الناس . .

وقالت وهى تدق الأرض بقدمها :

- افعل ماشئت . . إنى مصممة . .

وبدا الدكتور محبوب يجمع بعض ملابسه فى حقيبة صغيرة ، ثم خرج إلى بيت أمه . . وهى واقفة امامه مصلوبة ينتفض كل ما فيها من الغيظ دون أن تنطق بكلمة . . ولم تسقط بعد أن خرج وتبكى كعادتها كلما واجهت مشكلة . . ولكنها ظلت واقفة مصلوبة كأنها تقاوم شيئا فى داخلها . . إلى أن استطاعت أن ترسم ابتسامة بين شفتيها . . ثم تحركت ناحية التليفون ورفعت السماعة وأدارت رقم المليونير عبد المنعم مرزوق . .

* * *

وكان قد مضى شهر دون أن يلتقيا . . بل دون أن يسأل احدهما عن الآخر ولو بالتليفون . . إلى أن فوجيء بها يوما تاتى اليه فى بيت أمه . . وهى تبدو ضعيفة منهارة . . واستقبلها قائلا فى دهشة المفاجأة :

- هل تريدان الطلاق . .

وقالت فى صوت كأنه صوت بكاء :

- لا . . جئت لأعود بك الى البيت . . بيتنا . .

الطريق الأقرب ..

كان حسام زهران أو حسام بيه كما يعرفه الناس من أعجب شخصيات المجتمع الراقي .. مجتمع أولاد الذوات ورجال الأعمال .. وكان أعجب ما فيه أنه لم يتزوج حتى اليوم رغم أنه جاوز الخامسة والأربعين من عمره .. ولم يكن ينقصه شيء حتى يتزوج .. بل إنه يعتبر حلما بالنسبة لكل النساء والبنات .. وكلهن يندفعن وراءه .. وكل منهن تضع له خطة لعلها تجره الى الزواج بها .. فهو وسيم يبلغ الحد الأقصى من الوسامة .. وهو رشيق طويل القامة الرفيعة .. ليس أطول ولا أرفع مما تتطلبه الرشاقة .. منتهى الرشاقة .. وهو أنيق يختار البديل والقمصان والكرفقات والأحذية كأنه جمع حوله كل مصممى أناقة الرجال ليعرضوا عليه أرقى وأجمل ما وصلوا إليه .. ولم يكن وسيما ورشيقا وأنيقا فحسب ولكنه كان في منتهى الثراء .. ورث عن والده مصانع الألومنيوم بجانب مزارع للفاكهة وعمارات وفيات .. ولكنه لم يكتف بالأرث بل تفرع سنوات طويلة للعلم حتى حصل من أمريكا على دكتوراه في علم إدارة الأعمال .. وإن كان لم يعود الناس على أن ينادونه بلقب دكتور .. إنه يكره أن يعرف بهذا اللقب ربما لأنه يفضل أن يبدو بين الناس بسيطا عاديا دون أن يتباهى بوسامته أو بثرائه أو بـ « شهادة الدكتوراه التي يحملها » ..

وهو لم يتزوج حتى اليوم ..

أخوه الأصغر تزوج .. وأخته الأكبر تزوجت .. وهو لم يتزوج ..

وقد احاطته ولحقت به كثير من القصص تحاول أن تبرر عدم

زواجه ..

مسرحية « ربا وسكينة » يملكها ممثل يقوم بدور في المسرحية .. لما استمرت ربا وسكينة .. وكانت شادية وسهير البابل قد هربتا من هذا الممثل الذي يستطيع ان يفرض نفسه عليهما كصاحب فرقة .. فحاولى ان تقدمى نفسك فى احدى هذه الفرق ..

وقالت وهى تحتضنه وتقبله بابتسامتها ..

- لماذا لم تقل لى كل هذا الكلام قيل ان اعرض نفسى للفشل ..

وقال فى لهجة الطبيب الأستاذ فى علم الطب :

- اردتك ان تجربى الطريق الآخر حتى تقتنعى بهذا الطريق ..

قالت وهى تهتم بالوقوف على قدميها :

- دعنا نعود الى بيتنا ..

وقال وهو يشدها بجانبه :

- انك متعبة .. واخشى ان أتركك وحدك عندما اذهب الى عملى ..

فلنبق مع امى اياما الى ان تستردى كل ما فقدتبه ..

وقالت من خلال ابتسامتها السعيدة :

- حاضر ..



وارتباطه بأمه كل هذا الارتباط هو ما جعل كل أيامه منظمة تنظيماً دقيقاً . . . كأنها دقائق ساعة . . . فكل من يعرفه يعرف متى سيراه ومتى سيبتعد . . . ومتى سيكون متفرغاً للعمل ومتى يكون في راحة . . . ومتى يكون جاداً ومتى سيضحك . . . حتى سهراته ومغامراته الهادئة منظمة على مواعيد ثابتة . . . كأنه يحمل في جيبه نتيجة مفهومة لاتحدد له الأيام وتاريخ كل يوم من الشهر ومن السنة ، ولكنها تحدد له تحركاته في كل ساعة من ساعات اليوم . . . كان روتينياً ولكن هذا الروتين كان يشمل الساعات التي يعطى لنفسه فيها ساعات من الحرية تحقق له سعادته الشخصية وتعطيه كل احتياجاته . . .

وحسام بيه يسألونه دائماً :

- لماذا لا تتزوج ؟

والعادة يرد ضاحكاً بنكتة يطلقها على نفسه . . . ولكنه عندما يرد جاداً يقول :

- ان الزواج ليس مجرد نظام للجمع بين رجل وامرأة مفروض على كل الرجال والنساء . . . إنه إحتياج . . . وأنا لست في إحتياج إلى الزواج . . .

* * *

ولكن إصرار حسام بيه على عدم الزواج لم يكن وحده أعجب ما فيه . . .

الأعجب هو هوايته الغريبة في اختيار اعداد الاطعمة التي يأكلها . . . وهي هواية يبدو بها أحياناً كأنه وضع حيلته كلها في الطبق الذي يأكل منه . . . وتجده وهو يأكل يمصص شفثيه ويطلق كلمات الغزل فيما يتذوقه . . . الله الله . . . ياسلام ياسلام . . . ايه الجمال ده كله . . . ايه المتعة دي كلها . . . ذوقوا ياناس واحمدوا الله وهو يمتعنا بخيراته . . . ورغم انه

قليل عنه أنه ضحية قصة حب وحيدة . . . فقد أحب فتاة أمريكية عندما كان يدرس هناك . . . وقد خانته مع رجل آخر فكفربكل بنات العالم . . . وأصر على الا تدخل حياته أى أنثى . . . وتوضع لهذه القصة نهايات أخرى . . . فيقال أن الفتاة الأمريكية كانت ابنة عائلة كندية . . . وأنها رفضت ان تتزوج من مصرى غريب رغم أنها أحبته حرصاً على عدم المساس بمركز أبيها الاجتماعي وهو مرشح لانتخابات الرئاسة . . . وقيل أن حسام بيه هو الذى رفض أن يتزوجها لانه كبير عائلته في مصر ولا يريد أن يشوه تقاليد العائلة . . . رغم انه لم يحب بعدها ولا يزال يسافر كل عام الى امريكا ليلتقط نظرة اليها ولو كانت من بعيد . . .

وقيل أكثر من ذلك . . . قيل عنه أنه عنين اصابه الله بعدم القدرة على التعامل مع الجنس الآخر . . . إنه محروم جنسياً . . . وإن كان المقربون اليه يعلمون انه ليس محروماً . . . وأن له مغامرات هادئة ولقاءات خفية مع نساء في البيت الذى يملكه بين مزارع الفاكية . . . وان كان لم يصل الى لقاء الى قصة حب . . . ولا الى مجرد فكرة زواج . . .

وقيل عنه انه يحب امه الى درجة العبادة . . . ودفعه الحب الى أن يكون لها وحدها ولا يجمع بينها وبين زوجة تنجراً وتحاول أن تضع نفسها في بيته أو في قلبه في مستوى امه . . . وهو يعيش مع أمه وحدها بعد أن مات أبوه وتزوج أخوه وأخته وأصبح لكل منهما بيت . . . وهو يعيش معها كأنه ليس مجرد ابن بل كأنها كل حياته . . . حتى أنه يربط يومه بيومها . . . وساعته بساعتها . . . فلا يخرج إلا في الموعد الذى تعرفه أمه ويعود في الساعة التى تنتظرها فيها أمه . . . ولا يتأخر عنها لحظة خوفاً عليها من القلق . . . وقد يلح عليه أصدقاؤه بالبقاء في جلستهم فيقول ببساطة -

- لم أستأذن أمى . . .

وقد يضطره عمله إلى التأخر عن موعد عودته إلى أمه فلا يستسلم لعمله إلا بعد أن يحدثها في التليفون ليبلغها أو على الاصح ليستأذنها . . .

الساعة الثامنة . . واصداقؤه يقبلون على دعواته مرحبين فرحين فان ما يقدمه لهم من الأصناف التى يدمنها يعتبر فعلا اشهى ما يمكن أن يتذوقوه . .

وليس معنى ذلك أن حسام بيه كان يدخل المطبخ بنفسه ليعد صنف الطعام الذى يدمنه . . لامجال امامه لدخول المطبخ وعمله لايتهج له الساعات الطويلة التى يحتاج إليها إعداد الطعام . . ولكنه كان يدرس فن اعداد هذا الصنف من الطعام دراسة كاملة . . بكل تفاصيله وكل أنواعه . . ويلقن الطباخ مآدرس . . وهو طباخ قديم فى خدمة العائلة وتعود على مزاج ومذاق حسام حتى أصبح يستطيع دائما أن يرضيه ويحقق مايريد . . وفى نفس الوقت كان حسام يلقن أمه ما درسه ويعتمد عليها فى الاشراف على الطباخ . . وأمه لم تعد تعيش الا لاسعاد حسام وارضائه . . وهى تعلم أن قمة ارضائه هى أن توفر له هذا الصنف من الطعام الذى يدمنه . .

وكان أشهر ماعرف من أصناف الطعام التى يدمنها حسام هو ادمانه لاكل طبق طيور السمان . . السمان المشوى مع الأرز الدمياطى . . والسمان المقلى . . وما يحيط بأكله السمان من مقدمات ومشهيات . . وموسم السمان ووصوله إلى سماء مصر ثم الى مائدة حسام يبدأ فى شهر سبتمبر ولايستمر الا ثلاثة شهور . . أى يهجر السمان سماء مصر فى أوائل ديسمبر . . ولكن حسام كان قد تعود أن يجمع من طيور السمان ويخزنها فى تلاجيات خاصة بحيث يتمتع بادمانه ستة شهور على الأقل من العام . . وعندما يجد حسام بيه أنه أصبح محروما من السمان ولم يعد لديه منه شيئا تنتابه نوبة من الحسرة ويضع فى حسرته كأن حبيته قد هجرته . . ثم لايلبث أن يعرق فى ادمانه الثانى . ادمان أكله الجمبرى بكل اصنافه . . الجمبرى الصغير داخل طبق الأرز بالكارى . . والجمبرى الكبير المشوى . . أو مخلوط « بانيه » . . أو جمبرى مسلوق على البخار لا على النار بالبصل . . ويعيش متمتعا بادمانه لكل اصناف الجمبرى . . وإن كان

يبدو كأنه ينسى نفسه وهو يأكل . . يبدو كمدمن متفرغا بادمانه كحشاش ينسى نفسه وهو يشد أنفاس الحشيش . . إلا أنه لايبدر شرها وهو يأكل . . ولايبالغ فى الكميات التى يلقي بها فى فمه بدليل احتفاظه برشاقة قوامه . . أو لعله يتميز كما يتميز كثيرون بالقدرة على هضم ما يأكله دون أن يترك منه دهونا تتعلق بخلايا الجسد وتسبب السمنة والانتفاخ . . أن كثيرين من اصحاب القامة الرشيفة يأكلون اضعاف اضعاف ما يأكله المنتفخون بالسمنة ورغم ذلك لايتأثر قوامهم . . وكانهم لم يأكلوا شيئا . . ويقال عنهم أن اجسادهم تسرق الطعام وتخفيه فى عروقهم فلا يبدو عليهم أنهم أكلوا شيئا . . ولكن المعروف عن حسام بيه أنه يحرك أسنانه ببطء شديد وهو يعضغ ما يأكله . . كأنه يريد أن يحتفظ بمتعة مذاق الطعام داخل فمه أطول مدة ممكنة قبل أن يصل به الى معدته . . مرددا كلمات الغزل فيما يتذوقه . .

وقد عرفت أصناف المأكولات التى يدمنها حسام بيه . . وهى أكثر من صنف . . ولكن كل صنف له موسمه الذى يتفرغ له فيه ولايخونه أبدا مع أى صنف آخر . . انه مخلص لكل صنف اخلاص الحب . . وقد وضع لنفسه نظاما لتناول الطعام حتى يحمى نفسه من أن يضطر الى خيانة الصنف الذى يدمنه . . فهو يتناول افطارا سريعا خفيفا لايحوى أكثر من كوب شاي وقطعة من البسكويت مزودة بالجبن الأبيض . . وفى الساعة الثانية عشرة ظهرا وهو فى عمله يتناول كوبا آخر من الشاي مع قطعة أخرى من البسكويت والجبن الأبيض . . اما المائدة الذاخرة بالطعام الذى يدمنه فيجلس إليها فى الساعه السابعة مساء بعد أن يكون قد انتهى من عمله . . ويجلس إليها طويلا كأنه فى لقاء حب . . لذلك فهو يعتذر دائما عن كل الدعوات الى تناول العشاء . . وقد يقبل دعوة حتى يجتمع بالاصدقاء ولكنه لايبأكل شيئا مما يقدم اليه . . فهو يكون قد انتهى من تناول أكلته . . أو قد يحمل معه الى الدعوة صنف الطعام الذى يدمنه ويشرك معه فيه الداعين والاصدقاء . . وإذا أقام هو دعوة للعشاء فدعوته تحمل توقيعنا عجيبا لموعد العشاء . . الساعة السابعة مساء . . وقد يتساهل أحيانا فيجعل العشاء فى

هدى تعتبر دائما الصديقة الأولى لأمه وهما مرتبطتان احدهما بالأخرى كأنهما أختان . . حتى أن حسام منذ صغرة كان يعتبر أم هدى كأنها خالته ويتادبها « طنط . . كما كانت هدى تنادي أمه طنط » وتعتبرها أيضا كأنها خالتها . . وكانت هدى معروفة منذ صغرها بأنها ست بيت ممتازة وأنها تهوى الطبخ . . وهو ما كان يغفر لها حتى اقبالها على التعليم ونفورها من المدارس ورسوبها المتتالي في الامتحانات الدراسية . . وقد تزوجت هدى وهى فى العشرين من عمرها وهاجرت مع زوجها الى أمريكا حيث استقرا هناك . . ولكن ظل معروفًا عن هدى احتفاظها بطابع البيت المصرى والمطبخ المصرى حتى فى أمريكا . . وكانت كل خطاباتهما الى أمها تتعلق بشئون البيت والمطبخ . . وأما ترسل اليها دائما كل ما يجد من هذه الشؤون . . وكانت هدى تأتي لزيارة أمها كل عامين لتقضى معها شهرا . . وأما تذهب اليها أيضا لتقضى معها شهرا . . أى أن الرباط العائلى مستمر بما فيه الارتباط بعائلة حسام . . الى أن مرحوالى خمسة عشر عاما وتوفى زوج هدى فى حادث . . وعادت الى مصر دون أن تقرر الاستمرار فيها فقد كانت قد اكتسبت الجنسية الأمريكية واقامت حياة كاملة هناك . .

ودعاها حسام الى تناول وجبته معه . . وهى تعرف كل شئ عن حسام . . تعلم انه يتناول وجبته الرئيسية فى الساعة السابعة مساء . . وليس هذا غريبا . . ففى أمريكا أيضا يتناولون الوجبة الرئيسية فى مثل هذه الساعة بعد الانتهاء من العمل . . وتعلم أيضا ادمانه لانواع معينة من الطعام . . وقد وجدت نفسها تعتمد اجادة طهو هذه الانواع . . السمان والجمبرى والكوارع . . وأن بينها وبين حسام دائما ومنذ كان فى صباهما نوع من التقارب العاطفى المريح . . كأنهما أخوة . . أو كأنهما فى منتهى الصداقة . . وكان كل منهما يحس بمنتهى الراحة مع الآخر . . وتمتد جلساتهما بين ضحكات ومشادات وحكايات على طول ما يستطيع كل منهما مع الآخر . . وربما خطر على بال كل منهما أن يطور هذا التقارب الى حياة كاملة . . ولكن الحياة سارت بهما قبل أن يجعماها أى تطور . . هدى

احيانا يجمع بين الجمبرى وسمك لانخوست فكلهما ينتميان الى فصيلة واحدة من أهل البحر . .

ولكن كان يظهر عليه احيانا ادمان اخر يعتبر غريبا بالنسبة للطبقة الراقية . . فقد كان يدمن أيضا أكل الكوارع . . واستكمل كل الدراسات عن خصائص الكوارع التى يمكن ان يلقيها للطباخ حتى تصل اليه وهى فى منتهى روعتها ومتعة استطاعها . . الكوارع البتلو . . وهى أخف انواع الكوارع من ناحية الطعم وأقدها على اعداد اطباق الحساء الممتعة . . والكوارع الكندوز . . انها أصلح انواع الكوارع التى تقدم مع اطباق الفتة بالارز والخبز . . والكوارع الضانى التى تخلى من عظامها وتقدم على قمة اطباق ورق العنب المحشو بالارز وجبات اللحم المفروم . . كأنها تاج يفتح الشهية لأرقى درجات متعة المذاق . . وهو يعلم طبعا ان إعداد الكوارع يتطلب أن يبقى على النار ثلاث ساعات على الأقل حتى تلين وتتجاوب مع أسنان الأكلة . . ثم أن على الطباخ أن يعتمد ازالة البقع السوداء من فوق لحم الكوارع حتى تصبح بيضاء صافية فى لون الورد الأبيض الذى يبارك الحب . . حب الكوارع . .

وهكذا كان حسام بيه زهران . .

* * *

وجاءت أيام بدأ فيها من يعرفون حسام بيه يلاحظون تغييرا كبيرا فى روتين حياته . . ان الساعات المحددة بالنسبة لعمله . . وبالنسبة للقاء أصدقاء ومعارفه . . بدأت تختل . . بل عرف انه ليس دائما فى بيته فى الساعة السابعة مساء ليتناول وجبته الرئيسية ويلتقى بادمانه سواء لقاء السمان أو الجمبرى أو الكوارع . .

الى أن بدأ الناس يتحدثون عنه وعن السيدة هدى المرجوشى . .

وهدى كانت دائما فى حياة حسام . . فالعائلتان متقاربتان . . وأم

واستسلم حسام وهو يضحك كأنه مقبل على مشادة جديدة بينه وبين هدى . . .

وعندما ذهب اليها في اليوم التالي في الساعة السابعة وجلس على مائدتها وبدأ تقديم الطعام فوجيء بأنها تبدأ بتقديم ثمرة خرشوف كاملة مسلوقة . . . إنه طبعاً يعرف الخرشوف ولكن لم يخطر على باله أبداً أن يأكله . . . وقال في عجب :

- ما هذا . . .

قالت وهي تشد ورقة من ثمرة الخرشوف وتشد طرفها بأسنانها :

- خرشوف . . .

وكأنه أراد أن يبدأ بمسايرتها فمد أصابعه وشد ورقة خرشوف هو الآخر وشد فيها بأسنانه . . . ثم أخذ برهة طويلة وهو يستطعم مذاقها . . . ثم شد ورقة أخرى . . . وأخرى . . . إلى أن أتى على كل الأوراق وأكل أيضاً قلب الخرشوفة الذي يحمل الأوراق . . . وهو لا يزال يستطعم المذاق كأنه يقوم بتحليل كيميائي داخل فمه . . . وهدى تتبعه بعينها دون أن تعلق بشيء وأن كانت الابتسامة لاتفارق شفتيها . . .

ثم جاء إلى المائدة الطبق الثاني . . . وهو أيضاً خرشوف محشو باللحم المفروم « المعصج » ومعه حبات من الصنوبر ومحاط بالصلصة البيضاء والجزر . . . وأخذ حسام مدة أطول في تذوق هذا الطبق ودراسته . . .

وجاء الطبق الثالث . . . إنه أيضاً « دقية » من الخرشوف المسلوقة بالزيت وسط حبات من الفول الحراتي و« الشبت » وقطع الليمون . . . وهو طبق يقدم بارداً . . . كأنه طبق الحلو الذي يقدم بعد العشاء . . . واستغرق حسام مدة طويلة في تذوق هذا الطبق . . . ثم قال بعد أن انتهى منه

تزوجت من آخر رغم ما كانت تحلم به . . . وقبل أن تخطر فكرة الزواج على بال حسام . . . وهى لاتخطر على باله حتى اليوم . . .

ورغم أن موسم السمان كان قد انتهى إلا أن حسام قدم لها وجبة كاملة من الذي يختزنه . . . وهو يتغزل في كل قطعة يقطعها . . . ويروى حكايات طويلة عن السمان كأنه يروى حكاية حبه . . . وهدى تتحداه وتروى هي الأخرى حكايات عن أكلة السمان لتثبت له أنها تعرف عن حبيته أكثر منه . . .

وبعد أن طالت السهرة قالت له :

- غدا سأقدم أنا وجبة العشاء . . . عندنا في البيت . . .

قال ضاحكا :

- ماذا تعدين لي ؟

قالت في إصرار :

- لن أقول لك . . .

قال كأنه يتباهى بحبه :

- طبعاً ليس عندكم سمان . . . لذلك سأحمل لك طبق سمان من عندي . . .

وصرخت :

- لا . . . أنت حر فيما تحبه وأنا حرة فيما احبه ولن تستطيع أن تفرض على حبي . . . ولو جئت معك باى مما يؤكل فلن أضعه أمامك على المائدة حتى لو أصررت على الأتاكل . . .

- لا . . ولكن الحكمة الشعبية تقول « ان الطبخ بالنفس » . . أى ان طهو الطعام يتم بانفاس الطاهى . . ويختلف مذاق الصنف الواحد مما يطهى باختلاف انفاس الطهاة . . ان مجرد اختلاف حركات اصابع الطاهى يختلف معها مذاق الطعام . . ومايمكن ان يعده لك طاهيك من الخرشوف لايمكن ان يكون فى مذاق مااعده لك . .

وصاح كانه يدافع عن نفسه :

- ان طبأخى الاسطى محمود هو عبقرى الطهاة فى مصر كلها . . وقد أوقعنى فى حب السمان والجمبرى والكوارع فلماذا لايجمى حبى الجديد للخرشوف . .

وقال فى هدوء المشفق :

- إن الاسطى محمود كان أول من أعد وقدم لك . . وأنت تحب سمان الاسطى محمود وجمبرى الاسطى محمود وكوارع الاسطى محمود . . ولكنك احببت خرشوف هدى . .

ورغم ذلك أصدر حسام أوامره الى الاسطى محمود بأن يعد له أطباق الخرشوف بعد أن ضغط على هدى حتى كشفت له عن كل اسرار الاعداد . . وهو نفسه قام بدراسات خاصة حول الخرشوف . . ووجد الاسطى محمود نفسه على علم تام بالخرشوف . . انه طعام منتشر معروف واعداده سهل . .

ولكنه عندما أكل خرشوف الاسطى محمود وجد فرقا كبيرا فى مذاقه عن خرشوف هدى . . رغم أن طبق الخرشوف نفسه لاينقصه شيء فى اعداده يستطيع ان يلوم عليه الاسطى محمود . . ربما كانت الحكمة الشعبية صحيحة . . « ان طهو الطعام يستمد مذاقه من انفاس الطاهى » . .

- ساتناول عشائى غدا معك ايضا . .

وقالت هدى فى فرح :

- ماذا تريد ان أعد لك . .

وقال قورا :

- خرشوف طبعاً . . انى مازلت مترددا فى الحكم على مذاقة وفى تأثير

هذا المذاق على . .

وقضى السهرة معها . . وهو تمر به فترات يصمت فيها ويسرح بخياله كأنه يستعيد ذكرى مذاق الخرشوف حتى يتخذ قرارا بالنسبة له . .

وتناول الخرشوف فى اليوم التالى :

ووجد نفسه يعترف بأنه وقع فى إدمان جديد . . إدمان الخرشوف . .

وقال لهدى :

- أريد ان أعرف كل التفاصيل عن اعداد الخرشوف وطهوه حتى القننا لطبأخى ويقدمه لى كل يوم فقد وقعت فى هواه . .

وقالت هدى ضاحكة :

- لن يستطيع ان يعد لك المذاق الذى أعده أنا لك . .

وقال محتجا :

- لماذا . . هل تلجئين الى السحر وأنت فى المطبخ ؟

وقالت كأنها تشفق عليه :

ولايدري أحد ما اذا كانت هدى قد اغرت حسام بطبق الخرشوف حتى يتزوجها . . أم ان كل ما حدث كان صدفة . . على كل حال فان هدى مقتنعة دائما بالحكمة الشعبية التي تقول « إن أقرب طريق إلى إقناع عقل الرجل وقلبه هو الطريق الى معدته . . الطريق إلى بطنه » . .



وأصبح يقضى أيامه بين السمان أو الجمبرى أو الكوارع ثم يلج عليه ادمانه بحاجته الى الخرشوف فيهرع الى هدى ويتناول عندها أطباق الخرشوف . .

ومرت اسابيع الى أن أصبحت هدى مضطرة الى العودة الى أمريكا . .

وبدا حسام يحاول أن يشبع ادمانه بخرشوف الأسطى محمود . . ولكنه مستحيل . . وحاول ان يتخلص نهائيا من ادمان الخرشوف . . ولكن مستحيل أيضا . .

وبدأت الفكرة تخطر على باله لأول مرة . . لماذا لايتزوج هدى . . وحاول اقناع نفسه بأنه لايتزوجها من أجل الخرشوف . . إنها عاشت معه في كل حياته . . وهى المرأة الوحيدة الذى يجمعه بها كل هذا التقارب . . ثم انها الوحيدة التى تتمنى امة وتفرح بأن تعيش معها . .

وسافر الى أمريكا . . وعرض على هدى الزواج . . وفرحت هدى فرحة صارخة . . أنها امنية عمرها منذ كانت صبية . . وستصفى كل مالها فى أمريكا وتعود الى مصر وتعيش مع حسام . . وقال وهو يحتضنها كأنه يعرف لها :

- لقد كنت متزوجا من ثلاثة . . السمان والجمبرى والكوارع . . وسأتزوج الرابعة . . سأتزوج الخرشوف . .

وقالت ضاحكة :

- وسأحتفظ لك بزوجاتك الأربع . . وان كانت الزوجة الرابعة ستكون دائما الأحب . .

ولكنه كان يهب عليه إحساس بمسئوليته عن البيت والعائلة في لحظات طارئة عندما تشكو إليه زوجته . . وكان يفاجأ بأى شكوى كان ليس من حقها أن تشكوه . . فهى المسئولة وهو مجرد متفرج . . ولكن زوجته كانت تفيض بشكواها وتستمر في ترديدها كأنها تصرخ وتبكي وتستغيث به حتى يخرج من طبيعته كمتفرج ويحس بمسئوليته . . ولكنه احساس لا يخرج عن تهدئة زوجته بتدليلها والتحايل عليها حتى تهدأ . .

وكانت زوجته لاتعلن شكواها أبدا إلا من الشغالات اللاتي يخدمن في البيت . . وعلى الأخص المتخصصة في خدمة الأبناء . . إنها تكاد تجن . . فلم يحدث أن استقرت شغالة في البيت . . من تعجبها وتريحها تهرب من البيت لتعمل خارج مصر أو في بيت آخر يدفع لها أكثر . . ومن لاتعجبها ولاتريحها تطردها . . ولم يستقر في البيت الا شغال نوبى . . عثمان . . وقد مضى عليه في خدمتهم أكثر من عشر سنوات حتى أصبح كأنه فرد من أفراد العائلة . . وربما كان سر بقائه أنه يعتبر في تصرفاته وتحركاته كأنه شخصية شاذة . . وربما كان من شذوذه أنه لم يتزوج رغم أنه وصل الى الأربعين من عمره . . ولايفكر في الزواج . . ويعيش كأن كل حياته في هذا البيت الذى يخدم فيه . . والزوجة لاتعانى من شذوذ عثمان فهى صاحبة مهوية في التعامل مع الشاذين . . انه هو نفسه . . زوجها . . يعتبر شاذاً بين الأزواج . . ولكن خدمة البيت لايمكن أن تكفى بعثمان وحده . . انه بيت كبير وقد أصبح الأبناء ثلاثة . . والبيت في حاجة قصوى الى شغالة أو شغالتين تخدمان بجانب عثمان . . وطوال هذه السنوات لم تستقر في البيت أى شغالة . .

إلى ان عاد يوما إلى البيت وفتح الباب بمفتاحه الخاص وإذا به يفاجأ امامه فتاة غريبة . . ووقف يبطلق في وجهها متعجبا . . لايمكن أن تكون هذه الفتاة من مصر . . فعينها ضبقتان مشدودتان . . وانفها افسس . . وشفتاها تغطبان فما وأسعا جداً . . وقامتها قصيرة . . ولون بشرتها اسمر مشوب بالاصفرار . . وهى واقفة امامة صامتة لايتحرك فيها شئ ولاحتى

وكأنما

إنه منذ تزوج وأصبح له بيت وهو يعتبر نفسه غير مسئول عن إدارة شئون هذا البيت . . إنه متفرغ كل التفرغ لشئون عمله . . وما يدره عليه عمله من كسب مالى يضعه كله في يد زوجته بعد أن يحتفظ لنفسه بما يقدر انه يكفى تكاليف حياته خارج البيت . . فزوجته هى المسئولة عن إدارة شئون البيت بما فيها شئون الأولاد . . ورغم أن دخله الذى يدره عمله قد ارتفع كثيرا . . وأصبح يعتبر من الأغنياء . . إلا انه لم يكن يهتم بمعرفة كم أصبح يكسب . . وكم يندخر في البنك . . فكل ذلك من اختصاص زوجته . . وهى حرة في تصرفاتها . . وليس معنى ذلك انها تخفى عنه شيئا . . إنها تحدثه دائما في جلساتها التى تعودوا عليها قبل تناول طعام العشاء عن كل تصرفاتها خلال اليوم . . وعن كل قرش صرفته أو ادخرته أو دفعته لمصلحة الضرائب . . فهى المسئولة أيضا عن محاسبة مصلحة الضرائب . . ولكنه لايهتم بمراجعة ماتحدثه عنه أو مجرد فهمه . . فهو مطمئن اليها كل الاطمئنان . . ويعتبر هذا الاطمئنان هو الذى يوفر له تفرغه لعمله ونجاحه فيه . .

لقد كان يعيش في البيت كمتفرج . . وزوجته قادرة دائما على أن تسعده بما يتفرج عليه . . حتى أصناف الطعام لم يكن يختار منها شيئا أو يوصى بشئ . . انه يحس بأنه يتفرج على كل ما يقدم اليه ثم يسعد بتذوقه . . وقد كانت زوجته كأنها تعيش في بطنه وتعرف أسرارها فلا تقدم اليه الا ما يثير شهيته ويحقق متعته بما يأكل . .

الى هذا الحد كان سعيدا باستسلامه لزوجته . . انها ست بيت ممتازة وزوجة ممتازة وأم ممتازة . .

البيوت لايشين أى فتاة فلبينية . . وهن أرقى من بنات تايلاند اللاتى أصبح بعضهن يعملن أيضا فى مصر . . انهن أرقى وأنظف . . فرق كبير بين بنات الفلبين وبنات تايلاند . . ولذلك فأجورهن وتكاليفهن أعلى . .

وهو يستمع الى كلام زوجته الكثير وهو ساهم . . ويسخر بيته وبين نفسه من أحوال الدنيا . . ان خدم البيوت من أبناء وبنات مصر يهاجرون للعمل فى الخارج . . وكان الحل الوحيد هو ان تستورد البيوت المصرية خدما اجانب من الخارج حتى تغطى النقص الذى تعانيه . . ولعلنا لو كنا ندفع أجر الخدم المصريين بالدولارات ، كما ندفع للخدم الاجانب لما هاجروا ولما استوردنا . .

وقد أصبحت متعته وهو فى البيت ان يجلس متفرجا على هذه الخادمة الفلبينية . . واسمها فيوليتا . . ويحس بها كأنها قطعة انتيكا اثرية اشتراها من الخارج ليزينوا بها البيت . . وهى فعلا خادمة رائعة تؤدى كل مسئولياتها اداء كاملا لاحتياج فيه الى أى ملاحظة . . وكانت تقوم الى العمل فى الساعة السادسة صباحا وتظل تعمل حتى التاسعة مساء . وفى الساعات التى تخلو فيها من العمل تجلس وتكتب خطابات لأهلها . . خطابات طويلة وكثيرة . . وقد أطل بعينيه على بعض هذه الخطابات وهى تكتبها . . فوجدها تكتب باللغة الانجليزية . . وبخط واضح مهذب يؤكد انها فعلا مثقفة . . ولكنها دائما صامتة . . لا تبدأ أبدا بحديث . . وتتلقى ما يوجه اليها من حديث وتجيب بهزات رأسها . . وهو لم يتعود ان يتحدث الى أحد من الشغاليين فى البيت . . واذا أراد شيئا فهو يطلبه أولا من زوجته . . حتى لو كان يريد مجرد كوب من الماء يشربه . . وزوجته هى التى تأمر الخدم بمطالبه . . ولكنه كانت تمر عليه لحظات يضطر فيها الى توجيه كلامه الى الخادم أو الخادمة . . وكان لا يستطيع ان يوجه كلامه الى فيوليتا الا باللغة الانجليزية . . وقال لزوجته ضاحكا :

- إنى أحس كائى أصبحت اقيم فى فندق . . فانى لم اتعود ان

ابتسامه كأنها قطعة من الحجر . . وهرب من امامها دون ان ينطق بكلمة وجرى الى زوجته يسألها فى لهفة :

- من هذه ؟

وقالت زوجته فى فرحة كأنها تزغرد :

- إنها الخادمة الجديدة . . إنها من الفلبين . .

ثم انطلقت الزوجة ترى فى تباه كيف استطاعت ان تحصل على خادمة من الفلبين . . فإن ابن عم صديقتها كوثر يعمل هناك وقد أصبح من بين أعماله تصدير الفتيات الفلبينيات الى مصر ليعملن خادما لدى العائلات المقتدرة . . وقد استطاعت ان تتفق معه على تصدير هذه الخادمة . . ومرتبها مائة وخمسون دولارا فى الشهر . . تضعها لها فى البنك . . بجانب ثمن تذكرة الطائرة التى حملتها الى القاهرة . . وتعهدا بأن تدفع لها ثمن تذكرة العودة الى بلادها سواء فى اجازتها او إذا قررت ان تهجر العمل فى مصر . . وبعد ذلك فكل نفقات حياتها الخاصة على حساب العائلة . .

ولم يحاول ان يناقش زوجته فى التفاصيل . . كيف استطاعت ان تتصل بقریب صديقتها الذى يقيم فى الفلبين . . وكيف تستطيع ان تدبر تكاليف هذه الخادمة من ميزانية العائلة . . وكيف تحصل على الدولارات التى تدفعها لها . . انه من عادته ألا يهتم بالتفاصيل المتعلقة بشئون البيت . . ولكنه سأل زوجته :

- كيف تتحدثين اليها . . بأى لغة ؟

وقالت فى فرحة :

- بالانجليزية . . إنها فتاة مثقفة متعلمة . . بل قالت لى أنها متخرجة من الجامعة فى بلادها . . واعتقد انها من عائلة محترمة . . فالعمل فى خدمة

الفتيات الفلبينيات اللاتي جئن للعمل في مصر عن طريق ابن عم صديقتها
كثير . . . واتفقت معها على ان تذهب معهن الى الصلاة في الكنيسة كل يوم
أحد ثم تدعوهم لتناول الغداء وقضاء اليوم داخل البيت . . . كأنها سمحت
لها باقامة حفل كل اسبوع تدعو اليه صديقاتها . . . وان كانت الزوجة قد
بدأت بعد ذلك ينتابها الهلع فقد سمعت ان فتاة تايلاندية تعمل لدى إحدى
العائلات المصرية وقفت امام ربة العائلة وقالت لها ببساطة إنها تريد ان
تتعرف الى صديق شاب . . . فهي لاتستطيع ان تعيش شبابها وهي
محرومة . . . ومن يدري . . . ربما طلبت فيوليتا أيضا ان يكون لها صديق
شاب . . . أو ربما فوجئت بها وهي تدخل البيت في يوم الأحد ومعها هذا
الشاب . . . وتحاول الزوجة أن تطفىء هذا الهلع . . . لا . . . ان فيوليتا فتاة
مهذبة محترمة . . . ثم انها من الفلبين وليست من تاييلاند كالفتاة التي
سمعت عنها . . . وقد سألتها يوما وهي تفعل التضحك معها :

- الاتفكرين في الزواج يا فيوليتا ؟

وأجابت فيوليتا في هدوء :

- إن ما ادخره من مرتبي حتى اليوم لا يكفي للزواج . . . وعندما يكفى
سأ تزوج في بلدي . . .

انها فتاة مهذبة جادة . . .

وربما كانت جديتها وتقانيها في خدمة البيت والعائلة مما دفع عثمان
الى ان يلين في معاملتها . . . والى اقتراب التفاهم بينهما . . . واصبحا
يشتركان في اعمال البيت بروح صافية وتالف كامل . . . كان عثمان قد نسى
كل ما تأخذه من العائلة أكثر . . . بل انه بدأ ينطق بعض الكلمات الانجليزية
أخذها من فيوليتا . . . وهي أيضا بدأت تتكلم بعض الكلمات العربية أخذتها
من عثمان . . .

* * *

أحداث الخدم باللغة الانجليزية في بيتي ، ولكنى احادثهم بها في فنادق
أوروبا . . .

والمهم . . . ماذا حدث لعثمان عندما وجد بجانبه هذه الفتاة الفلبينية
تشاركه في خدمة العائلة . . . وقد استقبلها ساخطا . . . يرفض التعامل
معها . . . وقدرت الزوجة ان عثمان ربما علم بقيمة المرتب الذى تدفعه
لفيوليتا . . . وهو أكثر من ضعف مرتبه . . . والاسرار داخل البيوت لاتبقى
اسرار مدة طويلة . . . لذلك اسرعت الزوجة ودون ان يطلب منها عثمان شيئا
ورفعت مرتبه عشرة جنيهات . . . ولكنه لا يزال اقل من مرتب فيوليتا . . . ولكنه
ليس الفارق في المرتب فحسب . . . فربما ضاق عثمان بان فيوليتا لاتعيش
كانها شغالة وفي مستوى مجتمع الشغالات الذى تعود عليه . . . فهي تبدو
دائما وهي تقوم بعملها في ثياب أنيقة مودرن جاءت بها معها من بلادها . . .
إنها تبدو من بنات العائلة لا خادمة من خادمتها رغم اختلافها في
الشكل . . . ثم ان العائلة خصصت لها فراشا كاملا مريحا ودولابا تحتفظ
فيه بتيابها ولوازمها في غرفة الأبناء . . . كأنها هي أيضا من الأبناء . . . في
حين ان عثمان ليس له الاغرفة مهمة فوق السطوح . . .

واكثر من ذلك . . . فقد كانت الزوجة حريصة على ان تظل فيوليتا
سجينة داخل البيت . . . فلا تصحبها معها عندما تخرج . . . ولاتتركها تخرج
مع الأولاد في ايام الاجازات . . . ولا ان تذهب لتعود بهم من المدرسة . . . فقد
كانت الزوجة تخشى ان تحرض عائلة اخرى فيوليتا لتأخذها لخدمتها . . .
بعد ان انتشرت بين العائلات عمليات « لطفش » الخادومات الاجنبيات كما
« تلطفش » الخادومات المصريات . . . ولذلك حرصت على ان تبقىها سجينة
داخل البيت . . . ولكن الاتفاق مع فيوليتا كان يفرض ان تمنح اجازة يوما من
كل اسبوع . . . وقد اختارت ان يكون يوم الأحد . . . وحجتها انها تعودت ان
تذهب الى الكنيسة وتصل في هذا اليوم . . . ووضعت الزوجة تخطيطا جديدا
يوفر لفيوليتا حقها وفي الوقت نفسه يضمن عدم « لطفشها » منها وسحبها
الى خدمة عائلة اخرى . . . فسمحت لها بالاتصال باثنتين او ثلاثة من

منها ولدین . . . ولكنه بعد عشر سنوات ترك زوجته وأولاده لأنه قرر أن يعود إلى مصر . . .

ستزوج فيوليتا في مصر . . .

ولكن تزوجها من ؟

واقبلت على زوجها وهي لا تكف عن أن تروى له كل تفاصيل المشكلة يوماً بيوم . . . رغم أنها تعلم أنه لن يبذل أى جهد معها سوى تدليلها للتخفيف عن عذابها . . . وسألته . . . الا يعرف أى رجل يمكن أن يتزوج فيوليتا . . . انه ليس زواجا بالمعنى المفهوم . . . انه مجرد اجراء رسمى كاستخراج ترخيص لها بالاقامة والعمل . . . وبدلا من أن تدفع الرسوم للموظف المختص تتزوجه . . . وقد يقبل هذا الزواج اى رجل غلبان فانها مستعدة ان تدفع له ثمنا لقبول هذا الزواج . . . حتى لو اضطرت ان تدفع له مرتبا شهريا باعتباره زوجا مهملا ليس له حقوق الزوج . . . وقال زوجها ضاحكا :

- الاسهل ان اتزوجها انا . . . ونحل المشكلة . . .

وصرخت في وجهه :

- قطع لسانك . . .

ثم لعت عيناها ببريق ذكائها . . . انها تعرف من يتزوج فيوليتا . . . انه عثمان . . . ولن يثير اى شكوك . . . فكلاهما يعملان ويقيمان في بيت واحد . . . وسواء تزوجا أو لم يتزوجا فلن يعلم احد . . . انها بهذا الزواج تحمي نفسها من اتهامها بالتحايل على الحكومة . . .

ونادت فيوليتا ودخلت معها في حديث طويل . . . انها طبعاً لاتقبل عثمان كزوج . . . انها مثقفة ولها طموحها وعثمان يعتبر جاهلا ولايحقق شيئا

ومر عام وست البيت فخورة بالقمة التي وصل بيتها اليها . . . قمة الاستقرار والنظام والراحة . . . لم يعد اى شيء يتعبها في ادارة البيت . . . ولاشك ان فيوليتا كانت صاحبة الفضل في كل ما وصل البيت اليه . . . ولكنها فوجئت ذات صباح بخبر منشور في كل الصحف . . . وصرخت كأنها نكبت في عزيز لديها . . . لقد قررت الحكومة منع استخدام بنات جنوب شرق آسيا كعاملات أو خادمات في البيوت أو الاقامة في مصر . . . اى بنات الفلبين وتايلاند وماعولهما . . . وسيقبض البوليس على كل من يجده من هؤلاء البنات ويرحلهن الى بلادهن . . .

وقد ابلفت الخبر الى فيوليتا وقررت ان تسجنها داخل البيت حتى لايراها البوليس في الشارع . . . بل تكاد تحبسها داخل دولا ب حتى لايراها احد من المترددين على البيت . . . ولكنها تعلم ان كل هذا لا يكفي . . . وتكاد تجن . . . ما هذا الظلم . . . كيف تسمح الحكومة للبنات المصريات بالهجرة للعمل في الخارج ولا تسمح للبنات الاجنبيات بأن يكن بديلات عنهن ويعلمن في الداخل . . . وهي منذ البداية تعمدت ان تستكمل كل الاجراءات الرسمية ليكون لفيوليتا حق الاقامة والعمل في مصر . . . ولكن ماذا تفعل الآن . . . وحيرتها ترمقها وتكاد تكذب على الناس وتقول لهم انها طردت خادمتها الفلبينية . . . كأنها تخدع البوليس والمخابرات . . . وتخدع الدولة . . .

ومرت أيام طويلة قبل أن تقول لها صديقتها كوثر التي تستخدم هي الأخرى فتاة فلبينية . . .

- الحل الوحيد الذى وصلت اليه بعد ان استشرت وتحيرت هو أن أزوج خادمتى بأى رجل مصرى . . . انها بذلك يكون لها حق الاقامة والعمل في مصر طول عمرها . . . لماذا لم يخطر على بالها هذا الحل . . . انها تعرف ان كل الشبان والبنات الذين يهاجرون الى الخارج يكون اول ما يسعون اليه هو الزواج من اهل البلد حتى يكون لهم حق الاقامة فيه . . . ومحمود ابن الشيخ راجى هاجر الى امريكا وتزوج فتاة امريكية ليكتسب حق الاقامة . . . وانجب

- انت ياعثمان .. وانت تعرفها و ..

وقاطعها في حدة :

- عيب ياست هانم .. إني لم اتزوج حتى اليوم ، ولا أفكر في الزواج .. وحتى اذا نويت الزواج ، فلن اتزوج بنت غريبة تتكلم الأفرنجية .. ومسيحية .. ستكون فضيحة تشمت في كل أهل البلد .. اثنا ياست هانم لا تتزوج الا من بنات بلدنا ..

ورفعت صوتها على صوته وصاحت :

- انه ليس زوجا ياعثمان .. انه مجرد ورقة تترك فيوليتا تعيش معنا .. وسيبقى كل منكما في حاله .. وهذه الورقة ستبقى سرا وسأحتفظ بها معي .. حتى زوجي وأولادي لن يعرفوا عنها شيئا ..

وقال عثمان وقد اختلج صوته كأنه غاضب أو قرفان :

- ليس هناك ما يبقى سرا ياست هانم .. خصوصا عن عم جمعه البواب .. وسيعرف كل مافي العمارة بان فيوليتا أصبحت منسوبة الى .. والله اعلم ماذا سيقولون .. وعن اذنك ياست هانم انى ساترك الشغل عندكم .. حتى تجدى شخصا آخر يتزوج هذه البنت ..

وادر ظهره خارجا .. فقامت منظورة وجرت وراءه وامسكت به وهى تصيح :

- لا ياعثمان لا تترك البيت .. ولن ازوجك فيوليتا .. لن تتزوج ابدا ..

واحضى عثمان رأسه وهو يتنهد كأنه يضمم جراحه وقال :

- حاضر ياست هانم .. انت الخير والبركة ..

من هذا الطموح .. ولكن ما سيتم ليس زوجا ولا يربطها بشيء .. ستبقى كما هي .. تنام وحدها في غرفتها .. ولا تلتقي بعثمان الا وهما يعملان في البيت .. وتستطيع في أى وقت ان تترك البيت ومصر كلها وتعود الى بلادها .. وورقة الزواج التى تكتب في مصر لاساوى شيئا في الفلبين ..

واستغرقت فيوليتا في التفكير كأنها تراجع جداول الحساب .. ثم هزت رأسها موافقة .. انها موافقة على الزواج من عثمان .. فقط لتبقى في مصر .. وتتححرر من اختبائها داخل البيت وتستطيع ان تخرج الى الشارع دون ان تخاف القبض عليها ..

بقى ان تقنع عثمان بهذا الزواج ..

ولكن كيف تقنعه ؟

انه انسان شاذ في كل تصرفاته وتحركاته وحتى فيما يقوله .. وقد يدفعه شذوذه الى قبول هذا الزواج ببساطة .. ولكن .. من يدري .. إن الشواذ لا يدري أحد ما يقدمون عليه وما يقبلونه أو يرفضونه ..

وانفردت بنفسها ساعات تعد كل كلمة ستقولها لعثمان .. ثم نادته .. ووقف امامها مستسلما .. وبدأت بأن ذكرته بقرار الحكومة بابعاد كلعاملات في البيوت الأجنبية ومن بينهم فيوليتا .. وهو يعلم انها خادمة شاطرة ومهذبة ولم يحدث منها ما يشينها .. وقد أصبح البيت في اشد الحاجة اليها .. والوسيلة الوحيدة لتبقى فيوليتا معهم هى أن يتزوجها ..

وقال عثمان كأنه لا يصدق اذنيه :

- من يتزوجها ؟

وقالت وهى تبتمس له ابتسامة واسعة :

لاحبا في مصر ولا في عثمان ولكن حرصها على أجرها الكبير الذي تتقاضاه بالدولارات . .

وسارعت ست البيت بعقد زواج عثمان وفيوليتا . . وقد راعت ان يعقد في السر ودون ضجة . . فاستدعت الماذون الى البيت في ساعة الظهر وأوقفت امامه العروسين وطلبت من زوجها ان يوقع كشاهد . . رغم أنها كانت قد وعدت ان يبقى الزواج سرا حتى عن زوجها ارضاء لعثمان . . بل انها اكتشفت ان هذا العقد يجب ان يسجل في مكاتب الشهر العقارى حتى يصبح عقدا كاملا وتُعترف به الحكومة . . فان العروس اجنبية . . فاستطاعت ان تعد كل شيء ليذهب عثمان ويسجل عقد زواجه . . وقد دفعت هي كل تكاليف هذا الزواج . . وان كانت لم تفكر طبعاً في دفع المهر او شراء شبكة . . وان كانت قد رفعت مرتب عثمان عشرة جنيهات اخرى شكرا ومكافأة له على زواجه من فيوليتا . .

وتصورت ست البيت انه لم يتغير شيء في حياة البيت بعد هذا الزواج . . ولم يزد شيء إلا اطمئنانها الى بقاء فيوليتا معها . . ولن تستطيع الحكومة ان تطردها من خدمتها . . والحياة تسير في روتينها العادى . . تنام فيوليتا في مكانها المعد لها في غرفة الأولاد . . وينام عثمان في حجرته فوق السطوح . . ساعات العمل لا تختل . . ولكنها لاحظت ان فيوليتا بعد ان ينزل عثمان من السطوح تسرع وتعد له كوب الشاي . . ويجلس مرتاحا وهو يشربه . . ثم لاحظت أنها بعد ان تنتهي من أعمال البيت تصعد الى السطوح دون استئذان بينما يبقى عثمان داخل الشقة ولا يصعد معها . . ربما تصعد وحدها لتقوم بتنظيف وتسوية الغرفة التى ينام فيها زوجها . . إنها زوجة كاملة . . ثم فوجئت في صباح يوم الاحد وفيوليتا متكاسلة عن الذهاب الى الكنيسة كعادتها . . وسألته في دهشة . .

- الا تذهبين الى الكنيسة ؟

وقالت بلامبالاة

وعادت والحيرة تسيطر عليها وهي تبحث عن الوسيلة التى تحفظ لها وجود فيوليتا . .

* * *

ومضت ايام وست البيت مستسلمة لليأس . . وليحدث ما يحدث . . سواء بقيت فيوليتا اولم تبق فانها تستطيع ان تعيش والبيت سليم . . ولكنها بدأت تلاحظ انفراد فيوليتا بالجلوس مع عثمان ساعات طويلة في الفترات التى لايعملان فيها . . والحديث بينهما معظمه بالاشارات وتنطلق خلاله الكلمات الانجليزيه التى تعلمها عثمان والكلمات العربية التى تعلمتها فيوليتا . .

ومضى حوالى اسبوعين عندما فوجئت بعثمان يقف امامها ويبدأها قائلاً في صوت خفيض يتعثر بين انفاسه وجفنيه مرتختين فوق عينيه كأنه لا يستطيع ان ينظر اليها :

- لك حق يا ست هانم . . إننا في حاجة الى فيوليتا لخدمة البيت . . وأنا لم أعد أستطيع ان اعمل وحدى . . حتى لو اضطررت الى ان اتزوجها . .

وشهقت ست البيت من دهشة المفاجأة وقالت في فرحة كأنها تزغرد :

- هل تتزوجها يا عثمان . .

وقال عثمان كأنه حجول :

- الأمر امرك يا ست هانم . .

وسالت نفسها خلال فرحتها . . كيف قبل عثمان زواج فيوليتا . . لايد أنها اقنعتة بان يتزوجها . . ولكن كيف اقنعتة . . انها في منتهى الذكاء ومنتهى الشطارة ولاشك انها كانت تريد الاطمئنان الى بقائها في مصر . .

- لا يصح ياسيدتى أن تخرج وحدها . . وإذا اضرت سيادتك
فسأخرج معها .

- إن عثمان يتغير لم يعد هذا الشخص الشاذ في بساطة ساخرا من
كل شيء . . مستسلما حتى لفره .

وقد اضطرت ست البيت يومها أن تكلف عثمان بالذهاب الى السوق
وحده بدلا من زوجته فيوليتا حتى لاتثير أزمة معه في مواجهة اصراره . .

وربما كان على حق في هذا الاصرار . . فان خير زواجه من فيوليتا لم
يعد سرا وعرف بين كل من في العمارة . . بل وعرف خارج العمارة حتى أن
احدى صديقاتها فاجأتها في احدى الزيارات قائلة :

- سمعنا ان خادمك الفلبينية تزوجت من السفرجى الذى يعمل
عندك .

واقطعت ضحكة واجابتها قائلة :

- إنها حكاية حب . .

وكانت تكذب . . فعثمان وفيوليتا لم يتزوجا عن حب . . انهما تزوجا
بتخطيط وضعته لتهرب من قرار الحكومة بطرد فيوليتا . . وهذا الزواج لم
يعد سرا وتستطيع أن تنكره فعلى الأقل تحاول أن تنفى عن نفسها انها
خططته تحايلا على قرار رسمى . .

الى ان فوجئت يوما بعثمان يقف امامها بعد انتهاء عمله وقال بصوته
الذى شمله التغيير أيضا وأصبح صوتا جادا مركزا ليس فيه رنة الشذوذ :

- ياست هانم . . لى طلب أرجو الاترفضيه . .

وقالت مبتسمة

- انى اصلى بينى وبين نفسى فعثمان لايريدنى ان اذهب الى
الكنيسة . .

وقالت محتدة :

- هذا ليس من حقه . . إن الاسلام يبيع الحرية لكل دين . . حتى
لوتزوج مسلم من مسيحية . .

وقالت فيوليتا في هدوء :

- سواء كان من حقه اولم يكن . . فان هذا يريجه . .

بل إن فيوليتا لم تعد تذهب الى صديقاتها الفلبينيات يوم الأحد . .
انما أصبحت تقضى يوم الاجازة كله فوق السطوح وفي غرفة زوجها . . حتى
وهو بعيد عنها يعمل في الشقة لأن اليوم ليس يوم اجازته . . بل أصبحت
عندما تدعو صديقاتها كما تعودت لاتدعوهن الى داخل البيت بل تدعوهن
للجلوس معها فوق السطوح . .

ولم تحاول ست البيت أن تتدخل في هذه التغيرات التى تحدث . .
فكلها تغيرات لاتؤثر في أعمال البيت . . رغم أنها تدهش لآى تغير في حياة
فيوليتا وعثمان رغم أنهما لا يعيشان حياة زوجية كاملة . . ولايزال كل
متهما مستقلا بشخصيته عن الآخر وينام وحده في مكانه . . ولم تتدخل
الا عندما حاولت أن ترسل فيوليتا الى السوق لتشتري بعض
الاحتياجات . . فرفضت معتذرة . . لأن عثمان يرفض أن يسمح لها بأن
تخرج وحدها . . ويراها اصداقاه ومعارفه في الطريق . . من يدري ربما
تجرا عليها احدهم . . ولكنها اصرت على أن ترسلها الى السوق ، ونادت
عثمان وأبلغته باصرارها على أن تخرج فيوليتا . .

وقال عثمان في اصرار هو الآخر :

خطرت له فكرة أن يأخذ أجره بالدولار . . لاشك أن فيوليتا هي التي وضعت هذه الفكرة في رأسه وحرصته عليها . . إنها وحدها التي تعرف قيمة الدولار وتحتاج اليه في تعاملها مع الخارج . . وبنات فيوليتا وأخذت تناقشها كأنها تصب غضبها عليها وتهم أن تضربها . . وفيوليتا لاترد الا بكلمات عابرة لامتني لها . . إلى أن صاحت في وجهها :

- حذرى عثمان الذي أصبح زوجك من أن يعود الى حديث الدولارات . . والا حرمتك انت ايضا منها . . فأنت اليوم زوجة مصرية وكل حقل لايتعدى الجنيهات المصرية . .

وانتهت الازمة . . وحتى ترضيها . . ابلفت عثمان بانها قررت أن تعطى زوجها فيوليتا عشرة جنيهات كل شهر علاوة على مرتبتها بالدولار حتى تغطي احتياجاتها التي تجدها في مصر . . وقالت له ضاحكة :

- اتى لا اعطيها الا لاني اعتبر أن ما اعطيه هو لك . .

كم مضى ؟

شهران . . ثلاثة . . اربعة . . واستيقظت ست البيت من النوم ذات صباح فلم تجد في البيت لا فيوليتا ولا عثمان . . وجنت وهي تهربل بحثا عنهما . . الى أن وجدت خطابا متروكا في مكان ظاهر على المائدة ويحمل اسمها . . وهو خطاب باللغة الانجليزية كتبته لها فيوليتا . . وهي تعتذر في كلمات مهذبة عن ترك الخدمة هي وزوجها عثمان . . وقد سافرا للعمل في السعودية . . وهما وان كانا يقبضان مرتبهما هناك بالريال السعودي الا ان من السهل تحويله الى دولارات . .

وسقطت منهارة . .

ودامهما وهي منهارة تسأول كان غائبا عنها . . كيف استطاعت فيوليتا أن تخرج من مصر في حين انها تحتفظ بجواز سفرها معها . . كأنها

- اطلب يا عثمان . .

وقال دون أن يهتز أو يرتعش . .

- انى اعلم أن فيوليتا تقبض مرتبتها بالدولار . . وأنا ايضا أريد أن أخذ بالدولار . .

وانتقضت مذعورة ، وقالت وكأنها تصرخ :

- ان فيوليتا لاتأخذ دولارات ولكننا نضعها لها في البنك ويحول الى عائلتها . . وانت وعائلتك تعيشون في مصر فما حاجتك الى الدولارات . .

وقال عثمان وهو يتنحج في هدوء :

- لقد اصبحت اعرف كل شيء عن عائلة زوجتى . . لقد اصيحت عائلتى . . واعرف اين تذهب الدولارات التي توضع لها في البنك . . وأريد أن احصل أنا ايضا على دولارات حتى تكون في حالة واحدة . . و . .

وقاطعته صائحة :

- ان زوجى وسيدك وسيد البيت لايقبض بالدولارات حتى نوزعها عليكم . . وأنا اعانى مصاعب كثيرة لاحصل على الدولارات لفيوليتا . . ولن أستطيع أن احصل على المزيد لادفع لك أيضا بالدولار . . وإذا كنت تريد زيادة مرتبك بعد أن تزوجت . . فقد اعطيتك زيادة . . وقد اعطيك اكثر . . ودائما اعطيك بالجنيهات لا بالدولارات . .

وقال عثمان وهو يبتعد في هدوء :

- شكرا ياست هاتم . . ولامواخذة . .

وابتعد عنها دون أن يزيد إلحاحا وأصرارا . . وهي متعجبة . . كيف

خطرت له فكرة أن يأخذ أجره بالدولار . . لاشك أن فيوليتا هي التي وضعت هذه الفكرة في رأسه وحرصته عليها . . إنها وحدها التي تعرف قيمة الدولار وتحتاج إليه في تعاملها مع الخارج . . ونادت فيوليتا وأخذت تناقشها كأنها تصب غضبها عليها وتهم أن تضربها . . وفيوليتا لاترد الا بكلمات عابرة لامعنى لها . . إلى أن صاحت في وجهها :

- حذرى عثمان الذى أصبح زوجك من أن يعود الى حديث الدولارات . . والا حرمتك انت أيضا منها . . فأنت اليوم زوجة مصرية وكل حقل لايتعدى الجنيهات المصرية . .

وانتهت الازمة . . وحتى ترضيها . . ابلغت عثمان بانها قررت أن تعطى زوجها فيوليتا عشرة جنيهات كل شهر علاوة على مرتبتها بالدولار حتى تغطي احتياجاتها التي تجدها في مصر . . وقالت له ضاحكة :

- ابنى لا اعطيها الا لاني اعتبر ان ما اعطيه هو لك . .

كم مضى ؟

شهران . . ثلاثة . . اربعة . . واستيقظت ست البيت من النوم ذات صباح فلم تجد في البيت لا فيوليتا ولا عثمان . . وجنت وهي تهوول بحثا عنهما . . الى ان وجدت خطابا متروكا في مكان ظاهر على المائدة ويحمل اسمها . . وهو خطاب باللغة الانجليزية كتبته لها فيوليتا . . وهي تعتذر في كلمات مهذبة عن ترك الخدمة هي وزوجها عثمان . . وقد سافرا للعمل في السعودية . . وهما وان كانا يقبضان مرتبتهما هناك بالريال السعودى الا ان من السهل تحويله الى دولارات . .

وسقطت منهارة . .

وداهمها وهي منهارة تسأول كان غائبا عنها . . كيف استطاعت فيوليتا أن تخرج من مصر في حين انها تحتفظ بجواز سفرها معها . . كأنها

- اطلب ياعثمان . .

وقال دون أن يهتز أو يرتعش . .

- انى اعلم أن فيوليتا تقبض مرتبتها بالدولار . . وأنا أيضا أريد أن أخذ بالدولار . .

وانتقضت مذعورة ، وقالت وكأنها تصرخ :

- ان فيوليتا لاتأخذ دولارات ولكننا نضعها لها في البنك ويحول الى عائلتها . . وانت وعائلتك تعيشون في مصر فما حاجتك الى الدولارات . .

وقال عثمان وهو يتنحج في هدوء :

- لقد اصبحت اعرف كل شيء عن عائلة زوجتى . . لقد اصبحت عائلتى . . واعرف اين تذهب الدولارات التي توضع لها في البنك . . وأريد أن احصل أنا أيضا على دولارات حتى تكون في حالة واحدة . . و . .

وقاطعته صائحة :

- ان زوجى وسيدك وسيد البيت لايقبض بالدولارات حتى نوزعها عليكم . . وأنا اعانى مصاعب كثيرة لأحصل على الدولارات لفيوليتا . . وإن استطيع أن احصل على المزيد لادفع لك أيضا بالدولار . . وإذا كنت تريد زيادة مرتبتك بعد أن تزوجت . . فقد اعطيتك زيادة . . وقد اعطيتك اكثر . . ودائما اعطيتك بالجنيهات لا بالدولارات . .

وقال عثمان وهو يبتعد في هدوء :

- شكرا ياست هانم . . ولامؤاخذة . .

وابتعد عنها دون أن يزيد إلحاحا واصرارا . . وهي متعجبة . . كيف

أرى أمي معلقة في أذنيك ..

كانت فريدة قد ذهبت في الصباح إلى حي خان الخليلي كعادتها في كثير من الأيام . . فهي تحب التردد على دكاكين صياغة الحلى ودكاكين التحف القديمة التي تعتمد على الصناعة اليدوية وتحمل مهارة يد الصانع المصرى من هذه التحف من اعاجيب . . وحى ودكاكين خان الخليلي ليس مخصصا للسباح كما يتصور البعض . . إن أغلبية هذا الزحام من الزبائن كلهم من النساء المصريات . . وبينهن فلاحات وبنات بلد وبنات ذوات . . وكل منهن معها مايكفى للشراء . .

وكانت فريدة لا تشتري دائما كلما ذهبت الى خان الخليلي . . كانت في الغالب تكتفى بالتمتع بالفرجة على المعروضات . . وقد ذهبت في هذا اليوم دون أن تحدد شيئا تشتريه . . ولكنها رأت وهى في دكان أحد الصاغة قرطا ذهبيا أثار اعجابها . . إنه مرسوم على شكل عدة قلوب ذهبية صغيرة متشابكة في دائرة تنوسطها مجموعة من الفصوص الذهبية الصغيرة جدا كأنها ترمز عن تنهدات هذه القلوب بالحب . .

والتقطت فريدة هذا القرط وعلقته في أذنيها ووقفت تتفرج على نفسها أمام مرآة الدكان . . وأحسّت كأن هذا القرط يعلن حبها . . كأنه يقول لكل الناس أنها في حالة حب . . تحس وهى تعلقه في أذنيها كأنها تطلق حبها لزوجها علام . . ستشتريه . . قطعاً ستشتريه . . حتى يرى علام حبه معلقا في أذنيها . .

وقالت للبائع وهى فرحة أنها عثرت على حلم من أحلامها .

كانت تحتفظ بها كلها في يدها حتى لاتهرب منها . . وقامت تترنح في مشيتها بين قطع الاثاث . . وفتحت الدرج الذى تحتفظ فيه بجواز سفر فيوليتا . . انه ليس في الدرج . . لقد يسرقته . . وكان من السهل عليها ان تسرق كل شيء . . فقد كانت تثق فيها ومطمئنة اليها . . ولكنها في الواقع لم تسرق الا جواز السفر . . لاشيء اخر رغم كثرة مافى أدراجها . . ورغم ذلك فكان يجب الا تطمئن اليها . . لا تطمئن الى الطموح الذى يسيطر على كل من يعمل خارج بلده . . والذى قد يدفعه الى الكذب والى السرقة . . والى الهرب . . وقد حاولت أن ترضى طموح فيوليتا بالحب الذى كانت تسيغه عليها . . ولكن لعل فيوليتا لم تكن تؤمن أو تعرف الحب . . انها جردت عثمان أيضا من الحب بعد أن تزوجته . . حب البيت الذى تعمل فيه والعائلة التى تعمل معها . . ان طموحها فوق الحب . . طموح ينحصر في كم تكسب . . حتى انها كانت حريصة على الا تهرب من العمل هى وعثمان الا في اوائل ايام الشهر الجديد بعد ان اطمأنت الى انها هى وعثمان قد تسلما المرتب كاملا . .

ورقدت ست البيت على فراشها وهى تقاوم انهيارها . .

انها تستطيع ان تقاوم ضياع فيوليتا منها . .

ولكنها لاتستطيع ان تقاوم ضياع عثمان بعد هذا العمر الطويل الذى قضاه في بيتها ومعها ومع اولادها . . كأنه كان يدا تتحرك في كيان كل منهم . .

ولكنها ست بيت قوية . .

وتعتبر عثمان كأنه مات . .



- سأشترى الذهب .. ولكن ليس معى الآن سوى خمسين جنيها وسأعود اليك بالباقي غدا .. هل أستطيع أن آخذها اليوم وانت مطمئن الى الغد ..

وقال وهو يجمع لها الحلق في علبة من القطيفة الحمراء :

- طبعاً .. طبعاً ..

وهو فعلاً مطمئن .. فهو يعرفها كزبونة ..

* * *

وعادت فريدة الى البيت وجلست أمام المرأة في انتظار عودة زوجها علام من عمله .. وساوت شعرها بأن رفعتة حتى يكشف عن أذنيها وعلقت فيها قرط الحب .. وقضت فترة أمام المرأة وهي تبالحق في القرط على أذنيها .. لاشك أن زوجها سيطير من الفرحة عندما يرى قلوب الحب .. سيرى نفسه وكأنه معلق في أذنيها .. حتى لو حاول أن يحتفظ بطبيعتها الكتومة الجامدة في التعبير عن عواطفه .. فلن يستطيع عندما يرى الحلق الا ان يطلق فرحته .. قد يزغرد فرحاً وهو يحتضنها بين ذراعية بعد أن يثير الحلق فيه حبه وحبها .. أو على الأقل قد يبتسم وهو الضنين بابتسامته .. ويقبلها ولوقبله من هذه القبلات الشريفة التي عودها عليها ..

وعاد علام :

ووقفت أمامه وبين شفقتها ابتساماً فرحة صامتة في فرحتها :

ولكن علام لم يلمح القرط في أذنيها .. ولعله لم يلمح ابتسامتها أيضاً .. وهم ان ينسحب من أمامها ويدخل حجرته ليبدل ثيابه استعداداً للجلوس على مائدة الغداء .. فجرت وراءه وجذبت من ذراعه ليستدير اليها وهي واقفة أمامه .. وقالت محتفظة بابتسامتها وفرحتها

- منذ متى ولديك هذا القرط .. أنى لم أره لديك من قبل ؟
وقال البائع كأنه يروى لها تاريخاً لتحفة عريقة :

- انه في الأصل مصاغ فلاحى .. كان منتشراً في الأرياف منذ سنوات طويلة .. وقد جننا به الى القاهرة منذ أسابيع فقط لمجرد تجربته .. دون ان نكون متأكدين بأن أذواق نساء القاهرة ستفق مع أذواق نساء الريف .. ولكننا ماكدنا نعرضه حتى أقبلت عليه نساء القاهرة وانتشر انتشاراً واسعاً ..

وقالت فريدة من خلال فرحتها :

- سأشتريه .. كم ثمنه ؟

وقال البائع بلباقة التجار :

- اننا لسعة انتشاره بين مختلف الطبقات صنعناه من ثلاثة اصناف .. صنعناه من المعدن المذهب بثمان اثنين ونصف من الجنيهات .. وصنعناه من الفضة المطلية بالذهب بثمان أربعين جنيها .. ثم من الذهب الخالص بثمان مائة وخمسين جنيها .. لقد أصبح كأنه شارة شعبية ..

وقاطعته فريدة ضاحكة :

- انه شارة الحب ..

وقال البائع من خلال ابتسامته التجار :

- أى صنف منه تريدين ؟

وفكرت برهة .. أن هذا القرط سيكون شعار حبها لزوجها علام .. حبها الغالى .. ويجب أن يكون شعاراً غالباً من الذهب الخالص .. وقالت بانطلاق :

- اخلعيه . . واعيديه الى البائع أو اكتفى بالظهور به بين صديقاتك بعيدا عنى . . لا أريد أن اراه . . لا أريد أن اراه . .

ورفعت فريدة يدها وشدت القرط من فوق أذنيها وهى دهشة من ثورة زوجها الى هذا الحد . . خيل اليها أنه قد أصابه جنون . . وقالت فى صوت حزين بعد أن ضاعت فرحتها :

- انى لم ادفع ثمنه . . وساعيده غدا . .

وظلت صامئة وهى تساعده فى تغيير ملبسه . . ثم قالت وهى تحاول أن تكون هادئة :

- على الأقل قل لى ماذا لايعجبك فى هذا القرط . .

وانطلقت عيناه مبطلقتان وقال فى حده :

- لن أقول لك شيئا ولا أريد أن اسمع شيئا عن موضوع هذا القرط . .

ولم يستطع أن يأكل على مائدة الغداء . . كان ساهما يتحرك وهو جالس فوق مقعده كأنه يحاول أن يهرب من مطاردة . . وقام فجأة وجرى الى الفراش وادعى النوم كعادته بعد الغداء . . ولكنه لم يكن نائما . . وكان يقبل رأسه فوق الوسادة ، وكأنه يطرد ذكرى تكاد تهشمه :

إن هذا القرط سبق وقتل اثنان . .

* * *

لقد كان أيامها لايزال صبيا فى السابعة من عمره . . وكانت العائلة كلها تقيم فى القرية . . وكان لهم فيها دوارا وأسعا بجانب العشرة أفدنة التى يملكها والده ويزرعها . . وكانت أمه تضع هذا القرط على أذنيها

- ألا ترى فى شيئا جديدا . .

وقال فى دهشة :

- أين هذا الشيء الجديد ؟

وقالت فى لهجة كرم :

- على أذننى . .

ورفع علام عينيه الى أذنيها وما كاد يرى القرط حتى تجهم وتهدجت أنفاسه ، ثم قال وهو يبدو كأنه يقاوم نفسه وقد أصبح صوته محشرجا :

- انه قرط فلاحى :

قالت وهى تحاول أن تثير فيه فرحتها :

- أعلم . . ولكنه اليوم أصبح موضحة القاهرة . . ألا ترى ما يرمز اليه . .

وقال وقد بدأ صوته يحتد :

- انه يذكرنى بأمى وانت تعلمين انى لا أحتمل ذكر المرحومة أمى وإلا عدت الى البكاء عليها . . ارفعى هذا القرط من أذنيك . .

وقالت فى دهشة :

- ولكنى اشتريته لأنه يرمز الى الحب الذى يجمعنا . . وهو أيضا يعجبنى . .

وصاح وقد فقد اعصابه :

أباه ينحنى هو الآخر باحثاً عن القرط حول الفرن وفي كل أنحاء البيت . .
وفجأة تذكر الصبى صورة مسعدة وهى تنحنى فجأة فوق الحطب وتلتقط
شيئاً تخفيه في صدرها . . واستنتج بذكائه . . وهو يفيض بالذكاء منذ صباه
بدليل ما هو فيه الآن بعد أن ترك القرية وأتم تعليمه . . وأصبح من كبار
الموظفين . . استنتج أن مسعدة أخذت فردة القرط التى يبحث عنها أبوه
وأمه . . وصاح فيها :

- ان مسعدة أخذته :

والتف الاب والام حول الصبى وعصروه بأسئلتها كأنهما يحققان
معه حتى تغلب عليهما التاكيد بأن مسعدة هى التى أخذت القرط . .
سرقته . .

وخرجت الأم من الدوار كأنها تجرى الى جارتها أم حمدان . .
وانفردت بها وصارحتها بأن مسعدة زوجة ابنها برهوم قد سرقت فردة
القرط . . وبعد أن روت لها كل الحكاية وطالت المناقشة بينهما . . رجتها أم
حمدان متوسلة أن تتركها ساعة وتستعود اليها في الدار ومعها فردة
القرط . .

واستدعت أم حمدان مسعدة زوجة ابنها وصرخت في وجهها :

- لم يبق الا ان نصبح لصوصا ونعيش بين اهل القرية ونحن
لصوص . . هات فردة القرط . .

وحاولت مسعدة وهى ترتعش أن تنكر . . إنها لم تأخذ شيئاً . .
ولاتعرف شيئاً . . ولكن حمايتها انهالت عليها ضرباً حتى أخرجت سيخ
الفرن وهو مشتعل بالنار وهمت أن تغرزه في صدرها . . لولا أن اعترفت
مسعدة . .

إنها أخذت فردة القرط وعادت الى بيتها وأرته لزوجها برهوم فأخذه

دائماً . . ليلاً ونهاراً . . حتى وهى تعمل في الدوار أو في الحقل . . كان
القرط يميزها عن باقى نساء القرية . . وتتباهى به . . وكأنها تعلن به أن
زوجها رجل مقتدر يعلق الذهب في أذنيها . . أولعلها كانت تؤمن بأنه قرط
الحب . .

وكانت أمه تعمل أمام الفرن في الدوار تعد أرغفة العيش الفلاحى
المرحرح ومعها مسعدة زوجة برهوم ابن جارتهم أم برهوم . . والصبى علام
يلعب بجانبها . . وسقطت فردة من القرط من أذن أمه فوق الحطب المعد
للقائه في الفرن كلما هبطت ناره . . ولم ير علام فردة القرط وهى تسقط من
أذن أمه ولكنه رأى مسعدة وهى تنحنى في حركة مفاجئة فوق الحطب وتأخذ
بأصابعها شيئاً تخفيه بسرعة في صدرها تحت ثوبها . . ولم يهتم علام بما
راه مستمراً في اللعب . .

الى أن انتهى الخبز وعادت مسعدة الى بيتها . . وفجأة اكتشفت أمه
ضياح فردة القرط من فوق أذنها . . وأنحنت في لهفة مجنونة تبحث في كل
أنحاء غرفة الفرن . . وترفع حطب الفرن واحدة بواحدة . . وتتحسس بيدها
فوق تراب الارض وتحت التراب . . انها متأكدة أن القرط سقط من
أذنها . . ولكن أين سقط . . وأين اختفى . . وبلغ من جنتونها انها ادخلت
رأسها وزراعيتها داخل الفرن رغم انه كان لايزال محتفظاً بثاره بحثاً عن
القرط . .

وعلام لاه . . عن أمه يلعب بعيداً عنها . . الى أن يأست أمه من العثور
على فردة القرط . . وسقطت على الارض تبكى . . انها لاتبكي القرط وحده
ولكنها تبكى أيضاً خوفها من زوجها عندما يعود ولايرى فردة القرط في أذنها
ويعلم بالخبر . . لقد عاش معها كل السنوات والقرط في أذنيها كأنه قطعة
من لحمها . .

وعاد أبو علام . . وسمع الصبى أبوه يصيح صياحاً حاداً في وجه أمه
وراه كأنه يهيم بضرب أمه . . ولو أنه لم يضربها في حياته أبداً . . ثم رأى

زوجته على السرقة وهو الذى استولى على القرط المسروق . . واصبحوا
يبيصون في وجهه بالشتائم والالتهامات . . وحتى الأطفال اصبحوا يتجمعون
خلفه ويهتفون . . تسرق ليه يابرهوم . . وتفضح أمك يابرهوم . .

اذن يجب أن تقتل مسعدة التى كشفت السر وفضحته . .
وخرج بها في الفجر بحجة انها تريد زيارة امها في قريتهم القريبة . .
وكان قد اقنعها فعلا بان يأخذها لزيارة امها . . ولم يبتعد بها عن القرية بل
شدها الى جانب مستور من الحقل وذبحها . . ثم استطاع أن ينقل الجثة
ويعود بها الى البيت ويحفر حفرة في قنائه دفنها فيها . .

ان برهوم قاتل محترف وهو لم يقتل زوجته في البيت حتى لايتعرض
لصرخاتها التى قد توقظ امه . . وعاد ودفنها في فناء البيت حتى يتأكد من
انه لايمكن اكتشاف جثتها . . ولكن امه وحدها عرفت كل شيء . . لقد
استيقظت في الليل على صوت ضربات الفأس في يد برهوم وهو يحفر في
الفناء قبر زوجته . . واختفت سريعا قبل أن يراها ابنها حتى لايقتلها هي
الأخرى ويدفنها بجانب زوجته مسعدة . .

ومضت أيام مسعدة لاتعود الى القرية . . وقال برهوم انها غاضبة
وتقيم مع أهلها ولاتريد العودة . . وهو لن يعيدها لأنه لايريد أن يعيش مع
لصة سارقة . . وأمه توافق ابنها على مايقول كلما سألها أهل القرية . .
ولكنها اصبحت في حالة ذهول . . انها جالسة القرفصاء دائما فوق القبر
الذى حفره ابنها برهوم . . ولاتتكلم أبدا . .

ولاتنطق بحرف . . وتنام وهي جالسة القرفصاء ولاتتحرك أبدا . .
وبدا الناس يقولون عنها انها أصبحت مجنونة . .

وفوجيء أهل القرية بعد هذه الأيام بأم مسعدة تأتي إليهم لتزور
ابنتها . . وعندما التفت حولها الناس يسألونها . . ألم تكن ابنتك عندك . .
كانت تجيب بانها لم تزرها أبدا منذ شهر ولم تراها أبدا . . وبدا الناس

منها وأوصاها الا تفشى السر لأحد حتى ولا لأمه . . وهددها بأن يقتلها
لو كشفت السر . . وبرهوم معروف بين أهل القرية بالشراسة والبجاجة . .
وإسمه يرتفع مع كل جريمة تقع حول القرية . . ولعله أخذ قطعة الذهب
المسروقة ليبيعها في المركز . . ولكن السرقة حدثت اليوم ومنذ ساعات
ولايمكن أن يكون قد مر وقت كاف يستطيع برهوم أن يذهب فيه الى المركز
ويبيع . .

واستدعت أم حمدان ابنها برهوم وأجلسته امامها وحادثته في هدوء
وهي تحسب حساب شراسته واجرامه . . وقالت له أن زوجته مسعدة لم
تكشف السر . . ولكن كشفت أم علام وابنتها هو الذى شاهد مسعدة وهي
تخفى القرط في صدرها . . وعليهم أن يعيدوه الآن الى أصحابه . .
والا انقلبت القرية كلها . .

واستسلم برهوم وهو يزار كالأسد الذى فرت منه فريسته . .
وإعاد القرط المسروق . .

ولم ينس برهوم أن زوجته مسعدة قد كشفت سره رغم تحذيره لها
بأنه سيقتلها اذا كشفته . .

هي التى قالت لأمه انها اعطته القرط المسروق . . كانت تستطيع أن
تقصر السرقة على نفسها . . وتقول أن القرط ضاع منها . . وحتى
لو استسلمت فقد كان يمكنها ان تستسلم دون ذكر اسمه ودون أن تبلغ امه
انه أخذ منها القرط المسروق وهددها بالقتل اذا افشيت السر . . وربما كان
قد أعاد القرط وهو يدعى أنه وجده مع زوجته مسعدة وأخذه منها غضبا
عنها بعد أن ضربها ليؤدبها حتى يبريء نفسه امام أهل القرية . .

ولكن الآن أصبح السر مكشوفاً . . والناس تقول انه هو الذى حرض

دخل برهوم السجن . . وبعد أن قتل هو الآخر . . كان يبكي . . إن برهوم قتل زوجته ثم مات . . من أجل هذا القرط الذى تتحلل به امه . . حرام . . والله حرام . .

وأصبح يكره هذا القرط ولا يستطيع أن يراه . .

إن هذا القرط قتل اثنين . . قتل مسعدة وزوجها .

ولكنه في أذنى امه دائما . . لا تريد أن ترفعه ولا تستطيع الاستغناء عنه . . وهو لا يعرف كيف يتخلص منه . . وقد خطرت على باله مرة أن ينزعه من على أذنى امه وهى نائمة ويلقيه في الترعمة . . ولكنه لم يجرو . . وعود نفسه على الا ينظر الى أذنى امه ابدأ . . وبدأ يستريح من هذا القرط عندما كان يترك القرية ويعيش في بيت عمه في طنطا بعد أن كبر ودخل المدرسة الابتدائية ثم الثانوية . . ثم استراح أكثر عندما أصبح يعيش في القاهرة طالبا في الجامعة . . ولكنه كان لا يعود الى القرية الا ويرى القرط في أذنى امه . .

لقد ماتت امه والقرط في اذنيها . .

رحمها الله . .

* * *

وقد مضت سنوات طويلة وقد نسي هذا القرط الذى دفعه الى قتل اثنين . . كما نسي كل أحداث القرية بعد هجرها وابتعد عنها حتى أنه باع العشرة أفندة التى ورثها عن ابيه فيها . . ولم تعد له من القرية سوى ذكريات لا تخاطر على باله الا كلما فاجأته مناسبة تذكره بها . .

إلى ان جاءت زوجته وفي اذنيها هذا القرط . . نفس القرط الذى دفعه ليقتل اثنين . .

يتساءلون . . أين ذهبت مسعدة . . ثم بدأوا يتساءلون . . ماذا فعل بها زوجها برهوم وأين أخفاها . . وأم مسعدة تجلس بجانب أم برهوم ليل نهار وهى لاتكف عن ترديد أين ابنتى . . أين مسعدة . . وأم برهوم صامته لاتتلق . . ثم فجأة بعد أن إنقضى نهار وليل ثم إنقضى نهار آخر . . انتفضت فجأة من جلستها صارخة :

- هذه هى ابنتك . . مقيمة معنا في البيت . .

ثم التقت فاسا وأخذت تحفر في أرض الفناء حتى تكشف القبر وظهرت جثة مسعدة . . وألقت بنفسها فوق الجثة وماتت معها . .

وثار اهل القرية كلهم ووجدوا برهوم وانهاوا عليه ضربا . . الى ان تسلمه الخفير واحتفظ به الى أن جاء بوليس المركز . .

وقدم برهوم الى المحاكمة وأدخل السجن المؤبد مع الاشغال الشاقة . .

ولكن حتى برهوم لم ينج من الموت . . لقد كان يقطع صخور الجبل وهو في السجن فسقط على رأسه صخرًا ثقيلا قتله في الحال . .

* * *

وكان الصبى علام يتتبع كل هذه الأحداث التى تشهدها القرية وهو في ذهول . . انه يحس أنه كان السبب في كل ما حدث . . لولا انه ابلى امه واياها أن مسعدة هى التى سرقت فريدة القرط لما حدث شيء . . انه لم يحس كما يحس الأطفال بأنه كان بطلا اعاد لامه قرطها من يد اللصوص . . ولكنه كان يحس بأنه كان السبب في كل ماجرى لمسعدة . . لقد كان يحبها . . كانت أكثر امرأة في القرية تدلله وتتحمل شقاوته . . وعندما علم انها قتلت . . وجد نفسه ينزوى تحت الشجرة ويبكى . . لقد قتلت مسعدة من أجل فريدة قرط تتحلل به امه . . حرام . . والله حرام . . وحتى عندما

البحث عن الشخصية الأخرى ..

إنه مقال عمليات بناء .. يستطيع أن يبني أى شيء .. وليس هو الذى اختار أن يكون مقاولا .. ولقد ولد ووجد نفسه مقاولا مع أبيه .. ومنذ كان فى الثانية عشرة من عمره وأبوه يدرجه على أعمال المقاولات فعرف كل تفاصيلها وأسرارها .. عرف كيف يدخل فى المشروعات الحكومية ، وكيف يدفع لوكيل الوزارة أو لرئيس مجلس الإدارة ، ولهذا وذاك من الموظفين حتى يفوز على باقى المقاولين بالمشروع .. وعرف كيف يشتري أو يستورد المواد التى يحتاج إليها المشروع ، وكيف يدخل مادفعه من أثمانها وتكاليفها فى الميزانية بحيث يكسب من ورائها المبالغ الضخمة وكانها عملية قائمة بذاتها لا يقوم بها كمقاول ولكن كتاجر شاطر يشتري ويبيع .. وعرف كيف يتعامل مع الأنفار الذين يعهد إليهم بعمليات البناء بحيث يخصص لنفسه نسبة من الأجر والأتعاب التى يكسبونها بفضلها دون أن يتركهم يكتشفون انه كسب بفضلهم شيئا .. فمقال البناء الشاطر هو أيضا مقال أنفار .. ومهما استعان بصغار مقاولى الأنفار الذين يجمعون العمال فهو نفسه مقال الأنفار الرئيسى والكبير عليهم ، وله النصيب الأكبر من مكاسب العملية ..

ورغم أن أباه اعترف له منذ صغره بعبقريته كمقاول حتى أنه كان يتركه يقوم بعمليات خاصة به وهو لا يزال فى التاسعة عشرة من عمره .. ورغم ذلك فانه لم يكن يتفاخر أو يتباهى بأنه مقاول ناجح .. ربما لأنه لم يكن يريد أن يعيش كابيه الذى لا يزال يظهر بين الناس بالجبة والقفطان أو بالجلباب البلدى حتى لو كان من قماش السكروته الغالى .. ويقضى يومه بين العمال داخل العملية التى يقوم بها كمقاول .. ويتكلم كما يتكلمون وقد يجلس بينهم ليشاركهم أكل العيش والطعمية فى فترة الغداء .. انه رغم

ورأسه تتحرك فوق الوسادة بعنف كأنه يريد أن ينزعها من عنقه ليتخلص من ذكريات هذا القرط .. ولكنه يجب أن يقاوم .. لماذا يستسلم لذكريات خياله وهو طفل بعد أن أصبح رجلا كاملا ناجحا ..

إن هذا القرط لم يقتل مسعدة ولابرهوم .. ماهذا الخيال المجنون .. لقد قتلتها طبيعتهما الشريرة ..

وقفز من الفراش وصاح فى زوجته فريدة :

- اين هذا القرط الذى اشتريته ..

وفتحت فريدة الدولاب فى هدوء وقدمت له القرط ..

وعاد يصبح دون أن يلمسه أو ينظر فيه :

- ضعيه على اذنك ..

وعلقت فريدة القرط فى اذنيها وهى صامتة ..

وعاد علام يقول كأنه يحدث نفسه دون أن ينظر الى القرط فى اذنى فريدة :

- انه قرط أمى .. وسأرى أمى فيك .. الله يرحمها ..



ثرى يتمتع النادي بثرائه . . ولم يكونوا يعرفون أنه هو نفسه مقال ، فقد كان يخفى عنهم صفته كمقال ولا يحدثهم أبدا عن العمليات التي يقوم بها أو يشترك فيها . . ولكنهم كانوا يعرفون عنه أنه ابن مقال ثرى . . إنه لم يستطع أن يحقق أمله في أن يكون لاعب كرة معروفا مشهورا . . ولم يستطع أيضا أن يتحرر من انتسابه إلى شخصية أبيه المقال . . إلى أن بدأت أعلامه تذبذب . . حتى ارتباطه بنادى الزمالك بدأ يضعف حتى أصبح وكأنه يهرب منه . .

وكان من طبيعة مهدي عبد الصمد التي كونها في نفسه منذ الصغر هي اصراره على استمراره في الدراسة حتى نهايتها . . انه ليس في حاجة إلى شهادة مدرسية أو جامعية تعينه على التخصص في مهنته كمقال . . لقد اكتسب من أبيه كل تفاصيل وأسرار المهنة حتى حقق عقبريته كمقال دون حاجة إلى دراسة . . ولكنه إذا أراد أن يعيش العالم الآخر بعيدا عن دنيا المقالات . . فهو عالم لا يعترف بالعبقرية إلا لمن يحمل شهادة علمية . . وكان ينجح دائما في كل الامتحانات المدرسية ، وفي بساطة دون أن يحتاج للتفرغ للمذاكرة . . إنه يذاكر كأنه يتفرج على مافي الكتب أو يتفرج على المدرسين . . وذكاؤه تكفيه الفرجة لينجح به في أى امتحان . . وعندما انتهى من دراسته الثانوية استمر في الدراسة الجامعية . . ولكنه لم يلتحق بكلية يستكمل فيها ما تحتاج إليه مهنته كمقال من علم أو على الأقل من معلومات . . كلية الهندسة أو كلية التجارة . . ولكنه اختار أبعد دراسة عن مهنته والتحق بكلية الآداب . . انها في تقديره أقوى الكليات في فتح أبواب الشهرة . . قد يشتهر كعالم أدبي كما اشتهر طه حسين . . وقد يشتهر كتوفيق الحكيم الذي لم يعرف عنه أنه رجل قانون رغم أنه درس في كلية الحقوق ولم يشتهر إلا بعد أن درس الأدب في باريس . . وقد يصل إلى أن يكون فنانا إذاعيا أو تليفزيونيا حتى يصل إلى السيطرة على الإذاعة أو التليفزيون كما وصلت سامية صادق . .

وقد عاش مهدي عبد الصمد في الجامعة كعادته يفصل فصلا تاما

تمسكه واقتناعه بالدخل الكبير الذي تحققه مهنة المقال إلا انه لا يريد أن يعيش حياة المقاولين كما يعيشها أبوه . . بل لا يحب أن يعرف كمقال . . كان صفة المقال لانتشرف صاحبها وترفعه إلى قمة المجتمع . . ورغم أن عثمان أحمد عثمان جعل للمقاولين العرب شخصية من أرقى شخصيات المجتمع ، وهو نفسه وصل الى قمة المجتمع حتى وصل الى أن يكون وزيرا بل وأن يكون نائبا لرئيس الدولة . . وهو محتفظ بصفته كمقال ، ويتفاخر باسمه كرئيس شركة المقاولين العرب . . إلا انه لم يتأثر بشخصية عثمان أحمد عثمان كما لم يتأثر بشخصية أبيه حتى لو كان قد ورث عنه عقبريته كمقال . .

إنه لا يكتفى بأن يكون معروفا كرجل واسع الثراء استطاع أن يجمع الملايين عن طريق المقالات . . إنه يريد أن يكون معروفا ومشهورا كصاحب موهبة خاصة تبهز الملايين من أفراد الشعب . . وقد انتابه هذا الاحساس منذ صباه فحاول أن يكون لاعب كرة . . أشهر لاعب كرة في مصر إلى أن يصبح أشهر لاعب كرة في العالم كله . .

والتحق بنادى الزمالك وعاش في عالم الكرة . . وكل أصدقائه ومن يعرفهم من لاعبي الكرة . . وبدأ التدريبات . . ومرت سنوات وهو يتدرب . . ووز أن يقنع تدريبه أحد بأن يضمنه إلى فريق النادي ولاحتى اعتباره لاعب كرة . . ولكنه كان سخيا في المساهمة فيما يحتاجه فريق النادي من نفقات . . وكان مفرطا في تكريم كل اللاعبين . . كان يقيم لهم كثيرا من الدعوات والحفلات داخل النادي . . وفي المباريات العامة كان هو الذي يعد جمهور المهللين للنادي ، ويستأجر السيارات التي تنقلهم إلى الملعب ، وتعود بهم لتطوف بهم الشوارع مهللين إذا تحقق الفوز للزمالك . . بل إنه دفع مرة ثمن شراء ملابس لعب جديدة لكل فرق النادي . . وأصبح مشهورا بين كل أعضاء النادي . . وكلهم يحبونه . . ويحاولون دائما ارضاءه وتحقيق مطالبه . . ولكنه حب لا يمكن أن يصل إلى حد الاعتراف به كلاعب كرة وضمنه إلى فريق النادي . . إنهم لا يحبونه كلاعب ، ولكنهم يحبونه كمشاب

حياته في دنيا المقاولات . . . وحياته في الدنيا التي يبحث فيها عن شخصية تعرف وتشتهر كشخصية عامة . . . ويتمنى ان تكون شخصية فنان . . . ونوجة ابوه ابنة مقاول آخر . . . ولم يكن يمتنى مثل هذا الزواج . . . كان يتمنى ان تكون زوجته ابنة رجل مشهور في الحياة العامة أو تكون هي نفسها مشهورة . . . ولكنه كان مضطرا الى الاستسلام لآبيه . . . فقد كان المقاول الآخر والد زوجته قد فاز بعملية مقاولات كبيرة منتصرا على أبيه الذي كان يحاول أن يفوز بنفس العملية . . . ثم أراد ابوه ان يشاركه في هذه العملية . . . فتقدم طالبا ابنته لابنه . . . حركة من حركات لعبة الشطرنج . . .

والواقع أن وضع أبيه كمقاول بدأ يضعف . . . وبدأ الباب الواسع يضيق في وجهه . . . ربما لأنه شاخ ولم يعد يتحمل ثقل كل هذه المسؤوليات . . . وكان يجب أن يتحرك مهدي عبد الصمد وحده حتى يعيد بناء القوة التي ضعفت . . . قوته كمقاول . . . فأخذ زوجته وسافر إلى البلاد العربية . . . واستطاع بسرعة أن يفوز بعملية في كل بلد مر به . . . واستطاع خلال سنوات قليلة عابرة ان يجمع الملايين . . .

ولم يتغير . . . كان يقضى يومه في مجال عمله كمقاول ، ثم يعود إلى البيت قبل أن يحل المساء . . . ويجلس بعيدا عن زوجته يفكر في الشخصية الأخرى التي يريد لها لنفسه . . . ويفضلها شخصية فنان . . . إن الفن هو الطريق الواسع السهل لبناء الشخصية العامة . . .

ووجد نفسه يبدأ في كتابة الشعر والزجل . . . ربما لأن الحياة وهو مهاجر وراء عمله في البلاد العربية ليس فيها مجتمع مفتوح لكل الفن . . . إن أقوى فن في هذا المجتمع لا يزال هو الشعر . . . ولعله تأثر بهذا المجتمع فبدأ يكتب الشعر . . . وإن كان لا يكتب شعرا ولاحتي مجرد زجل . . . أنه يكتب وكل ما في خياله انه يكتب اغنية . . . لاشك أنه يملك موهبة كتابة الأغاني . . . فهو منذ صباه وهو يحفظ كل كلمات الأغاني التي يسمعيها ويتذوقها . . . وقد يصل به هذا التذوق الى أن يكتب مثلها بل وأرقى من مستواها . . .

بين الدنيتين اللتين يعيشهما : دنيا المقاولات ، والدنيا الجامعية . . . فهو يتردد كل يوم على مكتب المقاولات دون أن يكتشف زملاؤه في الجامعة هذا المكتب أو يدعوا أو حتى يسمح لأحد منهم بلقاؤه هناك . . . إنه لا يلتقي في مكتب المقاولات إلا بمن يحتاج اليه عمله كمقاول . . . ثم يذهب إلى الجامعة ، وكأنه مجرد طالب ، ولا حديث له بين زملائه إلا كطالب . . . لا يحاول أن يتباهى بينهم بأنه يتميز عنهم كصاحب مهنة عبقري يكسب أموالا ضخمة . . .

وقد عرف في الجامعة شلة من الطلبة تدمن لعب الشطرنج . . . وبدأ يسائل نفسه . . . لماذا لايلعب الشطرنج . . . إن الانسان يخطو في الحياة وكأنه يلعب الشطرنج . . . وعالم المقاولات كأنه عالم يقوم على مباريات في الشطرنج . . . والمقاول الذي يستولى على العملية ، أو على الصفقة ، فكانه يصيح في وجه بقية المقاولين . . . كش . . . ملك . . . والاستيلاء على العملية بين المقاولين هي كالاستيلاء على الملك الذي يحميه الخصم في لعب الشطرنج . . . أي أن كل من ينجح في الحياة أو في المقاولات يمكن أن ينجح في لعب الشطرنج . . . ولاشك انه ناجح . . . وأنه عبقري . . . ويستطيع بعبقريته أن يهزم كل لاعبي الشطرنج في المباريات التي تقام في مصر . . . ويشتهر . . . بل قد يستطيع أن يتقدم إلى المباريات العالمية ويفوز على هذا اللاعب الروسي الذي يفوز دائما على كل لاعبي شطرنج العالم . . .

وقضى سنوات وهو يقضى كل أوقات فراغه في لعب الشطرنج ، بل أنه كان يقرأ كتباً عالمية تحمل كل أسرار اللعبة . . . ولكنه ظل دائما لاعبا عاديا قد يهزم بعض اللاعبين ولكن الأغلبية تهزمه . . . وخرج من لعبة الشطرنج بعد أن تخرج من الجامعة حاملا الليسانس . . .

ولم يخطر على باله أن يبحث عن وظيفة بعد تخرجه ولا أن يحاول الاستفادة من الليسانس الذي حصل عليه في احتراف أي مهنة أخرى . . . وأصبح مضطرا أن يجاهر بأنه مقاول . . . ولكنه ظل كما هو يقصل بين

أن يهزمها وينتصر حتى على عمر الشريف ويصبح أشهر منه عالميا لا في التمثيل السينمائي ولكن في لعبة البريدج . .

ولعب كل أنواع القمار وخسر في كل اللعبات حتى أصبح يستقبل كما يستقبل أصحاب أبار البترول . . مغفل ثرى . . كم خسر . . ربما أكثر من مائتي ألف دولار . . تكاد تقترب خسارته على المليون . . وبدأ يبتعد عن لعب القمار بعد أن اقتنع نفسه أنها لعبة تقوم على الحظ لا على عبقرية الذكاء . . وهو لا يكسب الا بذكائه لا بالاستسلام للحظ . . ولا يهزم ما خسره من الآف الدولارات . . انه يستطيع أن يعوضها بعملية واحدة يقوم بها بعد أن يعود الى مصر . .

وفعلا . . كانت أول عملية مقاولات وصل إليها بعد أن عاد إلى مصر ميزانيتها خمسة ملايين جنيه يأخذها من الحكومة . . من أموال الدولة . . وهي ميزانية توضع على أسس مدروسة . . ثلثها هو ما تتكلفه العملية كلها . . والثلث الثاني يدفع تكاليف التعامل مع المسئولين كبيرهم وصغيرهم . . أى تدفع كرشاوى . . والثلث الباقي الخالص له . . لقد استرد بعملية واحدة اضعاف ما خسره في صالات القمار . .

ويعيش كما تعود . . كل نهاره يعمل كمقاول ولا يرى الا من يحتاج اليهم عمله . . وابتداء من غروب الشمس يعيش البحث عن الشخصية العامة المشهورة . . خصوصا إذا كانت شخصية الفنان . . وقد عاد الى مصر وأهم ما يشغله هو بناء شخصية الشاعر كاتب الأغاني . . ولكن كيف يصل بالأغاني التي كتبها الى هذه الشخصية . . كيف يصل الى وضع أغانيه على لسان المطربين والمطربات ويحرك الملحنين لوضعها في نغمات الموسيقى وكانهم وهم يعزفون أغانيه ويغنونها يعزفون ويغنون له . .

إنه يعرف الأستاذ باهر مصطفى أشهر كاتب أغاني باللغة العربية وفي العالم العربي كله . . لقد التقى به مرات في الليالي التي يجتمع فيها كبار الأدباء والفنانين . . وقد التقى بالأستاذ باهر وقال له كأنه يطلعه على سر أنه

وكتب عشرات من الأغاني . . وكان يتصور مع كل أغنية المطرب أو المطربة التي ستغنيها . . بل كتب أناشيد وطنية يغنيها الشعب كله . . وكان يحتفظ بما يكتب في درج مكتبته في انتظار أن يعود الى مصر . . إنه لم يفكر أبدا في الا يعود الى مصر . . أى أن يهاجر ويركز كل عمله في الخارج . . لقد ترك مصر سنوات ليجمع رأس المال الذى يستند اليه ، والذى كان قد ضعف فعلا في أواخر أيام أبيه . . وقد استطاع أن يجمع من الخارج رأس مال ضخم . . جمع الملايين . . ولكن مالا يعرفه صغار المقاولين والاغنياء منهم هو أن استغلال رأس المال داخل مصر أسهل ويدير أرباحا أكثر من استغلاله في الخارج . . المهم أن يكون معك هذا الرأس مال . . وسيعود إلى مصر لاستغلاله في داخلها . .

وقد ارسل زوجته وولديه الى مصر وسافر وحده الى أوروبا مارا بسويسرا وفرنسا وانجلترا قبل أن يعود الى مصر . . ان رؤوس الأموال الضخمة التي جمعها يحتفظ بها في بنوك أوروبا . . وليس له في مصر إلا ما يحتاج اليه من رأس مال . . وهناك عشرات الطرق للتعامل مع رأس ماله الموضوع في أوروبا وهو مقيم في مصر . . وكان وهو في جنيف - في سويسرا - يمر على صالات ألعاب القمار لمجرد الفرجة . . إنه لم يسبق له أن لعب القمار بادمان أو يتعمد السعى إلى المكاسب الضخمة . . انما كان يلعب مع الأصدقاء أحيانا لمجرد الضحك والتسلية . . وتعلم لعبة الكونكان والبوكر والشايب . . و . . و . . منذ صغره لمجرد التسلية . . ولكنه وهو في جنيف يطوف بصالات القمار بدأ ينتابه احساس بأنه يستطيع أن يكسب كل هؤلاء اللاعبين . . لماذا لا يجلس بينهم ويتحداهم بعبقريته . . انه دائما يكسب في حياته ، فلماذا لا يكسب في القمار ، وهو يرى أنهم يلعبون بمبالغ ضخمة قد تتعدى الآلاف وقد تصل الى المليون . . ولكن لا يهزم . . ان لديه ما يقامر به على أى مبلغ . . وبدأ يلعب . . لعب الروليت . . والبوكر . . وعشرات من ألعاب القمار . . بل أنه تعلم لعبة البريدج . . إنها لعبة العقول العالمية . . فلماذا لا يثق في أن عقله في مستوى هذه العقول العالمية ويستطيع

- إن كلماتك تعبر عن مواضيع رائعة ، ولكن ينقصها كل ما يتطلبه الشعر أو الزجل أو الأغنية من أوزان ، بل وأيضا من حروف تتم بها الكلمات . .

وقال مهدي فورا ودون أن يناقشه فيما قاله كأنه يعترف فعلا بأنه لايعرف شيئا عن الأوزان :

- كن استاذي وصحح لي أوزاني . .

وقال الأستاذ باهر ضاحكا :

- قد أكون استادا في إطلاق أشعاري ، ولكن لم أكن أبدا استادا في تصحيح أشعار الغير . .

وقال مهدي في استجداء :

- لاتعتبرني من الغير . . اننا أصدقاء . . وكل صديق استاذ على صديقه . . أنا استاذك مثلا في المقاولات وأنت استاذي في الشعر . . ولكن لن تكون استادا مجانيا ، كما اني لايمكن أن ابني لك بيتا مجانا . . وكل تعب له ثمنه . .

ثم قام من جانبه بسرعة ، وعاد اليه يحمل مبلغ الفين من الجنيهات . . وقال مبتسما في رجاء وهو يناوله أوراق النقد :

- صحح لي ولو أغنية واحدة تختارها مما كتبت . .

وقال باهر ضاحكا :

- كأنك تغريتي بأن اصحح لك كل ماكتبته . .

ومر أكثر من أسبوع وعاد اليه باهر وجلس أمامه يلقي الأغنية التي أعدها له . . ومهدى مبهورا . . دهشا . . حائرا . . ان كل الكلمات التي

كتب مجموعة من الأجزاء يعتقد انها يمكن أن تكون أغنيات ، ولكنه لايدري كيف يعرضها على المطربين وعلى الملحنين . . وكيف يختار بينهم . . ويريد منه أن يطلعه ويفتح له الطريق . .

ورد الأستاذ باهر وهو يرفع الكأس عن شفثيه :

- إن كل مطرب أو مطربة لها لون خاص من الأغاني ، ويجب أن اقرأ أجزالك أو أسمعها لي حتى أقول لك من تختار لتعرضها عليه . .

واعتذر مهدي عن قراءة أجزاله له . . أقنع نفسه انه يستطيع أن يشعر ولكنه لا يستطيع أن يلقي الشعر . . كما كان المرحوم احمد شوقي . . وجمع كل الاغاني التي كتبها وأعطاهم مكتوبة للأستاذ باهر حتى يراجعها . . وكان يدعو له كل ليلة تقريبا ويوفر له كل ما يوفر له سعادته ونشوته في لياليه . . ولكن الليالي تمر ، والأستاذ باهر يعتذر له بأنه لم يقرأ بعد أجزاله . . وقد تعمد مهدي بحكم معرفته باحتياجات السوق أن يقدم للأستاذ باهر كثيرا من الهدايا . . ان سوق الفن لا يختلف في التعامل معه عن سوق المقاولات . . ولكن الأستاذ باهر لايزال يعتذر . . إلى أن قال له في ليلة :

- اني اعرف أنك مشغول دائما بانتاج فنك . . وهي مشغولية لاتتيح لك الوقت لتقرأ أجزالي . . ولو تركت تفرغك لانتاجك الفني للاهتمام بانتاجي أنا فان ذلك قد يكلفك خسائر في رزقك . . فاسمح لي أن أعوضك عما يمكن أن تخسره . . ثم مد يده وناول الأستاذ باهر مجموعة من أوراق النقد . . ألف جنيه كاملة . . وفي بساطة أخذ باهر المبلغ وهو يعد أوراق النقد ، ثم قال من خلال ضحكاته :

- يادوبك ثمن سطر واحد من أغنية تخطر على بالي . .

وبعد يومين جاء الأستاذ باهر يقول له وهو ينظر اليه في اشفاق مع ابتسامة كأنها ابتسامة ساخر :

الجنيهاً . . انه يكون بذلك قد دفع خمسة آلاف جنيه ثمناً لهذه الأغنية التي صححها له باهر . . لا يمكن أن يكون ما يناله من بيع أغانيه أكثر من ذلك . . وأخذ باهر المبلغ بلا فرحة . . وبلا كلمة شكر . . ولوى شفثته كأنه يعطن خيبة أمله . .

وقال مهدى كأنه يبدأ الخطوة التالية :

- أي مطرب ترشحه لتعرض عليه هذه الأغنية ليغنيها . .

وقال باهر في برود ، وكأنه لا يريد أن ينزل إلى هذا المستوى :

- إنى اعتز بنفسي ، ولا أعرض الأغاني على أحد ، بل يجب أن يأتى إلى المطربون ليستجدونى . . فانتظر إلى أن يأتوا إلى واختار بينهم . . وطبعاً ستعرف من اختاره . .

ويعد أسابيع قال له باهر :

- لقد اخترت المطربة أنعام لتغنيها . .

وفرح مهدى . . ان المطربة أنعام ليست المطربة الأولى في مصر ، ولكنها مطربة معروفة لها جمهورها . . وبعد حديث طويل سأل باهر :

- هل اتفقت معها على الثمن الذى تدفعه ؟

وقال باهر وهو ينظر إليه بامتعاض :

- أى ثمن ؟

ورد مهدى كأنه يلومه :

- ثمن الكلمات . . حق مؤلف الأغنية . .

وقال باهر كأنه يتهمه بالجهل :

يسمعها ليست كلماته . . وكل الموضوع الذى تدور حوله الأغنية ليس له علاقة بأى موضوع كتبه . . وقال فى حيرة :

- هل هذا هو شعرى بعد التصحيح ؟

وقال باهر وقد بدأ يضحك :

- إنه من وحى كلماتك . .

ولم يرد مهدى . . انها لا يمكن أن تكون حتى من وحى كلماته ولكنه مد يده لياخذ من باهر الورقة التى كتب فيها كلماته . . ولكن باهر ظل محتفظاً بالورقة قائلاً :

- كانى كتبت أغنية جديدة لك :

وقال مهدى وقد بدأ ينظر إلى باهر كأنه يتفق معه على عملية مقاولات :

- كم تأخذ ثمناً للأغنية ؟

وقال باهر بلا مبالاة :

- هذا يعتمد على من يشتريها . . كم يستطيع أن يدفع . . بل إنى أحياناً أعطى اشعارى مجاناً ليغنيها مطرب جديد لايمك ما يدفعه . .

وظل مهدى محققاً فى وجه باهر . . لاشك انه يعلم انه مقاول ثرى ، وهو يعامله كأنه مقاول فن يتعامل مع زبون ثرى كما يتعامل هو مع الأثرياء . . انه يستطيع أن يقول لباهر ببساطة إنه عدل عن احتياجه لتصحيح ما يكتبه . . انها كانت مجرد لعبة يتسلى بها ، وأنه لا يريد هذه الأغنية . . ولكنه أحس بارتباطه بالمشروع الذى بدأ فيه . . مشروع أن تكون له شخصية كاتب الأغاني المشهور . .

وقام صامتا وابتعد فى داخل البيت وعاد يحمل الفين من

وهي تتحدث عن الأغنية توجه حديثها كله إلى باهر وتتداول معه الكلمات وتحكى له عن الملحن الذى اختارته ..

وقد حاول بعد ذلك أن يوثق علاقاته بأنعام .. علاقة عمل .. ولكنها دائما متعالية تتجاهله .. وعندما قال لها مرة أنه مؤلف هذه الأغنية ضحكت كأنها تسخر من تفاهته .. وقد قدم لها كثير من الهدايا الغالية .. مرة أرسل لها سجادة عجمي .. ومرة أرسل لها خاتما يحمل قصا من الماس .. وكل ما استفاده هو أنها أصبحت أكثر ترحيبا به مع احتفاظها بالتعالى عليه .. وقالت له مرة :

- متى أحي لك حفلة .. الأتقيم حفلات في بيتك ؟

كأنها تريد أن ترد له هداياها بالتبرع له باقامة حفلة تغنى له فيها .. وقد فكر فعلا في اقامة حفلة كبيرة في بيته ولو أنه كان يعتمد دائما أن يبعد حياته الاجتماعية عن بيته .. يبعدها عن زوجته المتأخرة إبنة الماويل .. ولكن قبل أن يحدد موعدا لاقامة هذا الحفل .. أذيعت الأغنية .. ولكنه فوجيء وهي تقدم في الإذاعة بإعلان أنها اغنية من كلمات الأستاذ باهر مصطفى .. ان اسمه لم يذكر مع أغنيته ..

واندفع في جنون المغتاض يبحث عن باهر .. انه منذ أسابيع وهو متباعد عنه كأنه يهرب منه .. ولكنه استطاع أن يجده ويصرخ في وجهه بالتليفون :

- أين اسمي مع أغنيتي ؟

وقال باهر في برود :

- لقد الححت على أنعام أن تضع اسمك ، ولكنها أصرت على الرفض .. انها تقول أن الاغنية كلها من كلماتي التي يعرفها الجمهور ، ولايمكن أن يصدق أنها كلمات شاعر آخر .. ثم انها تريد ان تعتمد على

- اننا لاناخذ ثمننا من المطربين والمطربات انما نكتفى بحق الاداء العلنى الذى يعود اليها .. ومحمد عبد الوهاب نفسه لايمد يده إلى أى مطرب أو مطربة يلحن لها .. ويكتفى بالآلاف التي تعود عليه من حق الاداء العلنى .. واذا كنت أنت قد دفعت لى أتعابى نظير اعداد هذه الاغنية فقد قبلتها منك لأنك لست مطربا ، ولاعرف كيف ستستقل كلماتي حتى أشاركك فيها ..

واستسلم مهدي ثم قال :

- ولكنى لا اعرف الست أنعام ..

وقال باهر في برود :

- سأعرفك بها ..

وبعد أيام حدد له موعدا ليزورا معا المطربة أنعام .. واهتم مهدي بهذه الزيارة .. واختار أشيك بدلة ليرتديها .. لقد كان يعتمد دائما أن يختار أفخم وأشيك البدل والقمصان والكرفطات خلال جولاته في أوروبا حتى يعرف بأنه أوجه وأشيك رجل مصرى .. بل انه اشترى مرة زيا مخصصا للعب الجولف رغم أنه لايلعب الجولف لمجرد أنه زى غال أنيق .. ربما كان يعتمد أن يتقلب على عقده النفسية تجاه أبيه الذى لايزال يظهر بالجبة والقفطان .. والجلابية الحرير .. يريد أن يقول للناس أن الماويل يمكن أن يكون من الوجهاء ..

وقال الأستاذ باهر وهو يقدمه لأنعام :

- ان له الفضل في كتابة هذه الاغنية ..

انه لم يقل انه مؤلف أو صاحب الاغنية .. وقد استقبلته أنعام في نوع من التعالي .. اعتبرته مجرد معجب من المعجبين بأغانيتها .. وكانت

وبدا يقضى كل اوقات فراغه في كتابة قصة . . وكانت قصة بوليسية . . ومضت شهور ، وهو لا يزال يكتب فيها . . وبعد ان انتهى منها استطاع ان يتعرف على الاستاذ ابراهيم المرجوشي الناشر وصاحب دار المستقبل للطباعة . . وقد امضى فترة وهو يحاول ان يقيم صداقة خاصة مع الاستاذ ابراهيم بكثرة السهرات المرححة التي يدعوه اليها . . انه كرجل اعمال يعلم انه يجب اولاً ان تقيم صداقة خاصة مع من تحتاج اليه حتى يسهل بعد ذلك التعامل معه . .

وبعد ان توطدت صداقته بالاستاذ ابراهيم ، عرض عليه القصة التي كتبها ، وطلب منه ان يطبعها وينشرها ويوزعها له . . ووعده ابراهيم واخذ منه اوراق القصة . . وإن كان قد فوجيء بان مهدى يكتب القصة رغم انه كان يعتمد اطالة الحديث معه عن الأدب والأدباء . .

ويعد ايام قال له الاستاذ ابراهيم وهو يبتسم له ابتسامة مفتعلة كأنه ينافقه :

- لقد قرأت القصة . . انها فعلاً قصة ممتعة . . ولكنى في الواقع لا أستطيع ان اطبعها لك في كتاب . . فاننا لانستطيع ان نطبع الاكتب الكتاب المشهورين . . حتى لو كانت كتاباً لقصص تافهة . . ولكن شهرة الكاتب تضمن لنا على الاقل استرداد قيمة التكاليف والا تكبدنا خسائر ضخمة . . فأنت تعلم مدى ارتفاع أسعار الورق والحبر وأجور عمال الطباعة وقيمة استهلاك الآلات . .

وقال مهدى وهو ينظر الى ابراهيم في استجداء :

- وماذا افعل وأنا أريد طبع قصتي في كتاب ؟

وقال ابراهيم في بساطة :

- تحمل المسؤولية وحدك . . على الاقل مسئولية الكتاب الأول . .

أبسم شاعر معروف مشهور . . والحقيقة انى وجدت انى استطيع ان ابيع اى شىء إلا ان ابيع اسمى من فوق كلمات اشعارى . . ولكن لنجرب اغنية اخرى لعل استطيع ان اضع عليها اسمك . .

وصاح مهدى :

لا . . لا اريد ان ارى وجهك . .

والقى سماعة التليفون كأنه يشطب املا من أماله . .

ومضت ايام وهو مفتاظ من فشله . . ثم بدأ يهدأ . . لايهم ما انفق على هذه الهواية التي طرات عليه . . انفق الالف . . ولكن الحمد لله . . لقد وصل إلى عملية مقاولات جديدة تدر عليه الملايين . . ثم ربما كان الله يرعاه وهو يحرمه من نشر اسمه ككاتب اغاني . . هذا في صالحه . . فان الناس كان لايمكن ان تقدره كمقاول ، وهو يكتب الاغاني . . ان الفن لايدخل في تقدير رجال الاعمال . .

* * *

ولكن طبيعته عادت تلح عليه ان يكون صاحب شخصية عامة مشهورة . . شخصية فنان او اديب . . وبدأ يسائل نفسه . . لماذا لا يكون كاتباً . . كاتب قصة . . إنه منذ صباه وهو يهوى قراءة القصص ويعيش كله فيما يقرأ حتى انه كان تلقائياً يحفظ بعضها كلمة كلمة خصوصاً القصص البوليسية كقصص « روكامبول » و« أرسين لوبين » و« الفرسان الثلاثة » . . وله في الحياة الواسعة التي عاشها وطاف خلالها العالم عشرات الاحداث التي شهداها ويمكن ان يرويها في قصص . . ثم إن كتابة القصة ليست في حاجة الى دراسة الموازين أو الارتباط بالقافية ككتابة الشعر . . اى انه يستطيع ان يكتب قصة دون ان يحتاج لمن يراجعها ويصححها له . .

وابتلع مهدي ريقه كأنه يهضم المفاجأة . وكأنه لم يكن ينتظر أن يرتفع المبلغ الذي يدفعه إلى هذا الحد ، ثم قال بصوت خافت :

- سادف . .

وطبع الكتاب بعد أن اختار مهدي الأ يضع اسمه عليه . . أقنع نفسه بأن يختبئ حتى لا يعلن صفته ككاتب قصة بجانب صفته كمقاول . . لم لا . . ان محمد حسين هيكل باشا كتب قصة « زينب » دون أن يضع عليها اسمه حرصا على مركزه كرجل سياسة . . ولكنه سيعرف بقصته كما عرف هيكل باشا . . وصدر الكتاب مكتوبا على غلافه بحروف عريضة . . بقلم الكاتب الكبير « ابن زمانه » . . سيعرف الناس قريبا أن ابن زمانه هو مهدي عبد الصمد . .

وقال له الأستاذ الناشر الأستاذ ابراهيم المرجوشي وهما يتحادثان معا في موضوع توزيع الكتاب :

- الحقيقة أنها مسئولية معقدة . . فان المكتبات ترفض توزيع كتب من تأليف كتاب غير معروفين لأنها تكلف مصاريف التخزين والعرض والاعلان دون أن يطمئنون إلى كسب ولا حتى إلى استرداد النفقات . .

وقاطعه مهدي كأنه يعرف مقدما ما سينتهي اليه هذا الحديث :

- كم تبلغ تكاليف التوزيع والاعلان . .

وشد الأستاذ ابراهيم ورقة من أمامه دون أن يتكلم ، وأخذ يكتب بضعه أرقام إلى أن قال :

- خمسة آلاف جنيه على الأقل . .

ودفع مهدي . .

وقال مهدي في إلحاح :

- وكيف أتحمل هذه المسئولية . .

وقال ابراهيم وهو ينظر إليه في اشفاق :

- تدفع قيمة تكاليف الطبع بما فيها ثمن الورق . .

وقال مهدي فورا :

- مستعد . .

وقال ابراهيم وهو لا يزال مشفقا عليه :

- وتدفع كل المبلغ مقدما . .

وصاح مهدي :

- مستعد . .

وقال ابراهيم وقد بدأت لهجته ترن كلهجة من يعقد صفقة :

- كم نسخة تريد أن تطبع من الكتاب ؟

وفكر مهدي برهة ثم انطلق في حماس كأنه يتباهى بنفسه :

- عشرة آلاف نسخة . .

ولم يقل ابراهيم أن المفروض أن يطبع من الكتاب الجديد ألف أو ألفا نسخة ، فإذا تم توزيعها يطبع منها أكثر في الطبعة الثانية . . ولكنه شد ورقة من أمامه ، وأخذ يسجل عليها بضعة أرقام ثم قال :

- ستضطر أن تدفع مقدما عشرة آلاف جنيه . . وإذا زادت

التكاليف فستدفع طبعنا فاننا لانستطيع ان ننتبأ بالأسعار مقدما . .

إلى أن عرف المثلثة السينمائية منار . .

عرفها في إحدى السهرات التي يقبها لأهل الفن والأدب . . وقد جاءت مع صديق من الأدباء ولم يبهر مجرد تشريفها له فهي في الواقع ليست نجمة سينمائية مشهورة ولكنها معروفة . . ولم تظهر حتى اليوم في أفلام الا في الأدوار الثانية وأحيانا الأدوار الثالثة . . ولكنه بهر بها هي نفسها منذ رآها . . انها تملك هذا النوع من الأنوثة والجمال الذي يجذبه دائما . . وشخصيتها تجمع بين الجدية والوقار حتى انها تستطيع أن تدخل في مناقشات فنية جادة تبدو فيها كأنها نجمة براقعة من نجوم الفن وعالمة من علماء الأدب . . ولاشك انها قرأت كثيرا وتثقف نفسها ثقافة ممتازة . . ثم عندما تتفرغ لأنوثتها تكون من أقوى النساء اثاره وخبرة في الارتفاع بالرجل إلى منتهى متعته كأنها ترتفع به إلى السماء وتدخله معها إلى الجنة . لعل لشخصيتها هي نفس شخصيته . . فهو أيضا في منتهى الجدية بالنسبة لعمله كمقاول ، وفي منتهى التفرغ للبحث عن متعته في حياته الخاصة . .

وتجاوبا وتقاهما منذ اللقاء الأول . . وأصبح يقضى كل لياليه معها في بيتها . . وأصبحت هي التي تقيم السهرات التي تجمع الأدباء والفنانين في بيته الخاص الذي يسميه بيت الفن . . ولم يكن يدفع لها شئنا لكل هذه الليالي التي تعطيلها له . . ولكنه عرف بالصدفة ودون أن تتعمد أن تطلب منه أنها مديونة وأصبحت مهددة بالحجز عليها . . فتحايل عليها حتى قبلت أن يدفع عنها ديونها . . ودفع خمسين ألف جنيه . . هذا أقل ما يفرضه الواجب عليه بعد ان أصبح رجلها . . وكان أخوها يحاول أن يسافر إلى أمريكا ليتم دراسته ، ولكنه لا يجد ما يوفر له دراسته . . وأخته متحسرة عليه . . فتبرع له بخمسة آلاف دولار حتى يستطيع أن يتعلم في أمريكا . . ثم أن الشقة التي تقيم فيها منار ويقضى فيها لياليه معها شقة متواضعة لا تليق بها ولا تعجبه هو شخصيا . . فاشترى لها شقة في مدينة المهندسين وزحمها بكل الاثاث الذي تختاره بذوقها . . لقد أصبحت غرفة

وقد مرت مدة أصبح بعدها يرى كتابه معروضا وراء زجاج المكتبات . . وقرأ اعلانات صغيرة في بعض الصحف عن قصة الكاتب الكبير « ابن زمانه » . . ويتصل بالاستاذ ابراهيم بين وقت وآخر يسأله عن عدد النسخ التي بيعت . . ومرت شهور قبل أن يقول له :
- بيعت نسخة . .

ثم شهور أخرى قبل أن يقول له :

- بيعت نسخة ثانية . .

وكان قد أخذ لنفسه مائة نسخة وزعها على اصدقائه ومعارفه كهدايا مجانية . . ثم أخذ مائة نسخة أخرى وزعها أيضا مجانا . . ولكن الذين يوزع عليهم الهدايا لا يتحدثون عن القصة إلا إذا دفعهم إلى ابداء رأيهم فيها . . وبعضهم يعتذر بأنه لم يقرأها بعد وبعضهم يبدو منافقا منتهى النفاق فيما يبيده من رأى . .

ومضت شهور طويلة دون أن يوزع كتابه أو يشتهر به . . وبدأ اليأس يرزف عليه حتى قرر الا يكون كاتب قصة ولا كاتب أى كتاب . . وعندما قال له الأستاذ الناشر أنه مضطر أن يجدد دفع مصاريف التوزيع صرخ في وجهه :

- كل من يحتفظون بنسخ من هذا الكتاب من حقهم أن يحرقوها أو يبيعوها كأوراق دشت لصناعة القراطيس . .

انه لم يفكر حتى في جمع النسخ والاحتفاظ بها إحتراما لها . .

ولايهم ما انفقه ليكون كاتب قصة . . إن عمليات المقاولات تزاد نجاحا . . وفيها العوض . .

* * *

ماذا يقولون ؟

وقالت وكأنها تهم بالبكاء :

- انهم لايعترفون بى كفنانة .. انا مجرد عشيقه لرجل يرضينى بأن ينتج لى فيلما ..

وقال فى حيرة كأنه لم يكن يحسب حساب كلام الناس ..

- وكيف نسكتهم عن الكلام ..

وقالت وهى تسقط وجهها بين كفيها ودموعها تنهمر على خديها :

- ليس هناك الا ان نتزوج .. ان الكلام عن زوجة غير الكلام عن عشيقه .. ولعلى اطلب المستحيل ..

واحتضنها بين ذراعه وقال وهو يضحك كأنه يخفف عنها :

- نتزوج يا حبيبتي ..

وتزوجها فعلا .. ونشر خبر الزواج فى الصحف وعرفه كل من يعرفونه ..

ولم يسأل عن زوجته الأولى .. لقد قال لها ان من حقها ان تطلب الطلاق ، واما ان تعيش زوجة مهجورة .. وقد ترك لها البيت هى واولادها وأصبحت كل حياته فى البيت الذى اشتراه وأثته لمنار ..

ولكن أحداث احساسه تتغير منذ تزوج .. انه لايطبق الطلاق زوجته فى حرية اتصالها بالرجال .. من يدري ماذا بينها وبين هذا المخرج ، أو هذا الممثل أو هذا الكاتب .. ان احساس الزوج تختلف عن احساس العشيق .. ولكنه يصمت ويتحمل وكما اختلف مع زوجته ودخل

الذوم التى تضمهما كأنها ركن من متحف على ..

إنه منذ التقى بها وهو ينفق الكثير من امواله حولها .. ولكن .. ان واجب الرجل يدفعه إلى أن يضع المرأة فى مستوى الحياة الذى وصل اليه .. مستوى اصحاب الملايين .. وماهو الحب .. انه تبادل تحمل المسئولية بينه وبينها .. الرجل يحمل مسئولية المرأة .. والمرأة تحمل مسئولية الرجل .. وهو لاشك يحبها ..

وقد دفعه الحب الى أكثر .. فهى دائما تشكوه من متاعب عملها فى السينما .. ان كل الأبواب تغلق فى وجهها لأن كل منتج يطمع فى الوصول الى جسدها .. وهى ترفض لأنها متفانية فى الإخلاص له .. وبدا يسأل نفسه لماذا لاينتج فيلما لها على حسابه .. لم لا .. ان زعيم الاقتصاد المصرى طلعت حرب قام ببناء الفن السينمائى والمسرحى بأموال بنك مصر .. فليبدأ هو ببناء منار كنجمة سينمائية وبعدها يستكمل بناء الفن المصرى كله ..

وبدا يدفع لانتاج فيلم سينمائى .. والواقع انه لم يكن يتصور ان يدفع كل هذه المبالغ .. انه لم يدرس عملية الانتاج حتى يتأكد من قيمة مايدفعه هنا وهناك .. ولعل منار وهى التى تعتبر مسئولة عما يدفعه مضطرة ان تستسلم لكل مايطلبه المسئولون عن انجاح الفيلم حتى يبذلوا أكثر فى انجاحها .. انه يدفع حتى للصحف والمجلات التى تنشر صور منار ، والصحفيين الذين يكتبون عنها .. رغم ان ما ينشر لايجمل صورة الاعلان .. ورغم ذلك يجب ان يتحمل .. انه مشروع كبير .. وفى كل مساء ينتهى من عمله يذهب إلى منار فى الاستديو .. ويستقبل هناك بترحاب واحترام كبير .. وكان يهنأ بمتعته وهو داخل الاستديو يتفرج على ما يجرى فيه .. إلى ان قالت له منار فى ليلة وقبل ان يضمهما الفراش ..

- أصبحت لا أحتمل كلام الناس عنى وعنك ..

وقال فى دهشة :

شبع منها حتى بدأت تتخّم حياتي . . وطلقها بعد أن دفع لها مبلغا كبيرا حتى يسكتها عنه ولا تقدمه للمحاكم . .

وعاد إلى بيته وزوجته وأولاده . . واستطاع أن يسترد قيمته كـمقال . . ولكن مع السنوات بدأت طبيعته تعود وتثير فيه أمنيته بأن يكون شخصية عامة مشهورة . . شخصية أديب وفنان . .

ومن يدري ؟

ت
١ ١ ١

معها في نقاش كأنه معركة . . استطاعت دائما أن تسكته . . أو هو الذي يعود ويستسلم ويسكت . .

والأكثر من ذلك أنه بدأ يلاحظ أن كل من تجمعهم به أعماله كـمقال يستقبلونه وبين شفاهم ابتسامات ساخرة أو مشفقة . . وبعضهم يهينه بزواجه من منار وهو يضحك . . ثم بدأ يلاحظ أنهم يترددون كثيرا قبل أن يقبلوا العمل معه والاتفاق على الصفقات . . وقد بدأ يبذل مجهود أكبر في اقناعهم بالتعامل معه بعد أن كان يحوز أكبر تقدير وثقة بين المقاولين . .

وانتهى الفيلم . . وعرض في دور السينما . . وقشيل فشلا ذريعا . . لقد حاولت منار أن تقنعه بأن الأفلام تحتاج إلى عرضها مدة طويلة تصل إلى سنوات قبل أن تحقق أرباحها . . ولكنه اقتنع بأن هذا الفيلم لن يحقق له أي ربح ولن يسترد أبدا شيئا مما أنفق عليه . . لقد أنفق مبلغا طائلا . . بين مائتي الف . . ثلثمائة الف . . قد يصل ماخسره إلى نصف مليون جنيه . . كيف يستطيع أن يعوض هذه الخسارة من عمليات المقاولات وقد بدأ يفقد الثقة من التعامل معه كـمقال . . أنهم لا يريدون أن ينسوا أنه تزوج هذه المرأة . . منار . . وهذا المجتمع الذي يجمع أصحاب الملايين من كبار المقاولين ورجال الأعمال ، يعترف للرجل فيه بأن يمتع نفسه بأى امرأة مهمه كلفته معتته . .

وكلما وصل الرجل منهم إلى امرأة صعبة كان من المستحيل الوصول إليها قدره هذا المجتمع أكثر ورفع فوق رأسه العلم كأكبر وأشطر واحد بينهم . . أما إذا تزوج واحدة من تلك النساء فهو يسقط مباشرة إلى حضيض هذا المجتمع . . أن الزواج غير ممارسة المتعة . .

ماذا يفعل حتى يسترد قيمته كـمقال ويعوض ما كلفته منار من خسائر ؟ !

وقاده تفكيره إلى أنه يجب أن يهجرها . . أن يطلقها . . ولعله كان قد

مطبوعات

مركز الأهرام للترجمة والنشر

■ كتب للأطفال والنشء

● في مجال العلوم :

١ - الموسوعة العلمية الأولى للأطفال

(ترجمة : د. محمد أمين سليمان)

٢ - طرائف والت ديزني بالكمبيوتر

(ترجمة : د. أيمن الدسوقي)

٣ - سلسلة علماء العرب :

○ ابن النفيس

(مكتشف الدورة الدموية الصغرى)

○ ابن الهيثم (عالم البصريات)

○ البيروني (عالم الجغرافيا الفلكية)

(سليمان قياض)

● في مجال التربية البدنية والرياضية :

٤ - موسوعة جوفى الرياضية :

○ السياحة والغطس .

○ الألعاب الأولمبية .

○ ألعاب الأطفال .

(ترجمة : د. - المستكاوى)

● في مجال ترقية المهارات والخيال :

٥ - ألوان ألوان (حسين أبو زيد)

المحتويات

الصفحة

٣	١ - كانت صعبة . . ومغرورة . .
٣٦	٢ - أحلام ابن الشحاذ . .
٥٠	٣ - نائم وهو صاح . .
٥٩	٤ - نوع آخر من الجنون . .
٧٠	٥ - رأس غير رأسى . .
٨٣	٦ - هو . . والحمار . .
٩٣	٧ - وفشلت في الطريق الآخر . .
١٠٩	٨ - الطريق الأقرب . .
١٢٢	٩ - وكأنه مات . .
١٣٩	١٠ - أرى أمى معلقة في أذنيك . .
١٥١	١١ - البحث عن الشخصية الأخرى . .